منهج أبحاث المفسرين
في خطوات تطبيقية

يأمل المؤلف من القراء المخلصين و المخلصات
في خدمة الإسلام
التكرم بنقد الكتاب وإهدائه ملاحظاتهم ومقترحاتهم
sisieny@hotmail.com
أو
www.saeedsieny.net

إعداد
د. سعيد إسماعيل صيني

١٤٣٩هـ

قائمة المحتويات

مقدمة

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على خاتم النبيين و بعد:
لا أعتقد أن عاقلا ينكر أهمية فهم آيات الأحكام في القرآن الكريم، فهي التي تقود المسلم إلى طريق الجنة، وتجنبه الوقوع في الطريق الذي يقود إلى جهنم. وأما الآيات الإخبارية فمن المعلوم أن القرآن نزل بلسان عربي مبين. وهذا يعني أن الإنسان الذي يعرف اللغة العربية سيدرك معاني آيات الأخبار، بدرجات متفاوتة من العمق والشمولية، تتسق مع حجم ثقافته وعمقها.
وقد كتب الكثير من المتقدمين و المتأخرين عن أصول التفسير، أي مناهج تفسير القرآن الكريم، وما يتعلق بطبيعة القرآن الكريم ووسائل حفظه عبر القرون. ولكن الملاحظ أن معظمها يركز على أنواع التفسير وتطورها عبر العصور، أما الكتابة عن أدوات التفسير فهي محدودة، وتتكرر عبر العصور بإضافات قليلة، وإعادة صياغة غير جوهرية. وبالنسبة لطبيعة القرآن ووسائل حفظه هنا بعض الثغرات الصغيرة بالنسبة لوسائل حفظ أصالته، ولاسيما مع تعدد القراءات لبعض ألفاظه، واختلاف طبيعته عن طبيعة السنة النبوية.
فالهدف من تأليف هذا الكتاب- هو التركيز على الجانب التطبيقي لعملية التفسير، وهو تسجيل لتجارب المؤلف طوال أكثر من أربعين عاما في التعامل مع نصوص القرآن الكريم في بعض المواضيع الشائكة، مثل القضاء والقدر، والمبادئ الإسلامية في التعامل عبر الأديان. والكتاب محاولة لتبسيط عملة التفسير، وتحويلها إلى مقاييس وخطوات تطبيقية. وقد أصبحت مهمة الباحثين في هذا المجال مُيّسرة، أسهم في تيسيرها "ولد الخواجات"، الحاسب الآلي.

المعالم الرئيسة لمنهج الكتاب:

سيتم مراعاة ما يلي، توفيرا لوقت وجهد طلبة علم أصول التفسير، وإتقان نتائج بحثهم، للإسهام في إعادة النظر في تفسير بعض الآيات متفرقة، مما جعل الآيات تبدو في بعض المواضيع متضاربة، وحاشه كتاب الله من التضارب.
أولا – لن نبعد عن الحقيقة إذا قلنا بأن قاعدة القواعد في أي عملية بحث عن الحق أو الصواب أو ما يقترب منه يتمثل في المقارنة بين الأفهام المختلفة أو المتعارضة حول آية أو آيات محددة. ولا تكتمل عملية المقارنة لتؤدي الهدف المطلوب إلا بحصر جميع النصوص ذات العلاقة وعقد المقارنة بين طريقة استعمالها، ثم الترجيح بينها، مستعينا بنصوص السنة، والمصادر اللغوية، ومنها المعاجم، والمعلومات ذات العلاقة والعقل والفطرة.
ثانيا – لقد وعد الله بحفظ القرآن الكريم وسخر له علماء السلف في مجال أصول الحديث وفي مجال القراءات ليبتكروا وسائل لحفظه، إضافة إلى الوسائل الطبيعية التي سخّرها الخالق منذ نزول أول آياته.
ثالثا – منح القارئ فرصة ليس لقطف الثمار المعروضة في البقالة فقط، ولكن لتزويده بصورة لعملية حراثة الأرض، ورمي البذر، والسقي والتسميد...،

أيضا. وبعبارة أخرى، تزويده القارئ بخلفية تاريخية عن المراحل التي مر بها تواتر القرآن لفظا ومعنى، ومنهج تفسير القرآن الكريم، بصورة مختصرة.

رابعا – تقديم مقترحات لطريقة التفسير بصورة شبه تفصيلية، عن خطوات التفسير في ظل الأهداف المختلفة، مثل معرفة معنى مفردة، في غير مجال المعتقدات أو العبادات أو المعاملات، ومثل معرفة ما ورد في القرآن عن الظواهر الكونية والبشرية، والغيبيات... ومثل معرفة مدلول مفردات أو مصطلحات تتعلق بالأحكام.

خامسا - تزويد القارئ بتمارين في نهاية كل فصل للتدرب على الخطوات التي يتضمنها الفصل. ويراعى في أدائها ضرورة توثيق جميع المعلومات المنقولة من المراجع، وإيراد الأدلة اللازمة للرأي الذي يتبناه المكلف بالتمرين. كما يلاحظ أن هذه التمارين يمكن، بل يُفضَّل، إعادة صياغاتها لتخدم هدفا أكبر، مثل تكوين تفسير للآيات في موضوعات محددة.

وأسأل الله التوفيق والسداد، كما أسأله جزيل الثواب لكل من أعان المؤلف في تنفيذ هذا العمل، ونشره. وأخص بالشكر الدكتور خالد محمد إسحاق إبراهيم، رئيس قسم القراءات، بكلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، على ملاحظاته الدقيقة على الفصل الثاني من الكتاب، وإن كنت أختلف معه في بعضها.

سعيد إسماعيل صيني
٢٨/ ١/١٤٣٩هـ
sisieny@hotmail.com
www.saeedsieny.net

الفصل الأول

خطة أبحاث بحث المفسرين (١)

إن المتأمل في شؤون الحياة كافة يلاحظ أن الأمور جميعها أصبحت اليوم أكثر تعقيدا من ذي قبل، وإن كانت الوسائل التي تيسر التنفيذ مستمرة في التطوير، وأصبحت متنوعة وعديدة. لهذا فإن التخطيط المسبق للعمل الذي سيقوم به الإنسان ضرورة من ضرورات الحياة التي لا غنى عنها. ومن هنا كانت أهمية الخطة التي تسبق البحث العلمي. وهي عملية تترتب عليها نتائج خطيرة على مستوى الأمم. ومن يتأمل في مقدمات كتب السلف يجد أن المؤلف لم يخلو من أهداف واضحة في ذهنه لما سيقوم به، ووسائل التنفيذ كانت محدودة: هي الحفظ والتحليل العقلي الفوري، والقلم والقرطاس. فلم تتوفر للسابقين كثير من الوسائل التي توفرت لجيلنا.

عناصر الخطة:

للخطة عناصر، منها الرئيسة، ومنها الفرعية. وتختلف العناصر الفرعية تبعا لاختلاف نوع البحث أحيانا. أما العناصر الرئيسة فلا تختلف من حيث المضمون، ولكن قد تختلف من حيث الشكل والحجم. فبعض الدراسات، ولاسيما المكتبية، لا تحتاج إلى خطوات أو تفاصيل كثيرة، والبعض الآخر، ولاسيما الميدانية والمعملية، فإنها تحتاج إلى خطوات وتفاصيل كثيرة. وقد يعمد الباحثون إلى اختصار بعض الفقرات داخل العناصر الرئيسة، أو الاستغناء عنها، أو دمج بعضها في بعض، وذلك حسب ما تمليه الحاجة.

وعموما تتكون الخطة من العناصر الرئيسة التالية:

أولا : العنوان.

ثانيا: الدوافع والأهداف.

ثالثا: تحديد المشكلة. (تحديد أبعاد الموضوع). وتحتاج هذه العملية –أحيانا- إلى التحليل.

رابعا: استعراض الجهود السابقة Literature Review.

خامسا: تصميم منهج البحث. ويتكون من عناصر ثلاثة رئيسة: جمع المادة العلمية، وتحليلها، وعرض النتائج.

ويجب على الباحث ملاحظة أن العبرة ليست بإيجاد عناوين مستقلة، دائما، لكل عنصر من هذه العناصر. وإنما العبرة في أن تكون هذه العناصر موجودة في الخطة بالفعل، وأن يتم تجميع المعلومات المتصلة بكل عنصر في فقرات خاصة بها، مترابطة ومتسقة. فمن الأبحاث مثلا ما تقتضي طبيعتها التداخل بين عملية جمع المادة العلمية وعملية حصر المادة العلمية، التابعة لعنصر تحليل المادة العلمية. وقد

---

(١) خطة البحث مقتبسة من صيني، قواعد أساسية في البحث العلمي، وأي إشارة منهجية في هذا الفصل تعود إلى الكتاب المذكور.

تضطر بعض الدوريات، التي تنشر الأبحاث، الباحث إلى جمع مقدمة البحث والدراسات السابقة وأهدافها ومشكلتها تحت عنوان واحد.

شروط الخطة الجيدة وعلاماتها:

الخطة الجيدة لها علامات يمكن إدراكها مع الخبرة والمراس ومن هذه العلامات:

١ - أن تكون مفصلة على المشكلة المراد دراستها، بحيث لو أنك غيرت عنوان الموضوع تشعر بنوع من النشاز بين مفردات الخطة والعنوان الجديد. ودرجة هذا النشاز تختلف باختلاف أسلوب جمع المادة العلمية وتحليلها.

٢ - عند قراءة فقرة تحديد المشكلة يشعر القارئ بأن معد الخطة قد قرأ ما فيه الكفاية حول موضوع الدراسة وأدرك أبعادها، وقام بتشخيصها أو تحديدها بدقة، فأصبحت جاهزة للبحث.

٣ - يحدثك عنصر الدراسات السابقة ليس عن الكمية التي قرأها الباحث فحسب، بل أيضا عن الكيفية التي قرأ بها، ويقودك تلقائيا إلى النقطة التي سيبدأ منها الباحث دراسته.

٤ - الإعداد الجيد لفقرة جمع المادة العلمية لا يترك مجالا كبيرا للتساؤلات حول مصادر البحث: أنواعها، والمتوفر منها وغير المتوفر، وأماكن وجودها، وطريقة الوصول إليها، وطريقة الحصول عليها، إذا لزم الأمر.

٥- وضوح القواعد المتصلة بتحليل المادة العلمية.

٦ - اتساق فقرات القائمة الأولية لموضوعات البحث وكفايتها في ملء الفجوات التي تتركها فقرات جمع المادة العلمية ومعالجتها أو تحليلها. ويعني التحليل الحصر والمقارنة والترجيح، في الدراسات ذات العلاقة بالسنة النبوية.

٧ - تعطي الخطة القارئ تصورا واضحا عما سيكون عليه البحث عقب التنفيذ، ليس من حيث مضمون النتائج، ولكن من حيث ترابط المضمونات واتساق فقراتها وموضوعاتها. فمن الضروري أن يكون هناك اتساق واضح بين تحديد المشكلة، ومضمونات واستعراض الجهود السابقة، والمصطلحات المستخدمة في الدراسة.

وغني عن الذكر أن التوثيق الدقيق للاقتباسات المباشرة وغير المباشرة في الخطة كلها مطلب أساس، سواء عند استعراض الدراسات السابقة، أو عند تصميم المنهج. وقد يظن بعض الباحثين أن المفروض أن تكون جميع فقرات منهجه مبتكرة. فينقل فقرات كثيرة حرفيا من الأبحاث الأخرى، دون توثيق.

وهذا السلوك إضافة إلى كونه سرقة يعاقب عليها القانون ويتنافى مع المبادئ الأخلاقية، فإنه يُعد ضعفا في المنهج. فالأصل أن تكون فقرات المنهج مستمدة من قواعد راسخة أو مألوفة في البحث العلمي، بشرط وفائها بمتطلبات البحث المقترح. ولهذا فإن التوثيق الجيد للفقرات المستعارة من أبحاث أخرى محترمة يزيد المنهج قوة. فهناك فرق بين أن يستخدم الإنسان خطوات قدمه لقياس مسافة محددة مثلا، أو أن يستخدم مقياسا مألوفا مثل المتر وتفريعاته، إلا أن يكون هناك قصورا في المناهج المتوفرة، فيضطر إلى تصميم منهج خاص بدراسته.

وفي الفقرات التالية سيتم الحديث عن العناصر الأساسية في الخطة بشيء من التفصيل، دون التطرق إلى تفاصيل المنهج.

المناقشة مع ذوي العلاقة:

أعني ب"المناقشة مع ذوي العلاقة" التحدث مع من يعنيهم موضوع الدراسة، لاهتمامهم بالموضوع من قريب أو من بعيد، أو لعنايتهم بالموضوع بصفته معلومات نظرية أو معلومات ذات فائدة تطبيقية مباشرة أو مساندة لمجال اهتمامهم. وبعبارة أخرى، ليس شرطا أن تكون المناقشة مع خبراء في الموضوع، ولكن أن تكون مع أشخاص لهم عناية بالموضوع من أي زاوية، وإن كانت تقتصر على حب الجدل في أي موضوع يُطرح عليهم. وقد يُطلق على هذه العملية brainstorming أي استثارة الفكر أو الذهن.

وتفيد هذه العملية في اكتشاف زوايا، غير ظاهرة، سواء بالنسبة لتحديد مشكلة الدراسة وزواياها، أو في تحديد مدلولات المصطلحات، بدقة. كما تفيد بشكل واضح في مرحلة التحليل واستنتاج النتائج.

مشكلة البحث وتحديدها:

من المعلوم أن الأبحاث التي تندرج تحت دراسات أصول التفسير أو منهج أبحاث المفسرين تتنوع. فمنها ما يندرج تحت تفسير مفردات ليست لها علاقة مباشرة بالأحكام الشرعية في المعتقدات والعبادات والمعاملات. ومنها ما يتعلق بأحكام شرعية في مجالات محددة، أو يتعلق بمجموعة من الأحكام أو المصطلحات لاستنتاج قواعد عامة. ومنها ما يندرج تحت الأخبار عن أشياء حاضرة، يمكن إدراكها بالحس، مثل نوع من المخلوقات المدركة حسا، وصفاتها الساكنة والمتحركة. ومنها ما يتعلق بصنف من المخلوقات التي لا يمكن إدراكها بالحس العادي، ومنها ما يتعلق بالماضي، أو بالمستقبل القريب أو البعيد، أو في الأزل أو في الآخرة. ومنها ما يتعلق بموضوعات محددة، مثل القضاء والقدر، أو الولاء والبراء، أو أساليب الإقناع. ومنها دراسة الجهود السابقة في التفسير، سواء لأفراد أو جماعات، لاكتشاف السمات العامة التي تميزها، أو للمقارنة بين بعض الجهود السابقة أو لمناقشتها...

ويجب أن ندرك بأن المشكلة لا تصبح ملموسة بأيدينا إلا بعدد من الإجراءات. ومن هذه الإجراءات منح المشكلة عنوانا، يليق بها، وتحديد الدوافع التي جعلتنا نهتم بها، وبيان أبعادها وحدودها.(يراجع طرق التعرف على مشكلة البحث، والتأكد من صلاحيتها للبحث، في قواعد أساسية)

العنوان:

من المعروف أن العنوان لا يأتي من فراغ حتى في مرحلته الأولية، ومن الطبيعي أن لا نبدأ في تحديد معالم الخطة أو عناصرها إلا بعد تحديد المشكلة والتأكد من كونها لا تزال مشكلة قائمة، وأن طريقة وصفها كافية.

ونظرًا لأهمية العنوان فإنه يُشترط فيه التالي:

١ - أن يكون بسيطا، لا تعقيد فيه، وواضحا، لا غموض فيه.

ومثاله: ما العلاقة بين القراءات ولهجات اللغة العربية؟ أو ما العلاقة بين قواعد اللغة العربية واستعمالات القرآن الكريم لها؟

ومثاله: ماذا ورد في القرآن عن الحوار ومرادفات كلمة الحوار؟ وماذا ورد في القرآن من أساليب الإقناع؟ وماذا ورد في القرآن عن الحقائق العلمية؟ وماذا ورد في القرآن من الأحداث التاريخية؟

٢ - أن يعبر بصدق عن موضوع البحث ومحتوياته، فلا يكون الموضوع مثلا "ما المقصود بقوله تعالى "ما فرطنا في الكتاب من شيء"؟ فهو موضوع واسع. ويمكن تضييقه بتحديده في مجال الأحكام الشرعية، أو في مجال أخبار الأفلاك، أو أخبار المخلوقات في الأرض، أو في الجو، أو في البحر...

٣ - أن يكون شاملا لجوانب موضوع البحث كله. فيشمل صفاتها الساكنة والمتحركة.

٤ - أن يكون مختصرا -دون إخلال بالشروط الأخرى- وتترك التفاصيل اللازمة لفقرة تحديد المشكلة.

وأما جاذبية العنوان، وإن كانت من عوامل ترويج المؤلفات بين عامة القراء، فهي ليست من شروط عناوين الأبحاث العلمية.

الدوافع والأهداف:

وهو مطلب في الخطط المقدمة إلى جهات رسمية للحصول على الموافقة. ويشتمل هذا العنصر على الدوافع التي أدت إلى اختيار هذا الموضوع بعينه، والأهداف التي ينشد الباحث تحقيقها من وراء البحث. ومن الطبيعي أن لا يختار الباحث الالتزام ببحث يكرهه، وفي الغالب يكون لديه ما يبرر قيامه بالبحث الذي يقدم خطة فيه. والمبررات لا تخلو –غالبا- من العناصر التالية أو بعضها والتي يجب أن يراعي الباحث الاختصار في الحديث عنها:

١ - الهدف الذي يريد الباحث أن يحققه. وعليه أن يصوغه في أسلوب يفهم منه غير الباحثين وغير أصحاب الاختصاص هدف الباحث من دراسته المقترحة. ويتحقق ذلك بخلو عباراته من المصطلحات الخاصة.

٢ - الدوافع الشخصية التي جعلته يهتم بالموضوع. ويوضح الباحث فيها الأسباب الشخصية التي جعلته يختار الموضوع.

٣ - الفائدة العملية المرجوة من البحث. ويذكر فيها الجهة أو الجهات التي يعنيها البحث، وكيف تكون استفادتهم منه أو يشير إلى الفوائد التي قد يجنيها القارئ بصفة عامة.

٤ - الفائدة العلمية. كيف يتميز هذا البحث أو يختلف عن الجهود السابقة الموجودة في الموضوع أو التي هي قيد التنفيذ؟ وهذه الفقرة تتضمن توقعات الباحث للمساهمة التي يقدمها البحث في تنمية العلم وتقدمه في مجال تخصصه. وقد يتم الاستغناء عن هذه الفقرة بما يورده الباحث من معلومات عند استعراض الدراسات السابقة.

٥- الإشارة إلى ما يتوفر لدى الباحث من القدرات أو الخبرات أو الإمكانات الخاصة التي تجعله أهلا للقيام بالبحث المقترح.

٦ - البرهنة على إمكان تنفيذ البحث من حيث الوقت ومن حيث الإمكانات المادية والفنية المتوفرة للباحث.
وكثيرا ما تندرج هذه المواد فيما يمكن تسميته بالمقدمة.

التحديد الجيد للمشكلة:

وأقول "المشكلة" بدلا من "الموضوع"، لأن المشكلة تعني الموضوع الذي لا يزال مشكلة قائمة تحتاج إلى البحث. أما الموضوع فكلمة عامة، وقد يكون الموضوع مستهلكا، ولا يحتاج إلى المزيد من البحث.

تقوم عملية تحديد المشكلة بتوضيح واقع الموضوع المراد بحثه، وأبعاده، وحدوده. مثلا، ما الذي سيدرسه الباحث؟ وما الذي لا يريد دراسته، رغم أن العنوان قد يوحي به؟

فعملية تحديد المشكلة هي تضييق حدود الموضوع، بحيث يكون مفصلا على ما يريد الباحث تنفيذه. ولتحديد المشكلة بدقة أهمية خاصة. فمثلا إذا أراد الباحث معرفة هل مات فرعون كافرا فلا يدخل في تفاصيل حياته التي لا علاقة بها بهذه المسألة.

. فهناك ضرورة إلى الدقة في تشخيص المسألة، بحيث يظهر لنا أن المشكلة تتكون من عناصر ظاهرة وخفية.

ونحن نحتاج إلى تحديد المشكلة، في الأبحاث الرسمية (ماجستير أو دكتوراه) ليكون حجم المشكلة متناسبا مع الوقت المحدد لإنجاز البحث، والإمكانات المادية، ودرجة سهولة أو صعوبة الحصول على المادة العلمية اللازمة، والوسائل المطلوبة. ونحتاج إلى ذلك ليكون حجم المشكلة متناسبا مع متطلبات البحث من منظور الجهة المجيزة له، والقيمة العلمية المتوقعة للبحث، أو نوع البحث وغير ذلك من القيود.(انظر قابلية البحث في الفصل السادس.)

ويجب أن يدرك الباحث بأنه يصعب تحديد المشكلة، بشكل مقبول، ما لم يقم الباحث بقراءات وافية في مجال البحث.(انظر اختيار المشكلة في الفصل السادس.)
وهذه القاعدة تنطبق على جميع العناصر الأخرى للخطة.

تحديد المشكلة من حيث المضمون:

تتم عملية تحديد المشكلة من حيث المضمون بطرق منها:

١ - التحديد من حيث الحيز الزماني الذي سيغطيه البحث، والتحديد من حيث المكان الذي سيشمله البحث.

٢ - التحديد من حيث المضمون الذي سيتم إدراجه في البحث، مثل جمع كل ما يتعلق بالموضوع، ومثاله، التحديد من زاوية العناصر بالنسبة بموضوع القضاء والقدر، مثل: المفردات التي جاء بها في القرآن وفي السنة، المدلولات التي جاءت بها، علاقتها بالإيمان، وعلاقتها بتطبيق التعاليم الدينية...

٣ – التحديد من حيث الهدف الرئيس للدراسة ومدخلها، مثل "السلام" في القرآن، أو "معجزات سورة..."

٤ - التحديد ببيان المصادر التي يعتمدها الباحث في البحث وتلك التي يستبعدها. مثل: القرآن الكريم (الآيات الأخرى ذات العلاقة) كتب السنة الستة فقط، كتب التفسير ما قبل الفرن العاشر...

٥ - التحديد باستبعاد بعض الفقرات التي يوحي بها العنوان. وقد تضع هذه الفقرة تحت عنوان فرعي يسمى "**قيود البحث**".

تحديد المشكلة من حيث الصياغة:

هناك صيغ ثلاث لتحديد المشكلة: صيغة الجمل الخبرية، وصيغة التساؤلات، وصيغة الفرضيات. وفي النادر تخضع المشاكل التاريخية لصيغة الفرضيات لأن التاريخ يسجل ما جرى في الوقع، ولكن قد يستخدم المؤرخ التحليل العاملي ليرجح بين رأيين متضادين، يسند كل منهما قصص وروايات متعددة.

أ- صيغة الجمل الخبرية. مثال ذلك: "سيقوم الباحث بالتعرف على ما حصل بين عائشة أم المؤمنين وعلي ابن أبي طالب الخليفة الرابع." ويستحسن في حالة التفصيل أن يكون التفصيل متسقا مع التفريعات الرئيسة لموضوعات البحث.

ب - صيغة الأسئلة أو التساؤلات مثل: "ما لآيات التي وردت فيها كلمة "السلام"؟ أو ما هي الأحكام الشرعية التي نستفيدها من سورة البقرة؟ وفي هذه الحالة يستحسن تصنيف التساؤلات في فئات، يتم في ضوئها تحديد معالم البحث وحدوده وتفريعاته أو التقسيمات الرئيسة للقائمة الأولية لموضوعات البحث.

ويجب مراعاة توفر الشروط التالية في صياغة مشكلة البحث:

١ - أن تكون جميع فقرات تحديد المشكلة مربوطة بفكرة محورية أو جوهرية، تتمثل في تساؤل رئيس أو جملة. مثل "ماذا حصل بين عائشة أم المؤمنين وعلي ابن أبي طالب؟ وبالتفصيل: موقف علي من تهمة عائشة في حياة النبي، موقفهما في استشهاد عثمان، ونقطة الاختلاف التي أسهمت في موقعة الجمل.

٢ - أن تكون الفكرة المحورية امتداداً لنتائج الدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع البحث، وتربط فقرات الدراسات السابقة بشكل متسق ومنطقي.

ويمكن أن يضاف إلى الصيغتين السابقتين تأكيد الباحث بأن بحثه لن يشمل المقارنة بين مكانة عائشة وعلي عند النبي صلى الله عليه وسلم. وهذه الإضافة قد تكون تحت عنوان مستقل يسمى: "قيود البحث".

استعراض الدراسات السابقة:

لقد نمت المعرفة وأسبابها نموا هائلا فأصبحت عملية استعراض الدراسات السابقة أو الجهود السابقة ضرورية لتقوم بمهام عديدة، ومن هنا كانت الحاجة إلى وضع قواعد دقيقة لتحديد مكونات الاستعراض، وقواعد وافية لتحديد طريقة الاستعراض.[٢]

---

(٢) إضافة إلي الأبحاث المنشورة في الدوريات المتخصصة انظر Selltiz et. al. 1976 pp. ٤٧-٧٤ ؛ العساف، المدخل ص ٥٥-٨٤.

وما يرد هنا هو محاولة لبيان الفرق بين التمهيد والدراسات السابقة، ومهام الاستعراض ومكوناته في الدراسات المكتبية والميدانية، وطريقة الاستعراض.

التمهيد والاستعراض:

قد يخلط البعض بين المادة العلمية، التي تندرج ضمن عنصر الدراسات السابقة، وبين تلك المواد العامة التي يمكن جعلها في التمهيد.

والقاعدة العامة في الفصل بين الدراسات السابقة والتمهيد هي درجة التصاق الدراسة السابقة بموضوع البحث. يضاف إلى ذلك أن الأمر نسبي. فقد نجد دراسات سابقة وثيقة الصلة فلا نحتاج إلى تجاوزها، وقد لا نجد الكفاية فنتجاوزها إلى الأقل التصاقا، ولكن في حدود مقبولة. وقد تكون مساهمات علمية وقد لا تكون، ولهذا يفضل تسميتها بالجهود السابقة. ومما يستحق الذكر أن البعض يسميها أدبيات الموضوع، وذلك ترجمة للكلمة الإنقليزية الشائعة Literature review.

وعموما يمكن التمييز بين ما يندرج في التمهيد وما يندرج في الدراسات السابقة بالخطوات التالية:

١ - حصر العناصر التي يتكون منها البحث، في ضوء عنوان البحث أو في ضوء فقرة تحديد مشكلته. ثم تحديد العنصر الذي يمثل نقطة الارتكاز في الدراسة.

٢ - النظر في الدراسات السابقة واحدة بعد الأخرى لمعرفة نسبة وجود هذه العناصر في كل دراسة سابقة. هل تتوفر في عناوينها أو عناوين موضوعاتها الرئيسة والفرعية جميع العناصر، أو نسبة سبعين في المائة أو خمسين وأقل... ومن بينها العنصر الذي يمثل نقطة الارتكاز؟

ومثال ذلك، لو كان موضوعنا هو: "مكانة الأنبياء في القرآن الكريم"، سنجد أنفسنا أمام ثلاثة عناصر رئيسة هي: ما هي تلك الآيات؟ ومن الأنبياء الذي ذكرهم القرآن؟ وما هي صفات كل نبي؟ وبهذا، إذا توفر عنصر واحد منهما فيندرج بالتأكيد في التمهيد، وأما إذا توفر عنصران فقد يقبل التصنيفين، اعتمادا على طريقة تناول الموضوع ودرجة وفرة الجهود السابقة، وأما إذا توفرت فيه العناصر الثلاث فمن المؤكد يندرج في الجهود السابقة.

مهام الاستعراض:

تؤدي عملية استعراض الدراسات السابقة عددا من المهام بالنسبة للباحث أثناء تنفيذه لعملية الاستعراض، وللقارئ عند قراءته ما كتبه الباحث حول الدراسات السابقة. وعموما يمكن حصر هذه المهام فيما يلي:(٣)

١ - التأكد من عدم تطرق الدراسات السابقة للمشكلة من الزاوية نفسها، وبالمنهج نفسه، أو التأكد من وجود قصور بها من حيث المضمون أو المنهج، يستوجب إعادة البحث أو مزيدا من الجهود البحثية. فالقصور في المنهج قد يؤدي إلى نتائج خاطئة، والقصور في المضمون، يعني وجود جوانب للموضوع لا تزال في

---

(٣) دالين ص ١٥٢-١٥٣.

حاجة إلى البحث للإضافة أو للتعديل. وهذا بالتالي يؤدي إلى البرهنة على أهمية البحث المقترح وجدوى تنفيذه.

٢ - بيان موقع البحث المقترح من الجهود السابقة في مجال البحث، وإيضاح نوع المساهمة التي تقدمها الدراسة المقترحة في هذا المجال. فهناك ضرورة لتحقيق مبدأ تراكمية المعرفة في التخصص المحدد رغم اختلاف المصادر التي تسهم بالبحث فيه وتعددها.

٣ - المساهمة في توضيح أبعاد مشكلة البحث، والتنبيه على العقبات التي قد تعترض عملية البحث.

٤ - تزويد الباحث بأفكار كاملة أو جزئية عن المنهج المناسب لإجراء دراسته، أو تنبيه الباحث إلى ما يوجد في مناهج الدراسات السابقة من الإيجابيات ليستفيد منها، وتحذيره من سلبياتها ليتجنبها. وقد تزود الدراسات السابقة الباحث بفقرات من منهج البحث مثل: قواعد التحقيق ذات العلاقة، أو التقسيمات الرئيسة لموضوعات البحث. وهي إن لم تزوده ببعض هذه الوسائل فقد تزوده بأفكار لتصميم ما يناسب بحثه من الوسائل.

٥ - تنبيه الباحث إلى مصادر علمية قد لا يعرفها، أثبتتها الدراسات السابقة في قوائم مراجعها.

٦ - تعريف الباحث بطبيعة المادة العلمية الموجودة، مثل: كون المادة العلمية متيسرة أو صعبة المنال، وكونها معقدة أو غير معقدة...

٧ - تزويد الباحث بالأساس الذي يبني عليه دراسته، مع ملاحظة الفرق بين التمهيد والدراسات السابقة، في هذا المضمار.

٨ - تزويد الباحث بخلفية يناقش الباحث في ضوئها نتائج بحثه.

مكونات الاستعراض:

تشمل الدراسات السابقة كل الدراسات المتصلة بالموضوع، مما تم نشره بأي شكل من الأشكال، بشرط أن تكون مساهمة ذات قيمة علمية. وقد يكون النشر بالطباعة أو بالمحاضرات أو الأحاديث المذاعة صوتا فقط، أو صوتا وصورة. وقد تكون الدراسة مقدمة إلى مؤسسة علمية للحصول على درجة علمية أو على مقابل مادي أو لمجرد الرغبة في المساهمة العلمية. وفي رأيي الشخصي أن المنشورة في الإنترنيت لا تندرج إلا إذا كانت لها أصول مسجلة أو مطبوعة يمكن الرجوع إليها للتأكد.

وقد يقيد البعض هذه الدراسات باشتراط كونها أبحاثا علمية. فلا يندرج فيها ما يُعد كتبا دراسية أو مداخل لا تأصيل فيها، أي مجرد تجميع لمعلومات سانحة؛ وهو الصواب. ولكن هذا الشرط يصعب توفيره في بعض المجالات لمن لا يعرف اللغة التي يزدهر بها ذلك المجال من مجالات المعرفة العلمية. كما يصعب عندما تندر الأبحاث الجادة العلمية، وعندما يختلط الغث بالسمين وتنعدم، عند الباحث، القدرة أو الرغبة في التمييز بينها. والمسألة، عموما، متروكة لتقدير اللجنة التي تجيز الخطة وتقرير البحث في ضوء درجة جدية البحث والظروف التي يتم فيها تنفيذ البحث، إذا كان بحثا له مقابل، تدفعه جهة رسمية، مثل شهادة أو مبلغ مالي.

وتختلف مكونات الدراسات السابقة باختلاف طبيعة مشكلة البحث ومنهج البحث، ولاسيما طريقة جمع المادة العلمية أو طبيعتها. فالدراسة التي يجمع فيها الباحث مادته العلمية عن طريق الملاحظة والتجربة ومن الميدان أو ما يشابهها من مواد خام، لا تزال في صيغتها قبل التحليل (المعالجة) تختلف عن الدراسة التي يجمع الباحث فيها مادته العلمية من المكتبات. فالمادة العلمية في النوع الأخير هي غالبا نتائج دراسات الآخرين.(انظر فصل صلب البحث.)

ويمكن تقسيم الدراسات بصورة عامة إلى دراسات ميدانية أو معملية، وأخرى مكتبية، وتقع الأبحاث التاريخية بين الاثنين، وإن كان يغلب على معظمها أنها مكتبية. فالميدانية تعتمد في مادتها العلمية على ما يتم جمعه من الميدان و، مثل جمع القصص من الأحياء كشهود أو رواة، وزيارة المواقع التي تتوفر فيها الآثار، وربما بذل الجهد للتنقيب عنها. أما المكتبية فتعتمد على ما في المكتبات. وتتميز هذه المعلومات بأنها غالبا ما تأخذ صيغة النتائج النهائية لدراسات قام بها الآخرون أو الكاتب نفسه وربما أنها آراء حول نتائج بعض الدراسات السابقة. وقد تكون هذه النتائج متناثرة في مصادر عديدة تحتاج إلى تجميع أو هي قابلة للمزيد من الاستنتاجات من زوايا مختلفة، لتخدم أغراضا أخرى للباحث.

وقد يكون من المادة العلمية لهذه الدراسات القصص ووالروايات التاريخية حول بعض الشخصيات أو الأحداث أو الجماعات... وربما كانت هذه النصوص في صيغة المادة الخام، ولكن تحتاج إلى استنتاجات للوقوع على ما حدث. فهي نفسها غالبا ما تكون نتائج تحليلات قام بها الباحثون. ولهذا لا يستطيع الباحث في هذا النوع من الدراسات فصل جهوده كليا أو شبه كلي عن جهود الآخرين، الذين تناولوا النصوص نفسها بالدراسة. وإن هو فعل ذلك فجعلها مستقلة تماما فإن دراسته ستكون ناقصة ، وتكون مصابة بخلل منهجي كبير.

ولهذا، يراعى عند استعراض الدراسات السابقة في مثل هذه الأبحاث، التي لا يمكن فيها الفصل الكامل بين مساهمات الباحث ومن سبقوه ما يلي:

١ - الاقتصار على الدراسات البارزة، ذات العلاقة المباشرة بالموضوع. وقد سبق الحديث عن معيار التفريق بين الجهود السابقة والتمهيد، أما معيار البروز فيتمثل في كون الدراسة السابقة أفردت الموضوع بعمل مستقل، ثم التي أفردت له فصلا، ثم تلك التي أفردت له مبحثا مستقلا، أو مطلبا أو فقرة... ويلاحظ أن درجة العلاقة والبروز نسبي، يُترك لتقدير الباحث واللجنة التي تجيز الخطة. أما الروايات المتعارضة والقصص التفصيلية حول الأحداث فهي تندرج ضمن المادة العلمية التي سوف يؤلف منها الباحث صلب بحثه، ويبني عليها نتائج دراسته بشكل رئيس. فمساهمة الباحث تظهر في المجهود الذي يلم به شعث مادة متفرقة أو متناثرة في مراجع عديدة، أو تحقيق مصداقية أو توضيح قضية غامضة، أو مناقشتها، أو استنتاج معلومات جديدة. فالمعيار في جدارة الموضوع للبحث هو درجة الحاجة إلى مجهود ملحوظ يبذله الباحث للتنقيب عن المعلومات المباشرة أو غير المباشرة المتفرقة في طيات الأعمال المنشورة، للخروج بعمل يصور ما حدث بطريقة أقرب إلى الواقع. فقد يستخدم تصنيفا جديدا وترتيبا يسهم في رسم الحدث أو الشخصية بطريقة تزيد من مصداقية الصورة. وقد يقوم بإعادة الدراسة لموضوع قديم بمادته

العلمية القديمة، ولكن بمنهج جديد أو معلومات إضافية ليزيد من مصداقية النتائج المبنية على المادة العلمية القديمة أو ليكشف عن ضعفها أو فسادها. (انظر معيار الأصالة في فصل تقويم الأبحاث العلمية.)

٢ – قد تكون المعلومات وثيقة الصلة بمشكلة البحث غزيرة فيتم الاقتصار عليها في الاستعراض، ولا حاجة إلى المعلومات أو الدراسات من الدرجة الثانية، من حيث الصلة. وما يستبعده الباحث عند الاستعراض كما سبقت الإشارة يمكن إدراجه ضمن المادة العلمية التي يستعين بها الباحث في بناء بحثه. ويلاحظ أن المعلومات التي هي درجة ثانية، من حيث الصلة، يمكن إدراجها أحيانا ضمن التمهيد أيضا، كما سبق بيانه. فالتمهيد ليس من صلب البحث.(انظر فصل مكملات البحث.)

٣ - الاقتصار على ملخصات الدراسات السابقة، سواء أكان المبرر للبحث المقترح هو وجود جوانب غامضة في الصورة المرسومة للحدث أو الشخصية، وجود شكوك في المصداقية، أو وجود تعارض في الروايات. أما المعلومات التفصيلية الواردة فيها فسيكون مكانها الطبيعي في صلب البحث. وكذلك الأمر بالنسبة للنقاش التفصيلي لما ورد فيها.

٤ - وقد يكون البحث أصلا حول القصور في مناهج الدراسات السابقة فيتم الاقتصار في الاستعراض على ما ورد من تعليقات منهجية أو على خلاصات لأبرزها. ويورد النماذج التفصيلية ومناقشتها في صلب البحث. ومثال الخطأ في المنهج هو افتراض أن القائد السياسي، مثلا يمثل جميع الذين يسيرون تحت رايته، وهم يمثلونه.

وهناك حقيقة قد لا تغيب عن البال وهي أن بعض الدراسات المكتبية هي، في واقعها، ليست إلا عملية تجميع واستعراض للروايات المتناثرة في أبحاث عديدة. فهي عملية تجميع وتصنيف وترتيب للأصناف التي يصل إليها الباحث، لاستنتاج بعض الصور المتكاملة للحدث أو للشخصية. وقد يتخللها شيء من الاستنتاج وليس بالضرورة. وهذه الحقيقة لا تقلل من شأن هذه الدراسات التي قد تتطلب مجهودا كبيرا ووقتا طويلا يفوق ما تحتاجه بعض الدراسات الاستنتاجية المماثلة.

وقد تنعدم الجهود السابقة التي تتناول المشكلة نفسها أو المماثلة لها، في ظل المعايير التي تم وضعها سابقا. والانعدام أمر نسبي. وهنا قد يضطر الباحث إلى استعراض المتوفر من المعلومات حول موضوعه، وإن كانت العلاقة ضعيفة.

الطريقة الشائعة للاستعراض:

نظن -أحيانا- بأن عملية استعراض الدراسات السابقة لا تحتاج إلى مهارة إبتكارية خاصة. ونظن أنها مجرد عملية سرد تاريخي أو عشوائي لنتائج الدراسات السابقة المنتقاة أو كلها، مع مناهجها ملخصة. والحقيقة أن عملية الاستعراض في ذاتها عملية ابتكارية. وهي لا تختلف عن الأبحاث التجميعية المكتبية، إلا من حيث اقتصارها على المعلومات وثيقة الصلة والبارزة منها، ومن حيث اختصارها الشديد.

ونظن -أحيانا- بأن المقصود من الاستعراض -في جميع الأبحاث- هو تقديم ملخصات لمناهج الدراسات السابقة ونتائجها أو نتائجها فقط، كل واحدة منها بطريقة مستقلة. فيشبه جهد الباحث جهد ناشر الغسيل على الحبل، أي نقوم، بسبب هذا الفهم

الخاطئ، بعملية سرد للدراسات السابقة واحدة تلو الأخرى. وقد نضع لكل دراسة عنوانا مستقلا، وكأننا نُعد ببليوقرافيا (قوائم بالمراجع المتصلة بموضوع البحث) مصحوبة بمستخلصات. وهذا خطأ لأسباب منها:

١ - من يريد إصدار حكم على دراسة سابقة، وبعضها تتجاوز مئات الصفحات، لا بد له من قراءتها قراءة متأنية، وحسب منهج تقويمي محدد، فلعله يخرج برأي يكون قريبا من الصواب، تبرأ به ذمته. أما أن يتصفح الباحث قائمة المحتويات فيقرأ العناوين وربما يتصفح بعض المضمونات بسرعة فيخرج بانطباع. ثم يكتب هذا الانطباع على أنه تقويم للدراسة التي أوردها. فهذا إجحاف بحقوق الجهود السابقة. وبخاصة إذا كانت المسألة تتعلق بنفي وجود شيء عن الموضوع في الدراسة السابقة أو تتعلق بتحديد مستوى مساهمتها.

٢ - مركز الاهتمام في طريقة الاستعراض ليس هو من الذي كتب؟ وماذا قالت كل دراسة بشكل مستقل؟ وفي أي كتاب؟ ولكن **مركز الاهتمام هو ماذا قالت أو ذكرت تلك الدراسات السابقة البارزة مجتمعة حول نقطة من نقاط البحث المقترح؟** وكيف كتبت عن الموضوع؟ وأحيانا كم عدد الذين كتبوا في الموضوع؟ وهل آراؤهم متفقة أم مختلفة أم متعارضة، وإلى أي درجة؟ وما التوجه العام أو سمتها البارزة؟ ثم هل عالجت هذه الكتابات مجتمعة جميع عناصر المشكلة بشكل لا يترك مجالا لدراسة أخرى في الموضوع؟ أم أنها عالجتها بشيء من القصور أو عالجت بعض عناصرها فقط بصورة وافية؟ أم أنها عالجت جميع العناصر، ولكن بصورة ضعيفة وبمناهج مهلهلة أدت إلى نتائج خاطئة.

والأصل أن الجهود السابقة تحتاج إلى تحليل (حصر الجزئيات، وتصنيفها وترتيب أصنافها) بحيث تصب بشكل متسق في النقطة التي يريد الباحث الابتداء منها.

الطريقة الصحيحة للاستعراض:

للأسباب الموضحة سالفة الذكر، التي تؤكد أهمية الدراسات السابقة، وأهمية الطريقة المناسبة للاستعراض فإننا نحتاج لإنجاز هذه المهمة الإبداعية إلى اتباع الخطوات التالية:

١ - حصر الدراسات السابقة جميعها التي تغطي الحدث أو الشخصية التاريخية. وهذا يمكن أن يتم باستخدام البطاقات المستقلة بكل جزئية من المادة العلمية أو استخدام وثائق وملفات الحاسب الآلي. (انظر نظام البطاقات في الفصل السادس.)

٢ - وضع تصور للتقسيمات الرئيسة outline لفقرات عنصر الدراسات السابقة ومضموناتها كلها، بحيث يضمن استعراضها موضوعا بعد موضوع، عبر الدراسات السابقة كلها. وبعبارة أخرى، لا نستعرض كاتبا بعد كاتب أو دراسة بعد دراسة، عبر الموضوعات الرئيسة كلها التي تتضمنها الدراسات السابقة. (انظر فصل عرض النتائج والبحيثات المكتبية في فصل البحيثات التدريبية.) ويلاحظ عدم بناء التقسيم الرئيس على طريقة تناول تلك المصادر للموضوع المقترح دراسته. ومثاله قولنا: "*المجموعة الأولى تناولت الموضوع بصورة مقتضبة، والمجموعة الأخرى تناولته بصورة مستفيضة ولكنها ناقصة...*" ثم استعراض أعمال كل

مجموعة واحدة بعد الأخرى. فهذا التقسيم قد يكون مناسبا داخل التقسيم الموضوعي، الفرعي أو إذا كان الهدف الرئيس للدراسة المقترحة هو مناقشة النقاط المنهجية في الدراسات السابقة. أما إذا كان الهدف الرئيس هو الحديث عن المضمونات فإن الاستعراض يجب أن يكون مبنيا على الموضوعات المختلفة وتقسيماتها الفرعية.(انظر فصل تصميم منهج البحث.)

وفي بعض الحالات قد يضطر الباحث إلى ترتيب الفقرات حسب المؤلفين، لانفراد كل منهم أو بعضهم بنقاط أو معلومات، لا تجتمع تحت موضوع واحد. ولكن لا ينبغي أن تكون هذه الطريقة هي القاعدة. وقد يضطر الباحث إلى ذلك لوقوع جميع الدراسات السابقة ضمن تقسيم (موضوع) رئيس واحد. وحتى في هذه الحالات فإن الباحث لابد أن يوضح أوجه الاتفاق وأوجه الاختلاف بين هذه الدراسات. ويتم عادة استعراضها حسب التسلسل التاريخي لنشرها أو إعدادها. ويتم ترتيب البطاقات أو الملفات التي تحمل المادة العلمية (النصوص والاقتباسات الأخرى) في ضوء هذا التقسيم.

٣ - قد يضطر الباحث إلى تعديل التقسيمات الرئيسة للموضوعات -أحيانا- أثناء الاستعراض. ومع هذا فإن على الباحث وضع تصور سابق لهذه التقسيمات. فوجود مثل هذا التقسيم الرئيس الذي يصنف العناصر الدقيقة أو جزئيات البحث يضمن تسلسل الأفكار وتراكمها بطريقة تقود منطقيا إلى البحث المقترح. كما ييسر تنظيم البطاقات أو الملفات التي تحمل المادة العلمية، وإعادة تنظيمها.(٤)

٤ - قراءة الدراسات السابقة المختارة أو الأجزاء ذات العلاقة بدقة تمكن الباحث من استيعاب منهجها ونتائجها. وهذا الاستيعاب يجب أن يكون إلى درجة تجيز للباحث بيان وجه النقص فيها. فلا ينبغي للباحث أن يقرأ قراءة ناقل، إذ عليه أن يقرأ قراءة ناقد، تظهر معها شخصيته المستقلة وخلفيته المعرفية المتعمقة في موضوع البحث.(٥)

٥ - مناقشة ما يتصل بكل موضوع بشكل مستقل، عبر الكتابات المختلفة، وجمع جوانب القصور المتماثلة، عبر الدراسات المختلفة، ومناقشتها دفعة واحدة. وذلك بدلا من مناقشة فقرات القصور في كل دراسة على انفراد. فالطريقة المقترحة تجُنِب الباحث تكرار المناقشة الواحدة وأدلتها للفقرات المتماثلة التي ترد في مواقع متفرقة، أو تجنبه الاضطرار إلى تكرار الإشارة إلى المناقشة الأولى، أو تجنبه التعارض بين أقواله، دون انتباه. وإضافة إلى ما سبق فإن التكرار قد يشتت انتباه القارئ ويشوش عليه أفكاره.

ويضاف إلى كل ما سبق أن مناقشة كل فقرة وحدها، بدلا من مناقشتها مع مثيلاتها دفعة واحدة، دليل على عجز الباحث عن التحليل وعدم الاستيعاب الكافي لما ورد في الدراسات السابقة. فالاستيعاب الكافي والقدرة على التحليل عنصران أساسيان لأي دراسة علمية واستعراض علمي. ولهذا يجب أن يتوفرا في أي باحث علمي. ويلاحظ أن القصور قد يكون في المنهج أو في المضمون. وقد يكون القصور

---

(٤) شلبي، كيف تكتب ص ٤٩-٥٠، ٧٩-٨٣.

(٥) شلبي، كيف تكتب ص ٦٨-٧٤.

محدودا، يتعلق بمسائل فرعية، وقد يكون القصور شاملا، يتعلق بمسائل جوهرية. فليس المقصود من الاستعراض هو تحديد موقع البحث المقترح من كل دراسة على انفراد، ولكن من الدراسات السابقة مجتمعة. فقول الباحث الدراسة الأولى ورد فيها كذا ودراستي تهدف إلى كذا والدراسة الثانية لم توفِ الموضوع حقه، فيه تجنٍ على كتابات الآخرين. فربما أن الدراسة المذكورة لم توفِ بعض النقاط حقها؛ وهذا مبرر كاف لتنفيذ البحث المقترح. ولكن ربما عالجت نقاطا أخرى بشكل واف، وليس في إمكان الباحث أن يأتي بأحسن منه. وهذه إيجابية يجب أن يثبتها الباحث للدراسة السابقة؛ ولا يقلل هذا الإثبات من شأن الدراسة المقترحة.

فالمطلوب إذن هو أن يبرهن الباحث بما يستعرضه بأن الجهود السابقة في مجموعها لا توصد الباب أمام البحث المقترح، وأن الدراسة المقترحة ستضيف شيئا إلى الموضوع. والإضافة قد تأخذ هيئة معلومات جديدة، أو أسلوبا جديدا له ميزاته، أو تأكيداً لنتائج سابقة، علاجا لنقض أو تعديلا.

٦- لا يورد الباحث عند الاستعراض نصوصها، ولكن يختصر أبرز نقاطها دون تشويه لها أو طمس لمعالمها. أما إذا كان كل ما ورد في الدراسات السابقة إشارات قصيرة، فالأفضل إيرادها كما هي.

٧ - لا يتعرض الباحث لمضمونات المراجع ذات العلاقة، وإنما يقتصر على ما له صلة وثيقة بمشكلة بحثه. فقد لا يهم الباحث من كتاب يتألف من عشرة مجلدات سوى فصول أو مباحث محدودة، ذات صلة وثيقة بموضوع بحثه. فهو يستعرض هذه الجزئية، ويناقشها هي فقط إذا لزم الأمر. ولا علاقة له بالأجزاء الأخرى، فلا يذكرها، لا بخير ولا بشر. ولا يقول مثلا: "ومع الاحترام والتقدير لابن تيمية فإنه لم يتعرض للموضوع في فتاواه (أكثر من ثلاثين مجلدا) إلا بشكل متناثر." فهذا القول يقتضي من الباحث قراءة المجلدات كلها، قراءة دقيقة؛ ولا يكفي معها تصفح قائمة محتوياتها.

والأصل أن يورد الباحث ما أورده ابن تيمية موثقا مما له صلة بموضوع بحثه، بدلا من إصدار حكم على مجلدات لم يقرأها قراءة كافية أولم يقرأها كلية، وإنما اطلع على قائمة محتوياتها فقط.

ومن المفروض أن يتجنب إصدار أحكام بالنقص أو القصور دون تقديم الدليل على تلك الدعوى. ومن الأخطاء الشائعة أن يقول الباحث "لقد كتب فلان في الموضوع ولكن لم يوفه حقه..." وهو يتحدث عن كتاب ضخم مثلا، ربما لم يطلع على عناوينه الفرعية اطلاعا كافيا. فالأفضل أن يسوق الأدلة فقط، وإذا لزم التعليق فلابد أن يسند تعليقه هذا بأدلة تسبقه. فيقول مثلا: *"قال فلان كذا وكذا ... ويلاحظ أن هذا القول لا يشمل بعض الجوانب مثل..."*

ومن المفروض تجنب بدء الاستعراض بقول الباحث: **"لم أجد أحدا كتب في الموضوع..."**

فالأصل أن يقدم الباحث مساهمات الآخرين في الموضوع ملخصة أو كما هي. ويترك للقارئ فرصة المقارنة بين مساهمات الدراسات السابقة وحدود المشكلة المقترحة ليستنتج لنفسه وجه القصور في تلك الدراسات. ثم يقدر بنفسه درجة الحاجة

إلى البحث المقترح، لاستكمال النقص أو لمعالجة السلبيات. ولا بأس في أن ينبه الباحث القارئ إلى وجه القصور بعد تقديم الدليل.

أما إذا لم يجد مواداً علمية وثيقة الصلة فيشير إلى التي تليها، من حيث درجة الصلة ثم له أن يختتم ذلك بقوله: "*هذا ما وجدت في الموضوع بعد بذل الجهد*" *بدلا من القول "ليس هناك سوى هذا في الموضوع."*

وبعبارة أخرى، على الباحث أن يتجنب صيغة النفي قدر الإمكان. فلا يستخدم عبارات مثل: *"ليس هناك" أو "لا يوجد" أو "لم أجد"*. ولكن بدلا من ذلك يقول: *"وجدت كذا وكذا"* و "*كتب فلان كذا وكذا عن الموضوع*". فلا يحمل نفسه مسئولية النفي ابتداء. فالنفي من أصعب الأمور. فقد ينفي الإنسان وجود شخص بعينه في مبنى محدد لأنه-في أحسن الأحوال- نظر في غرفه كلها واحدة بعد الأخرى. ولكن لعل الشخص كان في غرفة لم ينظر فيها بعد، ثم دخل غرفة بعد أن نظر فيها، دون أن يراه الباحث.

ومن المعلوم أن عملية الاستعراض لا تتم بصورة مقبولة إلا بالتحليل. وهذا يعني حصر المعلومات المتناثرة في المراجع المختلفة. والحصر هنا عملية نسبية تختلف باختلاف الموضوعات.(انظر مكونات الاستعراض في هذا الفصل.)

وتختلف كمية المستعرض من الدراسات السابقة باختلاف اللجان المجيزة للخطة. فقد تجيز اللجنة الخطة باستعراض الباحث للنماذج البارزة واستكمال الاستعراض عند كتابة تقرير البحث. وقد تطالبه بالاستعراض النهائي في الخطة.

لهذا قد يكون الحصر نهائيا عند إعداد الخطة أحيانا ولا يكون نهائيا في حالات أخرى.

والتحليل يعني أيضا تصنيف المعلومات المختلفة حسب التقسيمات الرئيسة للموضوعات التي أعدها الباحث من قبل، لموضوعات بحثه، والتي تمثل العناصر الرئيسة لموضوع البحث.

والتحليل يعني -أيضا- ترتيب وتنظيم هذه الأصناف أو المعلومات بطريقة تقود القارئ، تلقائيا، إلى النقطة التي سيبدأ الباحث دراسته منها.(انظر فصل تصميم منهج البحث للتحليل.) ويلاحظ أن نتائج بعض الدراسات المستعرضة مرجوحة النتائج، وذلك لفساد في مناهجها أو لضعفها، مقارنة بمناهج دراسات أخرى أقوى منها. وفي هذه الحالة فإن نتائج هذه الدراسات تثبت عند الاستعراض ويبين وجه ضعفها، ثم تستبعد عند رسم السمة العامة للدراسات السابقة. وهذه العملية ذات أهمية بخاصة في حالة الحاجة إلى اقتراح فرضية، تكون بمثابة الإطار النظري أو الفكري للبحث المقترح. ومع أن نتائج تلك الدراسات المرجوحة لا تحسب في رسم السمة العامة فإنه لا يجوز إغفالها، بل يجب استعراضها وبيان وهن مناهجها، أو سبب عدم الأخذ بنتائجها.

ومن الضروري وجود فكرة محورية تتسق مع مشكلة الدراسة، لتدور حولها النقاط أو المعلومات المختلفة المأخوذة من الدراسات السابقة.

الطريقة المقترحة والسلف:

لقد استعمل السلف عملية استعراض الدراسات السابقة، في صورتين: الإشارة في مقدمة الكتاب إلى المؤلفات التي سبقت جهودهم في الكتابة في الموضوع الذي يؤلفون فيه، وذلك في معرض الحديث عن الدوافع.(٦) وعرفوه بصورة أخرى في الكتابات الفقهية بصفة خاصة، حيث يعرض الفقيه آراء بعض السابقين في المسألة الواحدة ويناقشها وأدلتها، ثم يتبع ذلك برأيه وما يرجحه هو.

ويلاحظ أن ممارستهم لعملية الاستعراض في مقدمة الكتاب كانت متفقة مع حدود المجالات النظرية التي كتبوا فيها، وفي حدود ما عرفوه في ذلك الوقت من أساليب البحث العلمي، وفي حدود المصادر المحدودة التي توفرت لديهم، والظروف العامة التي كتبوا فيها. ولذا جاء الاستعراض في مؤلفاتهم بشكل مختصر ليؤدي وظيفة محددة هي إثبات جدوى التأليف في الموضوع أو الموضوعات التي يتناولها الكتاب.

وبهذا نلاحظ أن الطريقة المقترحة للاستعراض ليست بدعة جديدة. فقد استخدمها علماء الفقه من قرون عديدة ولا يزالون يستخدمونها. فعلماء الفقه عند دراستهم موضوعا مثل الصلاة، فإنهم يقسمونه إلى فقرات مستقلة حسب الموضوعات الفرعية وليس حسب الفقهاء والمؤلفات. فيستعرضون كل مسألة على حدة، عبر الأقوال المختلفة مع أدلتها، ثم يركزون على مناقشة أدلة كل قول أو كل مجموعة من الأقوال متفقة بعضها مع بعض، ثم يقومون بعملية الترجيح.

والفرق بين ممارسة الفقهاء والطريقة الحديثة، في مقدمة البحث أننا لا نناقش الأدلة عند استعراض الدراسات السابقة إلا لوجود وهن ظاهر. والفرق الآخر هو أن الفقهاء يضعون اسم صاحب القول ضمن النص، ونحن نحرص على التوثيق الكامل في الحاشية، أو موزعة بين الحاشية وقائمة المراجع.(انظر فصل التوثيق.)

وصف منهج البحث:

لقد أصبحت عملية وضع قواعد وخطط دقيقة مسبقا للعمل المقترح تنفيذه يعد ضرورة من ضرورات الحياة التي لا غنى عنها.

لقد اعتنى علماء المسلمين بالقواعد العامة للبحث العلمي، في المجالات الأساسية. فكانت نتيجة هذه العناية ثلاثة مناهج: منهج البحث التاريخي لما أصله الوحي (أصول الحديث)، منهج البحث الوصفي التفسيري (أصول التفسير) ومنهج البحث الاستنباطي (أصول الفقه).

وغلب على بعض كتابات الأقدمين العناية بالقواعد العامة للبحث العلمي، في أسلوب الكتابة، مع شيء من التقصير في بعض الجوانب كالتوثيق. ويعود ذلك إلى أسباب منها عدم وجود دور نشر، ومطابع تسهم في توفير الكتب على النطاق الواسع الذي نشهده اليوم، ولاعتماد التعليم على الرواية في معظم الأحوال وما ينسخه الطلبة المجدون بأيديهم.

---

(٦) انظر مثلا السيوطي، مقدمة الإتقان.

وخلاصة القول هو أن السلف لم يهملوا مناهج البحث كلية؛ بل أسهموا في تنميتها بما هو جدير بالتقدير. أما إذا كانوا لا يعرفون الأساليب الحديثة في بعض مجالات البحث لأسباب تم ذكرها فعلينا نحن الخلف مواكبة الظروف الراهنة وحمل مشعل المعرفة في عصرنا، بتعلم الجديد وتنقيته وتطويره.

إن مجرد قول الباحث أني اعتمدت على المنهج الاستقرائي أو الاستنباطي لا يفيد إلا أن يفيد قولك: "**اعتمدت في معلوماتي على زيد**" وهناك العشرات ممن يُدعون زيداً، وبعضهم له أكثر من اسم. فلا بد من ذكر الخطوات الرئيسة التي سيستخدمها الباحث للوصول إلى نتيجة البحث.

العناصر الأساسية للمنهج:

بصفة عامة، تشتمل خطة البحث على عناصر: تحديد الموضوع المراد بحثها، واستعراض الجهود السابقة للمؤرخين، والإشارة إلى أبرز المراجع التي سيعتمد عليها في بحثه والطريقة التي سيجمع بها مادته العلمية، وتوضيح أبرز الطرق التي سيستخدمها في تحليل المادة العلمية، وطريقة عرض فقرات البحث وعناصره بعد تنفيذه، أي التقرير الذي يشمل الخطة والنتائج. وعموما يجب على الباحث النظر في المناهج التي سيعتمد عليها في دراسته، في مراجعها الخاصة، أي المصادر الأصلية أو المفصلة لمكوناتها.(٧)

جمع المادة العلمية:

وتشتمل هذه الفقرة على التالي:

١ - تحديد مصادر المادة العلمية بدقة بحيث لا يختلف عليها اثنان، تحديد المصادر الأساسية، وبعض المصادر الثانوية. فمن المصادر الأساسية لدراسة الإعجاز في القرآن نصوص القرآن الكريم ذات العلاقة، ومن المصادر الثانوية الكتب العلمية التي تناولت الموضوع بالبحث، مثل كتب علم الفلك بالنسبة للآيات التي أشارت إلى خلق الأفلاك وحركاتها، كتب علم الأجنة بالنسبة لمراحل تطور الإنسان في بطن أمه.

ويلاحظ أن كون المصدر ثانوي أمر نسبي، والحقائق الثانوية ليست قليلة الفائدة. فالدراسة التي تريد جمع معلومات غير مسجلة بوسائل الإعلام تحتاج إلى الجمع من الميدان، ممن عاصروا بعض الأحداث ذات العلاقة أو ممن توارثوها، لأنها أخبار أسلافهم، أو لأنهم من المهتمين بتلك الأخبار. وتعتبر بعض الإشارات التي وردت عرضا في بعض الكتابات عن علاقة هذه المجموعة بالمجموعة التي كتب عنها مصادر ثانوية ذات قيمة. ومثاله في حالة اعتبار المصادر الأقرب للحدث أو الأحداث أساسية، يمكن اعتبار المؤلفات التي جاءت بعدها مصادر ثانوية. فقد تتضمن إضافات لم ترد في المصادر الأساسية، بصفتها معلومات مكملة، أو تنبيهات إلى أهمية قصص موجودة في المصادر الأساسية.

---

(٧) انظر الملحق (ب)؛ العساف، المدخل ص ١٦٧-٣٣٣ والقوائم الببليوقرافية بكل منهج.

٢ - تحديد أماكن وجود هذه المصادر أو عناوينها مثل المكتبات، أو المؤسسات الحكومية أو الخاصة، إذا كانت مصادر نادرة، أو مواقع إلكترونية.
٣ – تجميع الروايات ذات العلاقة بالحادثة المحددة أو الشخصية، وخاصة المختلفة والمتعارضة.

تحليل المادة العلمية:

قد يعتبر البعض عملية التحليل في الأبحاث العلمية عملية إضافية، ولكن كما سبق البيان فإن التحليل جزء أساس في جميع الدراسات العلمية. وفيما يلي بيان المقصود بالتحليل وما ينبغي أن يندرج منه في منهج البحث التاريخي:

١ - حصر جميع الروايات والقصص المطلوبة للدراسة: الإيجابية منها والسلبية، المتفقة والمتعارضة...

٢ - تصنيف هذه القصص والروايات إلى أصناف حسب طبيعة الدراسة وهدفها الرئيس أو أهدافها، سواء أكانت المتفقة في الجزئية المحددة أو المختلفة. وفي العادة يكون التصنيف مبنيا على الهدف من الدراسة، فمثلا للتحقق من مصداقية بعض الأخبار نصنف الأخبار أو القصص إلى إيجابية وسلبية بالنسبة للشخصية المحددة أو للمجموعة؛ وللتعرف على حجم مساهمة المجموعة في صناعة الحدث نصنف المجموعة إلى أطراف فاعلة.

٣ - ترتيب وتنظيم هذه الأصناف، بحيث تؤدي إلى ترجيح وصف للحدث أو سمة محددة للشخصية المعنية بالدراسة. فالترتيب والتنظيم قد يعني بيان غلبة سمة على سمات أخرى، أو غلبة مساهمة فئة في صناعة الحدث على فئة أخرى.

ومن الطبيعي أن تكون عملية الحصر والتصنيف والترتيب درجات مختلفة من حيث شموليتها وتعقيدها. وتؤلف العمليات الثلاث شكلا هرميا، حيث تشكل عملية حصر الروايات والقصص التفصيلية قاعدة الهرم الأكثر عرضا، والوصول إلى حقيقة فرعية مرجحة أقل عرضا. وتشكل الحقيقة العامة أو السمة قمة الهرم.

وليس من الضروري أن تظهر كل عملية من عمليات التحليل منفصلة تماما عن غيرها، فقد تتم عملية التصنيف تلقائيا أثناء عملية الحصر. وقد اشتهرت الدراسات التاريخية بأنها دراسات وصفية. أما في الحقيقة فتتبادل عملية الوصف مع الاستقراء الأدوار بصورة مكثفة، ولا يمكن الاستغناء فيها عن الاستقراء.

محتويات فقرة التحليل:

وعموما تشتمل فقرة التحليل والمعالجة على التالي:

١ - وضع القواعد أو المعايير التي يتم بموجبها تحديد ما يدخل من الجزيئات في الحصر وما لا يدخل في الحصر.

٢- تحديد أنواع المصادر التي سيعتمدها الباحث وتلك التي سيستبعدها، أو التي يرجحها على غيرها، مع تحديد معايير الاعتماد والاستبعاد أو الترجيح. ومثال ترجيح الرواية التي وردت في الكتاب والسنة بثبوت قطعي ودلالة قطعية على غيرها؛ وترجيح ما تؤيده الوثائق والآثار المحسوسة على غيرها.

طريقة عرض النتائج:

طريقة العرض الأولية للنتائج نسميها " **القائمة الأولية للموضوعات**"، وقد يسميها البعض "خطة البحث" خطأ. وهي التي ترسم لنا الهيكل العام لموضوعات البحث بعد إنجازه. وتتألف من التقسيمات الرئيسة والفرعية، وربما فرعية الفرعية، لمختلف أجزاء تقرير البحث الذي يضم الخطة والنتائج. وليس من الضروري أن نسمي الفقرات الفرعية، مثل كلمة "مبحث..." أو "مطلب...". ويكفي أن نقسم البحث إلى فصول وأحيانا قد نجمع الفصول في أبواب؛ ونقتصر على استخدام الدرجات المميزة للعناوين التي توفرها برامج معالج الكلمات، مثل مايكروسوفت ويرد Microsoft Word، أو غيرها من برامج الصف المطبعي.

ولعل من أكثر الممارسات التي كانت شائعة بين الأوساط العلمية الأكاديمية الاكتفاء في خطط البحوث العلمية بالقائمة الأولية للموضوعات، وقد يضاف إليها قائمة ببعض أسماء المراجع. ويُعتبر هذا خطأ من أوجه:

١ - القائمة الأولية في معظم الأحيان لا تتعدى كونها طريقة لعرض نتائج البحث أو قائمة أولية للموضوعات التي لم يتم كتابتها بعد. وبعبارة أخرى، هي تصور مستقبلي لموضوعات البحث الرئيسة والفرعية أو عناوينها عقب التنفيذ.

٢ – من المعلوم أن القائمة الأولية، قبل تنفيذ البحث، لا تنوب عن منهج البحث. وهذا لا يعني أنه لا أهمية لهذه القائمة فهي جزء أساس من منهج البحث. وهي في الدراسات المكتبية أكثر أهمية منها في الدراسات الميدانية. وذلك لأنها في الدراسات المكتبية قد تكشف عن بعض جوانب منهج التحليل، أما في الدراسات الميدانية والتجريبية لا تكشف عن شيء يذكر من الجوانب المنهجية للتحليل.

٣ - حتى في الحالات التي تتضمن القائمة الأولية جزءا من منهج البحث فإن نقاطا منهجية كثيرة ستبقى غير محددة، مما يترك مجالا واسعا للتهاون أو للتلاعب أو للتكليف غير الضروري عند تنفيذ الخطة. ومع هذا فستبقى بعض أجزاء المنهج غير معلومة مثل: طريقة اختيار وطريقة جمع المادة العلمية، ومبرراته لاختيار تلك الطريقة بعينها ومعاييره في ترجيح المعلومات المتضاربة والآراء المتعارضة، وغير ذلك مما هو ضروري.

٤ - من المعلوم أن الفقرات الرئيسة لقائمة الموضوعات يجب أن لا تتكرر بحذافيرها. بل يجب أن تكون كل فقرة متميزة عن غيرها في قائمة الدراسة الواحدة. أما عناصر منهج التحليل أو قواعدها يجب أن تتميز بالتكرار أي الاطراد في استخدام القاعدة المنهجية الواحدة عبر الفقرات المختلفة. وبعبارة أخرى، فإن عدم اطراد منهج التحليل، أي معاملة النقاط المختلفة أو الحالات المتشابهة بطريقة مختلفة يعتبر دليلا على ضعف منهج البحث. وفي الوقت نفسه يعد تكرار موضوعات القائمة الأولية أو تشابهها ضعفا في التصنيف أو طريقة عرض فقرات البحث.

٥ – يلاحظ أن القائمة الأولية تساعد تسهم في الكشف عن تكرار الموضوعات، ولكن لا تقي من التعارض في الأقوال والآراء في البحث الواحد، وبدون أن يشعر الباحث. فقد يورد قصة تمدح الشخصية، وفي مكان آخر يأتي بما ينقض ما أثبته في الأول، سواء أكان المدح مبنيا على سمته العامة أو صفة تثبتها قصة مماثلة في القوة للقصة السلبية، دون الترجيح بينهما.

ومن المعلوم أن الخطة هي جزء من التقرير الكامل للبحث، ففقراتها تندرج ضمن القائمة النهائية لمحتويات التقرير النهائي للبحث.

طبيعة الدراسة ومحتويات القائمة:

على وجه العموم، تختلف محتويات القائمة الأولية لموضوعات البحث، من حيث الصعوبة والشكل، في الدراسات المكتبية أو التجميعية النظرية عنها في الدراسات الميدانية والمعملية.

ففي الدراسات التي تستخدم الأسلوب الكيفي -غالبا- تظهر مضمونات الفصول والمباحث واضحة في هيأة عناوين رئيسة (عناوين الفصول)، والعناوين الفرعية وفرعية الفرعية (عناوين المباحث أو المطالب المتفرعة عن المباحث).(انظر مثلا كتاب قواعد أساسية، الملحق ٢-ج.) أما في الدراسات الميدانية ولاسيما الاستقرائية فإن بعض العناوين لا تتحدث كثيرا عن مضموناتها.(انظر الملحق ١-ج.)

وعموما يجب أن تعبر تقسيمات القائمة الأولية لموضوعات البحث بصدق عن الهدف من الدراسة أو جوهرها وأن تخدمها.

التداخل بين تحديد المشكلة وقائمة الموضوعات:

هناك نقطة جديرة بالملاحظة وهي أن القائمة الأولية لموضوعات البحث قد تختلط بفقرات عنصر تحديد المشكلة من حيث المضمون. وهذا طبيعي لأن القائمة الأولية تحتوي على فقرات هي تفصيل لعنصر تحديد المشكلة. ومع هذا فإن هناك بعض الاختلافات بينهما، ومنها ما يلي:

١ - تشتمل القائمة الأولية غالبا على العناصر التفصيلية للخطة وتفريعاتها، وهذه لا تكون كذلك في عنصر تحديد المشكلة غالبا.

٢ - تتركز مهمة عنصر تحديد المشكلة -في الغالب- على تحديد أبعاد البحث أي بيان حدوده، وليس على بيان تفاصيل محتوياته. أما القائمة الأولية فيجب أن تكون شاملة لكل عناصر التقرير، ومبينة لموضوعات التقرير على مستوى العناوين الرئيسة، التي تصنف في مستوى الباب أو الفصل، وربما أيضا في مستوى المباحث و المطالب...

٣ - كثيرا ما تكشف القائمة الأولية النقاب عن بعض الجوانب المنهجية للبحث وتفريعاتها وهذه لا تكون كذلك في عنصر تحديد المشكلة. وبعبارة أخرى، تحديد المشكلة يجيب على السؤال: ماذا؟ أما القائمة الأولية للموضوعات فتجيب، إضافة، إلى السؤال: ماذا؟ على جزء من الإجابة على السؤال: كيف؟

تمارين الفصل الأول:

١ – اختر دراسة علمية في مجال التفسير، واختصر العناصر الرئيسة لمنهج البحث، مثل: تحديد المشكلة، استعراض الكتابات السابقة، ومنهج البحث... وأرفق بيانات نشر كل دراسة: عنوانها، الكاتب، الناشر (جامعة أو دار نشر)، والمدينة، والسنة.

٢ - اختر دراستين مختلفتين من حيث طبيعة المادة العلمية، من دراساغت التفسير، وقارن بين طريقتهما في تحديد المشكلة، من حيث نوع الصياغة ودرجة الوضوح، واكتب رأيك: أيهما أكثر جودة، مع بيان أدلتك، وإرفاق معلومات النشر الخاصة بهما.

٣ – اختر دراستين مختلفتين من حيث الهدف من الدراسة، وقارن بين طريقتيهما في استعراض الكتابات السابقة، من حيث مكونات الاستعراض وطريقتها. ووضح أيهما أكثر جودة، مع بيان أدلتك. وارفق معلومات النشر الخاصة بهما.

٤ - – اختر دراستين، وقارن بين طريقتيهما، في بيان منهج البحث، من حيث بيان طريقة جمع المادة العلمية، وطريقة التحليل. ووضح أيهما أكثر جودة، مع بيان أدلتك، وإرفاق معلومات النشر الخاصة بهما.

٥ - اختر دراستين، وقارن بين طريقة تقسيمهما لمحتويات الدراسة، ووضح أيهما أكثر جودة، مع بيان أدلتك، وإرفاق معلومات النشر الخاصة بهما.

٦ – اختر دراسة واكتب عناوين مستويين من قائمة محتوياتها، مثل عناصر الخطة (مستوى ١)

- شروط الخطة الجيدة وعلاماتها(مستوى ٢)
- المناقشة مع ذوي العلاقة (مستوى ٢)

واستخدم وسيلة البطاقات الورقية أو الملفات والوثائق الإلكترونية لتفريغ المعلومات التي تجمعها من عدد من المراجع لها علاقة بموضوعات قائمة المحتويات التي قمت بتجهيزها. وارفق معلومات النشر الخاصة بالدراسة والمراجع التي نقلت منها بعض المعلومات.

الفصل الثاني

مصدر القرآن ووسائل حفظه

إن الاعتقاد بأن القرآن الكريم قد نزل من رب العالمين بالصورة التي هي عليها إلى يومنا هذا يعدُّ ركنا من أركان الإيمان، لا يجادل في ذلك أي مسلم أو مسلمة. وقد ثبتت هذه الحقيقة بوسائل الإدراك الحسية. فقد آمن الجيل الأول بمحمد، صلى الله عليه وسلم، رسولا بالأدلة المدركة حسا، حيث عايشوه وعرفوه قبل النبوة وبعد النبوة، وعايشوا أحداث نزول القرآن معه خطوة خطوة. وتوارثت الأجيال المتتابعة القرآن جيلا بعد جيل حِسًّا (سماعا وقراءة)، وسوف تتوارثه الأجيال القادمة بالطريقة الحسية نفسها إلى يوم الدين.[٨]

فالقرآن الكريم وحي من الله، كان جبريل، عليه السلام، ينزل به من وقت لأخر، فيلقنه النبي صلى الله عليه وسلم، آية فآية. يقول تعالى عن أول لقاء لهما: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ.}([٩]) ويقول تعالى: {لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ. إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ. فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ.}([١٠]) ولقداسة نصوص القرآن كان لحالة تلقيه هيبة خاصة، يشعر بها النبي، صلى الله عليه وسلم. وهي حالة تختلف عن حالة إخبار جبريل النبي ببعض المعلومات التي هي ليست قرآنا. وبالطبع يختلف هذان النوعان عن الإلهام الذي يُنعم الله به على من يشاء من عباده، في أي وقت يشاء. وكما هو معلوم فإن القرآن بصفته هو أثمن جزء من التراث الإسلامي لذا أوجد له علماء السلف منهجا متميزا في الحفاظ على أصالته.

القرآن والتواتر لفظا ومعنى:

قد يكون من المناسب الوقوف على بعض الحقائق قبل الحديث عن تواتر القرآن لفظا ومعنى، ومنها: بيان المقصود بالتواتر معنى بالنسبة للقرآن الكريم، كيف تتميز عملية فحص مصداقية نصوص القرآن الكريم عن عملية فحص مصداقية الأنواع الأخرى من التراث المنقول إلينا من الماضي؟ وما وظيفة العقل، مقارنة بالنقل، وأيهما أسبق؟ وهل العقل هو الذي ينشئ قواعد التأكد من مصداقية آياته؟ أم أنه يكتشفها فحسب؟

المقصود بالتواتر لفظا ومعنى:

عبارة "لفظا ومعنى" يتردد كثيرا في كتب الحديث والفقه والتراجم، واللغة والتفسير، وتستخدم مجازا لتعنى التام أو المطابق تماما.([١١]) فالقول بتواتر القرآن

---

[٨]) العبيد، ص ٨-٩، ينقل قول البزدوي وأبي حنيفة وابن تيمية.

[٩]) سورة العلق: ١-٥.

[١٠]) سورة القيامة: ١٦-١٩.

[١١]) انظر مثلا: القرطبي، تفسير القرطبي ج٥: ٣٣٥؛ ابن خالويه، الحجة في القراءات ج١: ٨٦؛ الشمشاطي، الأنوار ١٥٩؛ ابن زكريا، مقاييس اللغة ج ١: ٣٦٣؛ السبكي، طبقات الشافعية ج٩: ١٠١؛ الحميدي، الجمع بين الصحيحين جزء ٢ صفحة ٤٦٤؛ ابن العربي، أحكام القرآن ج١: ٥٦٨؛ شرح فتح القدير جز١:

لفظا ومعنى ينطلق من هذا المعنى، وإلا فإن التواتر لفظا أمر واضح، إذ يمكن إدراكه حسا، سواء أكان مسموعا أو مكتوبا؛ وأما التواتر معنى ففيه غموض ــكما نبّه إليه محمد إغاثة.([١٢]) وذلك لأن المعنى غير محسوس وتتعدد معاني آيات القرآن الكريم بالنسبة للبشر، عبر الزمان والمكان. ولهذا لا بد من التأكيد بأن المقصود ب"التواتر معنى" أن القرآن الكريم هو كلام الله بألفاظه، وما يريده، سبحانه وتعالى، من كلامه محفوظ بحفظ ألفاظه. وذلك باعتبار أن المعنى مقيد بالألفاظ المحسوسة، وتابعة له، حسب مقاييسنا البشرية القاصرة. ويعبر الحكمي عن هذه الحقيقة فيقول "القرآن كلام الله عز وجل حقيقة حروفه ومعانيه، ليس كلامه الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف".([١٣]) وأما الفهم البشري لألفاظه فيتدرج بين الفهم الصائب لما يريده الله من ألفاظ القرآن وبين الفهم الخاطئ؛ ويتدرج بين الفهم الكامل لمعانيه والفهم الناقص. ومهمة التفسير هي مساندة المعرفة باللغة العربية في الوصول إلى الفهم الصائب أو الذي لا يخرج عن مراد الله، سبحانه وتعالى، بكلماته المحفوظة حسب الوسائل البشرية المحدودة.

وحتى بالنسبة للأقوال البشرية ومؤلفاتها أثبتت الدراسات العلمية بأن هناك فجوة بين قصد المؤلف وبين فهم القارئ بنسب متفاوتة،([١٤]) ولكنها موجودة، وصدق القائل "المعنى في بطن الشاعر". فالمعاني التي أرادها الله في القرآن الكريم، من باب أولى أن يتعدد فهمها أو يقصر عنها الفهم. والله وحده المحيط بها إحاطة تامة، وهي محفوظة عنده سبحانه وتعالى، بما في ذلك معاني الآيات التي وردت فيها قصص الأنبياء الذين كانوا يتحدثون بلغات غير العربية، ورواها القرآن باللغة العربية.

مناهج التحقق من تراث الماضي:

عند الحديث عن مناهج أو قواعد التحقق من مصداقية النصوص والأخبار الماضية يجب أن يتنبه الباحث إلى حقيقة بدهية، وهي ضرورة التفريق بين طبيعة المادة العلمية ومناهجها. فهل هي نصوص القرآن الكريم التي تشترط التواتر لفظا ومعنى؟ أو هي نصوص السنة التي يختلط فيها اللفظ البشري مع اللفظ المقدس؟ أو هي كتابات بشرية في صورة مخطوطة؟ أو هي روايات تاريخية عن أنشطة بشرية؟ فهذه المواد العلمية تختلف من حيث الطبيعة، ومن حيث الأهمية. ولهذا تحتاج كل واحدة منها منهجا يناسب طبيعتها، وأهميتها، من حيث الدقة والصرامة في الفحص، تتدرج بين الدقيقة جدا إلى أدنى درجات الدقة.

٣١٤؛ ابن تيمية، مجموع الفتاوى ج٦: ٣٥٥.

[١٢]) الشيخ محمد زيين العابدين ، عضو لجنة مراجعة المصحف في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف بالمدينة المنورة.

[١٣]) الحكمي، أعلام السنة المنشورة ج١: ٧٥.

[١٤]) انظر مثلا: Real; Agee et. Al pp.37-83. Al-Shabab and Baka؛ صيني، مدخل إلى الإعلام الإسلامي ص ٢٧٤.

ولو مثلنا لعملية التحقق بشيء محسوس سنجد أن المنخل أو الغربال هو أفضل ما يمثلها. والغرابيل أنواع، من حيث دقتها وصرامتها في تمرير المادة المنخولة. وهي في حالة التراث الإسلامي تتدرج بين طرفين، أحدهما يعتمد على النقل بصرامة، والآخر يتحكم فيها العقل الذي ميز الله به الإنسان:

دقيق وصارم -----------:-------------:---------------:----------- متساهل
القرآن السنة المخطوطة الرواية التاريخية

فمنهج علماء القراءات مناسب لنصوص القرآن الكريم، ومنهج المحدثين مناسب للأحاديث النبوية، ومنهج تحقيق المخطوطات والوثائق مناسب للمخطوطات والوثائق البشرية، ومنهج المؤرخين مناسب للروايات التاريخية.

نعم، هناك صفات تشترك فيها جميع هذه المناهج، ولكن هناك صفات يشترك فيها بعضها فقط. وهناك صفات ينفرد بها كل واحد منها. وكثيرا ما يغفل عن هذه الحقيقة حتى المتمرسون في مناهج الأبحاث التحقيقية، أو المتشدقون بها نظريا. فعملية التحقق درجات متفاوتة من حيث الدقة والصرامة.

فمثلا لو طبقنا منهج التحقق من قراءات القرآن الكريم على الأحاديث النبوية لما سلم منها سوى حديث واحد، وهو "من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار".([١٥]) تنطبق عليه صفة التواتر لفظا ومعنى. أما بقية السنة النبوية، فبالنسبة لهذا المنهج هي من "الشوائب"، غير معترف بها رسميا، وكأنه لا وجود لها. وذلك لأن شرط التواتر اللفظي لا يتوفر في نصوص السنة، فمعظمها وصف بشري لأفعال النبي، صلى الله عليه وسلم، وتقريراته؛ وكثير منها إعادة صياغة لأقواله. وهذا يعني أنه "لا تعاليم ولا أحكام تفصيلية قابلة للتطبيق في الإسلام إلا في حدود ضيقة جدا. وإذا طبقنا منهج المحدثين على "المخطوطات البشرية" فإننا سننكر وجود كثير منها، وذلك لأن الكتب المخطوطة لا تحظى –عادة- بالرواية على نطاق واسع، مثل الأحاديث النبوية؛ وهي أعمال بشرية ليست منشورة على نطاق واسع، فيسهل وضع الكثير منها وانتحالها.

وإذا طبقنا منهج المحدثين على الأحداث التاريخية، فإننا نضطر إلى إنكار وجود جل التاريخ الإسلامي. أما الأحداث التاريخية لغير المسلمين فتعد غير موجودة، إلا النزر اليسير مما ورد في الكتاب والسنة، وإن كنا نغرق في أحضان منتجاتهم. فالأحداث التاريخية هي أنشطة لبشر، ربما لم يثيروا الانتباه إلا بعد وفاتهم بسنين أو بقرون، وليست كأفعال النبي صلى الله عليه وسلم، وأقواله وإقراراته. فهي تحت المراقبة من أصحابه ، وهي نماذج للاقتداء بها، واعتنى المحدثون بحفظها والعمل على تنقيتها بصورة مستمرة.

ومسألة التفريق بين طبيعة المادة العلمية ومنهج حفظ النصوص وتحقيقها مسألة قديمة، فقد كان النبي، صلى الله عليه وسلم، يأمر بكتابة آيات القرآن الحكيم، ولكن كان يقول: "لا تكتبوا عني شيئا سوى القرآن؛ ومن كتب عني شيئا غير القرآن فليمحه". كما كان يقول بالنسبة لقصص اليهود والنصارى "لا تصدقوهم ولا

---

[١٥]) ابن الصلاح ص ٢٤٢؛ صيني، منهج أبحاث المحدثين، درجة المتواتر.

تكذبوهم، وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم، وإلهنا وإلهكم واحد، ونحن له مسلمون."[١٦]. ولهذا من الطبيعي أن يتشدد علماء الحديث في الأسانيد عندما يتعلق الأمر بأحاديث الأحكام، ويتساهلون في غيرها، مثل أحاديث الفضائل والمغازي. وفرّق كثير من المفسرين بين أسانيد تفسير آيات الأحكام، وأسانيد تفسير آيات الأخبار.[١٧]

العقل أو النقل أسبق؟

يتردد قول شائع يقول "النقل يسبق العقل"، ولكن هل هذا صحيح مطلقا؟ من المعلوم أن منهج التحقق الإسلامي يركز على نقد السند، أي درجة كفاءة الرواة واتصال سلسلتهم، ولكنه قد يلجأ إلى نقد المتن أيضا، أي استخدام العقل في نقد مصداقية التراث الموروث، لأن التراث الإسلامي ليس كله منزل من رب العالمين لفظا ومعنى. فجزء منه يختلط فيه اللفظ المقدس وغير المقدس، أي السنة النبوية التي تتألف من أقوال للنبي، صلى الله عليه وسلم، وأفعال وتقريرات يرويها أصحابه. وجزء منه بشري محض، أي روايات بشرية لأحداث بشرية.

فعلماء قراءات القرآن الكريم يحرم عليهم استخدام نقد المتن مع نصوص القرآن الكريم لأنه لفظا ومعنى من الله. فبعض الحقائق الجزئية والعامة التي وردت في القرآن الكريم يصعب أو يعجز الفهم البشري عن إدراكها واستيعابها. وقد يدركها إذا نمت الاكتشافات العلمية وتطورت.

وليس أمام علماء القراءات سوى نقد السند (النقد الخارجي) وهو النقد الذي يقود إلى أعلى درجات مصداقية النص، أي نسبته إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإلى الله، سبحانه وتعالى. فنصوص القرآن الكريم تمثل أعلى درجات النص المتواتر، الذي ينقسم إلى نوعين: متواتر باللفظ والمعنى، ومتواتر بالمعنى فقط. فالنوع الأول يعني أن البشر لم يتدخلوا في نصه بإضافة أو حذف أو تعديل أو بصياغة، .[١٨] فنسبته إلى الله خالصة، لا تشوبها شائبة. ولكن من يحدد ذلك؟ إنه العقل البشري الذي ميّز الله به الإنسان الذي علمه ما لم يعلم. وهنا يبرز سؤال: أيهما أسبق من حيث الترتيب الزمني: العقل أم النقل؟

إذا علمنا بأن العقل البشري، استنادا إلى إدراكه الحسي، هو الذي يحدد مصداقية نسبة النص إلى الله ودرجته فإننا ندرك أن العقل أسبق من النقل، ولكن إذا ثبتت نسبة النص القرآني إلى الله بصورة قطعية، فلا يمكن للعقل تجاوزه، وتقتصر وظيفته على بذل الجهد في فهمه، والإيمان به كما هو. ويكفي أن نستعرض قصة نقل عرش بلقيس من اليمن إلى القدس خلال طرفة عين. وذلك لأن النقل مصدره خالق الكون الذي خلق كل شيء ويعلم كل شيء. وأما العقل البشري فهو محكوم بحواسه المحدودة التي يدرك بواسطتها الواقع ويستنتج منه. وهنا نتساءل ما هي وظيفة العقل

[١٦] النيسابوري، المستدرك ج١: ٢١٦؛ أحمد، مسند ج ٣: ٢١.
[١٧] الطريفي، التقرير. ص ١٤-١٦، ٢٨-٣٢.
[١٨] صيني، منهج أبحاث المحدثين، الفصل الرابع.

بالنسبة لقواعد التحقق من النصوص المقدسة أو مقاييسها؟ هل هو إيجادها من العدم؟ أم اكتشافها من الطبيعة والواقع الموجود؟

هل ينشئ العقل قواعد التحقق؟

عند التأمل نجد أن الله خلق كل شيء ب"كن فيكون" ويديره كذلك، وخلق شبكات من السنن الكونية تُخلق بصورة مستمرة وتدير الكون بإذنه تعالى. يقول تعالى مثلا: {اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ **وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ**}. ولا تقتصر السنن الكونية على التحكم في الأشياء المادية، كما يتبادر إلي الذهن، ولكن في السلوك البشري أيضا. فمثلا يقول تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ}.([19]) فهناك سنة كونية تقضي بأن لا يَحدث تغيير في حياة الإنسان إلا أن يُحدث الإنسان تغييرا، في حدود مجال اختياره من الأسباب ذات النتائج الحتمية.([20])

وبعبارة أخرى، لا يُوجد العقل البشري القواعد والمقاييس من العدم، ولكنه يكتشفها بدرجات متفاوتة من الإتقان. فمنها ما تصل درجة إتقانه إلى ما نسميه بالقوانين الطبيعية أو السنن الكونية. ومنها ما لا يتجاوز إتقانه ما نسميها "فرضيات" أو درجة أكثر إتقانا نسميها "نظريات".([21]) وهو الغالب في مجال العلوم الإنسانية التي تتعامل مع المكونات البشرية غير المادية (غير العضوية): التكوين الروحي، والعقلاني، والعاطفي. فالمكونات الثلاثة الأخيرة لا تخضع للتجارب العلمية الحسية المباشرة، وهي تتفاعل مع الواقع ويؤثر بعضها على بعض بطرق هي في غاية من التعقيد، يصعب رصدها والتنبؤ بنتائجها، إلا في حدود نسبية. ووظيفة العقل هي اكتشاف هذه السنن الكونية التي تتحكم في فكر الإنسان وسلوكه. فمن المعلوم أن وظيفة العقل البشري تتمثل في: ([22])

١) إدراك الحقائق الجزئية والعامة (معلومات جاهزة، أو تجارب شخصية)
٢) تجميعها مستقلات أو مصنفة في مجموعات،
٣) حفظها أو تسجيلها،
٤) نشرها أو ترديدها،
٥) تنقيحها أو تطويرها،
٦) الاستنتاج منها: إما باستقراء مجموعة من الحقائق الجزئية لاكتشاف السنن الكونية، بدرجات متفاوتة من الإتقان، أو الاستنباط من حقائقها العامة لتطبيقها في الواقع. ومثالها الاستنباط من الكتاب والسنة للخروج بأحكام شرعية قابلة للتطبيق.

منسقة: تعدادات نقطية ورقمية

[19]) سورة الرعد: ٨، ١١.
[20]) إسماعيل، كشف الغيوم؛ صيني، تساؤلات جدلية، الفصل الثاني.
[21]) صيني، قواعد أساسية الفصل الثاني.
[22]) انظر مثلا: صيني، قواعد أساسية في البحث ص ٣٧-٤٤، ٧٩-٩٣.

وسائل حفظ القرآن لفظا ومعنى؟

نعم، يقول تعالى {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ.} ([٢٣]) فنحن نؤمن بأن القرآن الكريم من الله سبحانه وتعالى لفظا ومعنى؛ وأنه هو القادر على حفظه، ونؤمن بأنه محفوظ من التحريف. وعند استعمال مصطلح المحدثين نؤكد بأنه يمثل أعلى درجات المصداقية في نسبته إلى الله سبحانه وتعالى، أي أنه متواتر لفظا ومعنى. وهذه الدرجة لا يحظى بها إلا حديث نبوي واحد، كما سبق بيانه.([٢٤])

بيد أنه ثبت، أيضا، عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله، رحمة بعباده، أذن بالتعدد في طريقة قراءة بعض أحرفه أو كلماته، سواء أكانت مستقلة أو عند وصلها بأخرى. قال رسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "**أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ على حرْفٍ فرَاجَعْتُهُ فلم أزَلْ أسْتَزِيدُهُ ويَزِيدُنِي حتى انْتَهَى إلى سبْعَةِ أحْرُفٍ**". ويؤكد هذه الحقيقة قول عمَرَ بن الخَطَّابِ سمعت هشَامَ بن حَكِيمٍ يَقرَأُ سورَةَ الْفرْقَانِ في حيَاةِ رسول اللهِ، صلى الله عليه وسلم، فَاستَمَعْتُ لِقِرَاءَتِهِ فإذا هو يَقرَأُ على حروف كَثيرَةٍ لم يُقْرِئْنِيهَا رسول اللهِ، صلى الله عليه وسلم، فَكِدْتُ أُسَاوِرُهُ في الصَّلَاةِ فَتَصَبَّرتُ حتى سلَّمَ. فَلَبَّبْتهُ بردَائِهِ فقلت: من أَقرَأَكَ هذه السّورَةَ التي سَمِعْتكَ تَقرَأُ؟ قال أَقْرَأَنيهَا رسول اللهِ، صلى الله عليه وسلم. فقلت: كَذَبتَ، فإن رَسولَ اللهِ، صلى الله عليه وسلم، قد أَقْرَأَنيهَا على غَيرِ ما قَرَأتَ. فَانطَلَقْتُ بهِ أَقودُهُ إلى رسول اللهِ، صلى الله عليه وسلم، فقلت: إني سمعت هذا يَقرَأُ بِسورَةِ الْفرْقَانِ على حروف لم تقْرِئْنِيهَا. فقال رسول اللهِ، صلى الله عليه وسلم، أَرْسِلْهُ. اقرَأْ يا هشَامُ: فقَرَأَ عليه الْقرَاءَةَ التي سمعته يَقرَأُ. فقال رسول اللهِ، صلى الله عليه وسلم، كَذَلكَ أنْزِلَتْ. ثمَّ قال: اقرَأْ يا عمَرُ. فَقَرَأتُ الْقرَاءَةَ التي أَقْرَأني. فقال رسول اللهِ، صلى الله عليه وسلم، كَذَلكَ أنْزِلَتْ. إنَّ هذا الْقرْآنَ أنْزِلَ على سَبعَةِ أَحْرفٍ، فاقرؤوا ما تيَسَّرَ منه.([٢٥]) والسؤال: ما المقصود بسبعة أحرف؟

المقصود بسبعة أحرف:

قد يتساءل الإنسان عن موضوع نزول القرآن على سبعة أحرف، والقراءات العشر المعتمدة. هناك تفسيرات متعددة، ولكن يظهر من استقراء الكتابات حول الموضوع أن عبارة "أنزلت على سبعة أحرف"([٢٦]) تعني جواز تلاوة القرآن الكريم بلهجات متعددة من لهجات اللغة العربية واسعة الانتشار، حينها، دون قيدها بسبعة. ومن المعلوم أن اللغات يختلف بعضها عن بعض، باختلاف مفردات التعبير، سواء أكانت أسماء أو أفعال أو أحرف، مع وجود احتمال الاشتراك في بعض المفردات والتركيبات اللغوية الأساسية، وإن اختلفت في التفاصيل. وتتولد المفردات المشتركة بين اللغات عادة بسبب الاستيراد والتصدير، فالإنسان كائن اجتماعي حريص على التعارف والاختلاط بالآخرين. وأما اللهجات المتفرعة عن اللغة الواحدة، فالاختلافات بينها تتركز على طريقة النطق لبعض الأحرف، مثل الإدغامات والمدود

---

٢٣) سورة الحجر: ٩.

٢٤) انظر مثلا: ابن الصلاح ص ٢٤١-٢٤٢؛ الكتاني ٩-٢٤؛ صيني، منهج أبحاث المحدثين، الفصل الثالث.

٢٥) صحيح البخاري ج ٣: ١١٧٧ ، ج٤: ١٩٠٩.

٢٦) انظر مثلا: إسماعيل، القراءات ص ٣٧-٥٤.

وطريقة الوقف، وإمالة بعض الأحرف عند نطقها... وذلك إضافة إلى بعض المفردات المحدودة التي تختلف مدلولاتها من لهجة إلى أخرى، أو تنفرد بها لهجة عن غيرها.([٢٧]) وعلى وجه العموم، فإن أصل اللغة أو اللهجة أصوات متنوعة تظهر في شكل أحرف أو كلمات منطوقة في البداية، ثم يتم رسمها بدرجات متفاوتة من الإتقان، قابلة للتطوير.

ويقول ابن الجزري " والعرب يطلقون لفظ السبع والسبعين والسبعمائة، ولا يريدون حقيقة العدد، بحيث لا يزيد ولا ينقص. بل يريدون الكثرة والمبالغة من غير حصر". فمن الواضح أن رقم سبعة ومضاعفاتها لها حكمة ربانية لا نعلمها. ومن أمثلة هذه الاستعمالات، قوله تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ}، و{وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ}، و{وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ. لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ}.([٢٨]) ومما يدل على أنها ومضاعفاتها يُقصد بها الشمولية قوله تعالى: {إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ}، وقوله تعالى {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ}.([٢٩])

تواتر القرآن لفظا ومعنى والسنة:

من المعلوم أن النص المتواتر لفظا ومعنى يعني أن النص بلفظه ومعناه قد رواه مجموعة من الثقات الضابطين، ونقلوه إلى مجموعة من الثقاة الضابطين ... إلى أن يصل إلى آخر مجموعة من الرواة، إلى يوم الدين.([٣٠])

وقبل الدخول في تفاصيل موضوع تواتر القرآن الكريم، ينبغي التنبه إلى بعض الحقائق الرئيسة، ومنها:

أولا – وعد الله بحفظ القرآن وأصالته، وحسب اصطلاح المحدثين يعني هذا ضمان التواتر لفظا ومعنى. وأرسل نبيه محمدا، صلى الله عليه وسلم، رحمة للعالمين، ومن مقتضياته التيسير في قراءة القرآن مع الحفاظ على أصالته.

ثانيا - تختلف طبيعة القرآن الكريم، وطبيعة السنة النبوية، من أوجه:

١. قدسية ألفاظ القرآن الكريم تختلف عن قدسية ألفاظ السنة. فمثلا نحن نتعبد بتلاوة القرآن الكريم، وإن كان بدون فهم لمعانيه ولكن بأقل درجات التجويد، أي لا يشترط على القارئ المسلم معرفة العربية لينال الثواب الموعود به. وليس للحديث هذه الميزة.
٢. جميع المسلمين مطالبون بحفظ بعض نصوص القرآن الكريم، بالغيب، لأنهم مطالبون بقراءته في الفروض الخمس، وإن كانوا لا يفهمون العربية. وليست تلاوة السنة واجبة، ولاسيما على من لا يفهمونها.

---

[٢٧]) جعفر، القرآن ص ٤٠٦- ٤٣٥.
[٢٨]) سورة الحجر: ٤٣-٤٤.
[٢٩]) ابن الجزري، النشر ج١: ٢٦.
[٣٠]) انظر مثلا: صيني، منهج أبحاث المحدثين، درجة المتواتر.

٣. يقسم المحدثون الأحاديث النبوية إلى درجات متفاوتة في المصداقية: المتواتر لفظا ومعنى، وإلى المتواتر بالمعنى، والصحيح، المشهور، والحسن، والضعيف، والشاذ. وهذه التصنيفات لا تنطبق على نصوص القرآن الكريم.([٣١]) فنصوص القرآن إما أنها من كلام الله، ثبت بالتواتر، أو أنها قراءة علّمها جبريل النبي، صلى الله عليه وسلم، بإذن من الله،([٣٢]) ثبتت بالتواتر؛ أو هي قراءة مرفوضة. وأما الجدل الدائر حول اعتماد "القراءات الشاذة" كجزء من اللغة العربية، فمسألة مختلفة. فاللغة العربية كغيرها من اللغات كائن حي مستمر في النمو، وفي التغير بدرجة أقل من غيرها؛ وأما نصوص القرآن الكريم فهي كلام الله ثابتة، لا يعتريها التغيير والتبديل.([٣٣])
٤. يشترط المحدثون تصنيف الحديث النبوي في درجة المتواتر لفظا ومعنى أن تروي مجموعة من الثقات معلومين عن مجموعة من الثقات معلومين إلى أن يصل سنده إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، ألفاظا بعينها. أما بالنسبة للقرآن الكريم فكثير من ثقات المسلمين يحفظون القرآن كله أو بعضه، وينقلونه إلى الآخرين وكثير منهم ثقاة. وبعبارة أخرى، فإن شرط نقل مجموعة من الثقات القرآن إلى مجموعة أخرى مضمون بصورة تلقائية، لا يشترط رواة محددين. والقراءات المعتمدة قراءات شائعة، يوجد من الصحابة والتابعين من يتقنها كلها أو جزءا منها، فلا نحتاج إلى معرفة القراءة المروية بصورة محددة بين مجموعتين من الثقات.

وسائل حفظ القرآن قراءةً:

لقد وعد الله بحفظ القرآن من التحريف، وتمت كتابته في حياته، صلى الله عليه وسلم، ثم تم جمعه في مجلد واحد بعد وفاته بعام تقريبا. ثم تم توحيده وتعميمه عام ٢٥ للهجرة، أي بعد ١٤ سنة فحسب من وفاة النبي، عليه الصلاة والسلام. أما الكتب المقدسة السابقة، فلم تحظ بهذا الوعد، فانحرفت بعض التعاليم الربانية، واختلط بعضها بالتعبيرات البشرية، واندس فيها بعض أخبار دعاة المسيحية، بعد وفاة عيسى، عليه السلام.([٣٤])

وكما أوردنا سابقا، تم حفظ القرآن الكريم كتابة في عهد النبي، صلى الله عليه وسلم، والوحي ينزل به. وتم حفظه رواية، أي سماعا من مجموعة من الصحابة، رضوان الله تعالى عليهم، إلى مجموعة أخرى من الصحابة، وإلى بعض التابعين

---

[٣١]) ابن الجزري، النشر ص ٩-١٧؛ إسماعيل، القراءات ص ٩١-٩٣؛ جعفر، القرآن ص ٤٧١-٥١٥؛ ويلاحظ على تعريف المتواتر" بأنه ما رواه جمع عن جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب" فيه نظر، وذلك لأن العبرة بدرجة الثقة وتعدد الرواة، وليس عددهم. انظر صيني، منهج أبحاث المحدثين، الفصل الثاني.

[٣٢]) يدل على ذلك نص الحديث ""**أَقْرَأَنِي جبْرِيلُ على حرْفٍ فرَاجَعْتُهُ فلم أزَلْ أسْتَزِيدُهُ ويَزِيدُنِي حتى انْتهَى إلى سبْعَةِ أحْرُفٍ** ".

[٣٣]) سالم، القراءات ص ٥٥-٦٣، والمراجع التي اعتمد عليها.

([٣٤]) إسماعيل، مبادئ العقيدة بين الكتاب.

بأسانيد متصلة. فكانت الرواية هي الوسيلة الوحيدة لنشره، ولتعلمه، خلال فترة لا تتجاوز نصف الجيل الواحد. وكان نقله إلى الآخرين واحدة من الوظائف الرئيسة التي قام بها الصحابة الذين انتشروا في كافة أنحاء الدولة الإسلامية، ومنهم من يحفظ القرآن كله.

فتم حفظ القرآن الكريم بألفاظه ونطقه في الذاكرة، وتم نقله بين الراوي والمتلقي بالرواية الشفوية المباشرة بينهما. ولهذا كان من الطبيعي أن يسند الله هذه الوسيلة بنظام تطبيقي، مثل الحث على حفظه بالغيب، وكثرة مراجعته، بصورة علنية، وسط جمهور يتفاوت عدده، وكمية ما يحفظه من القرآن، ودرجة إتقانه في التلاوة. ويتمثل هذا النظام الدوري: اليومي، والأسبوعي، والسنوي، الذي يقوم بوظيفة التحفيظ والنقل ونقاط "التفتيش" الصالحة للمجتمع الأمي، فيما يلي:

١. فرض قراءة بعض الآيات في الصلاة، سواء أكان المسلم يفهم العربية أو لا يفهمها. فالمسلم مطالب بأداء خمس صلوات يوميا، يقرأ فيها سورة الفاتحة وعدد من الآيات من ذاكرته. وجعل لحفظه غيبا أجرا كبيرا.
٢. جعل القراءة جهرا في ثلاث من الصلوات المفروضة يوميا، لتكون نقاط تفتيش دورية مكثفة، تقوم بوظيفة صمامات الأمان لاكتشاف الأخطاء ولضمان حفظ أصالة القرآن. فقد لا يحفظ أحد المصلين إلا سورا معدودة، يتقنها، ويخطئ الإمام الذي قد يكون حافظا للقرآن كله، في لفظ منه، فيرد عليه، على مسمع من المصلين الآخرين، فيستفيد الإمام وبقية المصلين.
٣. أوجب صلاة الجمعة، وسن القراءة الجهرية في صلاة التراويح الجماعية وفي صلاة العيدين جماعة، وحث على صلاة التهجد، لتكون وسيلة أسبوعية وسنوية لحفظ القرآن.
٤. حث على كثرة تلاوة القرآن. يقول الله تعالى:{... **وَأُمِرْتُ** أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ. **وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ**...}([٣٥]) وثبت عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قوله: "إن هذا القرآن مأدبة الله فاقبلوا من مأدبته ما استطعتم... **اتلوه**. فإن الله يأجركم على تلاوته كل حرف عشر حسنات. أما إني لا أقول ألم حرف، ولكن ألف ولام وميم."([٣٦]) ومن الواضح أن الأمر "اتلوه" لا تعني ترديده، مجردا من أقل درجات التجويد. فالله سبحانه وتعالى يأمر بترتيله:{قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا. نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا. أَوْ زِدْ عَلَيْهِ **وَرَتِّلِ** الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا.}([٣٧]) فالترتيل مطلوب، وإن لم تكن الصلاة فريضة. ومن المعلوم أن الحد الأدنى من الوقت لقراءة الجزء الواحد بالتجويد من الذاكرة يستغرق بين الثلث ساعة إلى الربع ساعة. وهذا يعني أن من يدَّعي ختم القرآن في ركعة واحدة معناه أنه وقف منتصبا

---

[٣٥]) سورة النمل : ٩١ –٩٢.
[٣٦]) النيسابوري، المستدرك على الصحيحين ج١: ٧٤١؛ مسلم، صحيح ج١: ٥٤٩؛ الدارمي، سنن ج٢: ٥٢٣.
[٣٧]) سورة المزمل: ٢-٤.

"مصلوبا" حوالي سبع ساعات، على أقل تقدير، لأن المحافظة على وضع الخشوع مطلوب في الصلاة!

٥. جعل الاستشهاد بنصوص القرآن الكريم سنة في خطبة صلاة الجمعة الأسبوعية، وفي الدروس الدينية الشفوية والمكتوبة.

وقد يعجب من يزور المجتمعات المسلمة، غير العربية، من طريقة استفادة هذه المجتمعات من هذا النظام. فمثلا، هناك عادة في مساجد كثيرة في قرى الصين، يقرأ فيها المصلون أو بعضهم سورة بعينها لعدد من الأيام بطريقة منتظمة، عقب صلاة الفريضة. يقرأ الإمام أول السورة، ثم يقرأ أحد طلبة العلم أو أحد المصلين الآية التي تليها، ... إلى أن تكتمل السورة. فينتهي الأمر، بعد مدة، إلى أن يحفظ المصلون أو بعضهم السورة كلها أو جزءا منها، ويصبح قادرا، وإن كان أميا، على تصويب الإمام أو غيره إذا أخطأ فيها. وبعبارة أخرى، لم يجعل الله حفظ القرآن من التحريف مهمة خاصة بمجموعة من المتخصصين، في مثل حالة الأحاديث النبوية، ولكن جعله من مهمة جميع المسلمين البالغين جبرا، واختيارا، لكل من يحفظه أو يحفظ جزءا منه.

وعلى وجه العموم للحديث عن موضوع تواتر ألفاظ القرآن الكريم وقراءاته نحتاج إلى تقسيمه إلى عدد من المراحل التي مرت بها القراءات المعتمدة.

أصل القرآن ومصدره:

كان الوحي الخاص بالقرآن الكريم يتم بالتلقين شفويا، بصورة مباشرة بين جبريل والنبي، صلى الله عليه وسلم. وكما نقلها جبريل، عليه السلام، إلى محمد، صلى الله عليه وسلم، نقلها النبي إلى المئات من أصحابه البررة قراءة. وإضافة إلى ذلك كان يأمر بكتابة ما ينزل عليه بالوسائل المتوفرة، مثل الريشة والحبر والجزء العريض من جريد النخل، والعظمة المسطحة في أفخاذ الحيوانات، ورقائق الحجارة، والجلد، وربما بعض قطع الطين المحروقة. فالورق الخاص بالكتابة لم يكن متوفرا بالصورة التي توفرت فيما بعد.

مكونات القرآن المدركة حِسًّا:

يتكون القرآن الكريم من المعاني التي تظهر في هيئة سور، وآيات، وكلمات وأحرف. وليس هناك اختلاف في كون ترتيب آياته في السور توقيفي. وهناك نقاش حول ما إذا كان ترتيب سوره توقيفي، ولكن صاحب الإتقان أورد أقوالا لعدد من العلماء تؤكد بأن ترتيب الآيات والسور، أيضا، توقيفي.([٣٨])

وثبت عن ابن عبَّاسٍ، رضي الله عنهما، أنه قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم أَجْوَدَ الناس بِالْخيْرِ وأَجْوَدُ ما يكُونُ في شهْرِ رمَضَانَ؛ لِأَنَّ جبْرِيلَ كان يلْقَاهُ في كل ليْلَةٍ في شَهرِ رمَضَانَ حتى يَنْسَلِخَ، يَعْرِضُ عليه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، الْقرْآنَ..." وروى أبو هرَيْرَةَ، رضي الله عنه، أن جبريل كان يَعْرِضُ على النبي، صلى

---

[٣٨]) السيوطي، الإتقان ج١: ١٦٩- ١٧٤؛ جعفر، القرآن والقراءات ٣٦-١٥٦.

الله عليه وسلم، الْقرْآنَ كلَّ عامٍ مرَّةً فعَرَضهَ عليه مَرَّتَينِ في العَامِ الذي قبِضَ فيه. وكان يَعْتَكفُ كلَّ عامٍ عَشرًا فَاعتَكَفَ عشْرِينَ في العَام الذي قُبِضَ فيه.(٣٩)

وهنا يبرز سؤال يحتاج إلى إجابة منطقية. لقد راجع النبي، صلى الله عليه وسلم، القرآن مع جبريل، عليه السلام، مرتين، بعد نزول القرآن بأكمله، في آخر رمضان للنبي، صلى الله عليه وسلم، أي أن المراجعة كانت متتابعة، فأي الاحتمالات أقرب للعقل:

١- راجعه حسب ترتيب نزول القرآن؟

٢- راجعه حسب ما يخطر في ذهن جبريل أو النبي من السور؟

٣- راجعه حسب الترتيب التوقيفي للآيات وللسور؟

إن الإجابة الطبيعية تجزم بأن النبي، صلى الله عليه وسلم، كما كان يرشد كُتّاب الوحي إلى ترتيب آياتها في السور كان يرشدهم، أيضا، إلى ترتيب السور.

جمع القرآن في مجلد واحد:

يقول زَيدَ بن ثَابتٍ الْأَنْصَاريَّ رضي الله عنه، الذي كان يَكْتبُ الوَحْيَ للنبي، صلى الله عليه وسلم،: أَرسَلَ إليّ أبو بَكرٍ، بعد مَقتَلَ أَهلِ اليَمَامَةِ وَعنْدَهُ عمَرُ فقال: إنَّ عمَرَ أَتَاني فقال إنَّ القَتْلَ قد استَحَرَّ يوم اليَمَامَةِ بالنَّاسِ وَإنِّي أَخشَى أنْ يَسْتَحرَّ الْقتْلُ بالْقُرَّاءِ في الْمَوَاطنِ، فيَذْهَبَ كَثيرٌ من القُرْآنِ إلا أنْ تجْمَعُوهُ، وَإنِّي لأَرَى أنْ تجْمَعَ القُرْآنَ. قال أبو بكْرٍ قلت لعُمَر: كيْفَ أَفْعَلُ شيئا لم يفْعَلْهُ رسول اللهِ، صلى الله عليه وسلم؟ فقال عُمرُ هو والله خيْرٌ. فلم يزَلْ عُمرُ يُرَاجعُنِي فيه حتى شرَحَ الله لذَلِكَ صَدْري، ورَأَيْتُ الذي رأَى عُمرُ. قال زيْدُ بن ثَابتٍ وعُمَرُ عنْدَهُ جَالسٌ لا يتَكَلَّمُ. فقال أبو بَكرٍ إنَّكَ رجُلٌ شابٌّ عاقِلٌ، ولا نتَّهِمُكَ، كُنتَ تَكتُبُ الوَحْيَ لِرسُولِ اللهِ، صلى الله عليه وسلم، فتَتَبَّعْ القُرْآنَ، فَاجمَعْهُ. فوَاللَّهِ لو كلَّفَنِي نَقلَ جبَلٍ من الجِبَالِ ما كان أَثقَلَ علَيَّ مِمّا أَمَرَنِي بهِ من جَمعِ القُرْآنِ، قلت كَيفَ تَفعَلَانِ شيئا لم يَفعَلْهُ رسول الله، صلى الله عليه وسلم؟ فقال أبو بَكرٍ. هو والله خَيرٌ. فلم أَزَلْ أُراجِعُهُ حتى شرَحَ الله صَدرِي لِلّذِي شرَحَ الله له صَدرَ أبي بَكرٍ وعُمَرَ، فَقُمتُ فَتَتَبَّعتُ القُرْآنَ أَجمَعُهُ من الرّقاعِ وَالأَكْتَافِ وَالعُسُبِ وصُدُورِ الرِّجالِ حتى وَجَدتُ من سُورةِ التَّوبَةِ آيَتَينِ مع خُزَيمَةَ الأَنْصَارِيِّ لم أَجِدهُمَا مع أَحَدٍ غَيرِهِ {لقد جاءَكُمْ رسُولٌ من أَنفُسِكُمْ عزِيزٌ عليه ما عنِتُّمْ حريصٌ عَلَيكُمْ} إلى آخِرهِما. وكَانَتْ الصّحُفُ التي جُمِعَ فيها القُرْآنُ عِندَ أبي بَكرٍ حتى توَفَّاهُ الله، ثمَّ عِندَ عُمرَ حتى توَفَّاهُ الله، ثمَّ عنْدَ حفْصَةَ بنت عُمرَ. وورد في روايتين أخريتين، كانت الآيتان مع أبي خُزيْمَةَ الْأَنْصَارِيِّ، وفي ثالثة شك الراوي، وقال مع خُزيْمَةَ أو أبي خُزيْمَةَ؛ والأرجح هو أبو خزيمة الأنصاري.(٤٠)

ويصعب علينا تخيل كم كوما احتاجه الصحابة من هذه الرقاع والأكتاف والعسب لكتابة القرآن الكريم بأكمله. وما الطريقة التي تم استخدامها لحفظها؟ هل كانت موجودة في هيئة أكوام في غرفة واحدة، يصعب فرزها وترتيبها، مع صعوبة

---

٣٩) البخاري، صحيح ج٤: ١٩١١؛ العسقلاني، فتح الباري ج ٩: ١٥.

٤٠) البخاري، صحيح ج٤: ١٧٢٠؛ العسقلاني، فتح ج٩: ١٣- ١٥؛

الحصول على الأرفف، في عهد النبي، صلى الله عليه وسلم؟ أم كانت موزعة عند بعض الصحابة ليحفظوها عندهم مع أمتعتهم المحدودة؟

أما في عهد أبي بكر الصديق فتم جمع المكتوب بإملاء النبي، صلى الله عليه وسلم، في مجلد واحد. ولعل مما ساعد على ذلك هو توفر الورق، الذي لم يكن موجودا في المدينة وما حولها، سابقا. وتمت مطابقته بما يحفظه كثير من الصحابة، المعلوم هويتهم، عن النبي مباشرة، أو عن صحابي معلوم الهوية أيضا. وتم الجمع **بلجنة** كان منها أُبيّ ابن كعب، برئاسة زيد بن حارثة الذي لم ينفرد بتنفيذ المهمة. ومما يؤكد أن عملية الجمع كانت مجهودا جماعيا، وليس فرديا، قول أبي بن كعب، مثلا "أنهم جمعوا القرآن في مصاحف في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، **فكان رجال يكتبون، ويملى عليهم أبي بن كعب.** فلما انتهوا إلى هذه الآية من سورة براءة..."(٤١)

وبعبارة أخرى، ما ورد من أن اللجنة التي كان يشرف عليها زيد لم تجد آية {لقد جاءكم رسول من أنفسكم} إلا عند أبي خزيمة ولم تجد آية {من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه} إلا عند خزيمة بن ثابت، لا يعني أن الرواية كانت آحادية. فالواضح من السياق، أي عبارات أُبَيّ وزيد، أنهم لم يجدوها **مكتوبة**، فهما كانا يذكرانها حفظا في صدزرهما.(٤٢) ويضاف إلى ذلك أن عدد الذين حفظوا القرآن كله، في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، اختلفت الروايات فيه بين الأربعة والسبعة، وعند وقوع معركة الجمل وصلوا إلى السبعين.(٤٣) كما أن كثيرا من الصحابة الذين يحفظون القرآن أو جزءا منه، عند جمع القرآن، كانوا متفرقين في الأمصار. وحتى ما جرى من الخصومة بين عمر ابن الخطاب وهشام بن حكيم، أو أبي وعبد الله بن مسعود لا يعني أنهما كانا ينفردان بقراءاتهما، بل يؤكد فعالية "نقاط التفتيش" سابقة الإشارة. ومن المعلوم أن زيدا لم يضطر إلى الوصول إلى جميع الصحابة الموجودين في المدينة ومن حولها، فضلا عن الذين ماتوا وعن الذين تفرقوا في البلاد. وليس هناك إلا قرآن واحد مكتوب تم جمعه في عهد الخليفة الأول، وإن كان بدون نقاط أو تشكيل. ويبدو واضحا من القصاصة التالية للكتابات القديمة للقرآن الكريم أن الخط يميل إلى ما يسمى بالخط الكوفي، وبدون نقط أو تشكيل. وقد تم جمع القرآن الكريم في السنة الحادية عشرة التي توفي فيها النبي، صلى الله عليه وسلم.

---

(٤١) البخاري ج٤: ١٧٩٤-١٧٩٥، ج ٦: ٢٦٢٩؛ أحمد ج ٥: ١١٢، ١٨٨.

(٤٢) البخاري جزء ٤ صفحة ١٧٢٠، ١٩٠٨؛ العسقلاني، فتح ج ٩: ١٤.

(٤٣) الجزري ج٢: ٤٧٧-٤٨٥، ٥٠١-٥٠٨؛ التوبة: ١٢٨، والأحزاب: ٢٣؛ البخاري ج ٣: ١٣٨٦؛ مسلم ج٤: ١٩١٤؛ الطبقات الكبرى ج٤: ٢٨٨.



فالمخطوطة القُرآنيَّة الموجودة بِجامعة بِرْمِنقْهام، التي تعود إلى القرن الهجري، الأول تؤكد أن الأحرف العربية لم تكن مَنقوطة ولا مُشكّلة،([٤٤]) وكانوا ينطقون بالألفاظ مضبوطة بحسب سليقتهم وفطرتهم العربية المتأصلة فيهم. فألسنتهم مستقيمة تنطق بالألفاظ وتركيبات اللغة العربية، من غير حاجة إلى معرفة القواعد التي تم اكتشافها لاحقا. وكان المُعوَّل عليه في قراءة القرآن هو التلقي والسماع والحفظ غيبا، فلم تكن هناك حاجة إلى النقط والتشكيل.([٤٥])

وهناك نقاش حول ما إذا كانت النقط أو علامات التشكيل معروفة أو غير معروفة، عند نسخ القرآن لتعميمه، في عهد الخليفة الراشد عثمان، والأرجح أنها لم تكن موجودة، عند نسخه. فقد أبدعها أبو الأسود الدؤلي، الذي عاش ٥٣ عاما، ومات عام ٦٩ للهجرة. وتم ذلك في عهد الخليفة الراشد علي ابن أبي طالب الذي مات عام ٤٠ للهجرة. وهناك قول بأن التنقيط حصل في عهد عبد الملك ابن مروان الذي تولى الحكم عام ٦٥ للهجرة، حيث أمر الحجاج بالعناية بهذا الموضوع، فندب الحجاج لهذه المهمة اثنين هما: نصر ابن عاصم الليثي، و يحيى ابن يعمر العدواني. ويبدو أن هذه العملية قد بدأت في عهد الخليفة الراشد الرابع، وأخذت صورتها النهائية في عهد عبد الملك، الخليفة الأموي الخامس.([٤٦])

وسواء أكانت كتابة القرآن بدون النقط والتشكيل اختيارا أو اضطرارا، فقد وفرّت هذه الكتابة الفرصة لاستيعاب جزء كبير من القراءات المختلفة المعتمدة.([٤٧]) وهذا مما يؤكد أن اختلاف القراءات ليس له تأثير هام في معاني القرآن الكريم.

وهنا نلاحظ أن التواتر قد توفّر للقرآن الكريم ولقراءاته عند جمعه في مجلد واحد، وشاءت إرادة الله أن تكون الأحرف العربية، وقتها، غير منقوطة لتفرق مثلا، بين: الباء والتاء والياء، والنون وغير مُشكَّلَة، لتحدد إعراب بعض الأسماء والأفعال

---

[٤٤]) ينبه المؤلف أن كلمة منقوطة تعنيفي الاصطلاح القديم أنها غير مشكلة لأن التشكي كان على هيئة نقاط، وأما هنا فيقصد المؤلف بالمنقوطة أي التي على أحرفها نقط تميز بينها (المعجمة) ، والمُشكّلة التي عليها علامات الحركة.

[٤٥]) مجهول http://www.nytimes.com/2015/07/23/world/europe/quran-fragments-university-birmingham.html?_r=0

[٤٦]) الزرقاني، مناهل ص ج١: ٢٥٩-٢٦٣.

[٤٧]) ابن الجزري، النشر ج١: ٣١؛ نقط المصاحف جزء ١ صفحة ٢؛ شاهين، كتاب تاريخ القرآن ص ١٠٥-١١٥؛ الصغير، تاريخ القرآن الكريم، الفصل الخامس.

القابلة للتعدد، بدون تغيير للمعنى **الأساس** للكلمة أو العبارة أو الجملة. ثم بدأت الكتابة بالعربية في التطور، في نهاية الخلافة الراشدة، فظهرت النقط والتشكيل على الأحرف، وأصبح من المتيسر قراءة القرآن المكتوب لمن لا يعرف العربية، ولكن يعرف أحرفها وعلامات تجويد القراءة.[٤٨]

التواتر بعد التعميم في عهد عثمان:

قَدِمَ حُذَيْفَةَ بن اليَمَانِ على عثْمَانَ، وكان يغَازِي أَهلَ الشام في فَتْحِ إِرْمِينِيَةَ وَأَذْرَبِيجَانَ مع أَهلِ الْعرَاقِ فَأَفْزَعَ حذَيْفَةَ اخْتِلَافهُمْ في الْقِرَاءَةِ. فقال حذَيْفَةُ لِعثْمَانَ يا أَمِيرَ الْمؤْمِنِينَ أَدْرِكْ هذه الْأُمَّةَ قبل أَنْ يَخْتَلِفوا في الْكِتَابِ اخْتلَافَ الْيَهودِ والنَّصَارَى. فَأَرسَلَ عثْمَانُ إلى حَفصَةَ أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصّحُفِ نَنْسَخهَا في الْمَصَاحفِ ثمَّ نَردُّهَا إِلَيْكِ. فَأَرسَلَتْ بها حَفصَةُ إلى عثْمَانَ فأَمَرَ زَيدَ بن ثَابتٍ وَعَبدَ اللهِ بن الزّبَيْرِ وَسَعيدَ بن العَاصِ وَعَبدَ الرحمن بن الْحَارثِ بن هشَامٍ فَنَسَخوهَا في الْمَصَاحفِ، وقال عثْمَانُ للرَّهْطِ الْقرَشِيّينَ الثّلَاثَةِ **إذا اخْتَلَفْتمْ أَنْتمْ وَزَيدُ بن ثَابتٍ في شَيءٍ من الْقرْآنِ فَاكْتبُوهُ بِلِسَانِ قرَيْشٍ فَإِنَّمَا نزَلَ بِلِسَانِهِمْ**. فَفَعَلوا حتى إذا نَسَخوا الصّحُفَ في الْمَصَاحفِ ردَّ عثْمَانُ الصّحُفَ إلى حَفصَةَ وَأَرسَلَ إلى كل أُفقٍ بِمصْحَفٍ ممَّا نَسَخوا **وأَمَرَ بِمَا سوَاهُ من الْقرْآنِ في كل صَحيفَةٍ أو مصْحَفٍ أَنْ يُحْرَقَ**.[٤٩] لقد كان قرار الخليفة الثالث عند الاختلاف اعتماد لسان قريش في منتهى الحكمة، ليس فقط للسبب الذي احتج به فحسب، ولكن لأن لهجة قريش تُعد مثل اللغة الرسمية، لتفاعل اللهجات بها، أخذا وعطاء، في موسم الحج.[٥٠]

ويؤكد السيوطي القول بأن هدف الخليفة الثالث هو توحيد المسلمين على نسخة موحدة. وأما الجمع في مجلد واحد فقد قام به زيد في عهد أبي بكر الصديق. ويقول رواية عن العسقلاني أن النسخ والتعميم لم يكن عام ثلاثين، ولكن كان في سنة خمس وعشرين، أي بعد أربعة عشر عاما من وفاة النبي، صلى الله عليه وسلم. وكان عثمان يتعاهدهم فكانوا إذا تدارؤوا في شيء أخّروه، **لينظروا أحدثهم عهدا بالعرضة الأخيرة**، فيكتبونه على قوله. ويروي ابن أبي داود بسند صحيح أن عليّا، الخليفة الراشد الرابع، قال: لا تقولوا في عثمان إلا خيرا. فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منا. قال: ما تقولون في هذه القراءة فقد بلغني أن بعضهم يقول إن قراءتي خير من قراءتك. وهذا يكاد يكون كفرا؟ قلنا: فما ترى؟ قال: **أرى أن يجمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقة ولا اختلاف**. قلنا: نِعْم ما رأيت.
وعن الفرق بين ما عمله حذيفة ولجنته في عهد أبي بكر وفي عهد عثمان يقول ابن التين وغيره: الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان أن جمع أبي بكر كان لخشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب جملته، لأنه لم يكن مجموعا في موضع واحد، فجمعه في صحائف، مرتبا لآيات سوره على ما وقفهم عليه النبي، صلى الله عليه وسلم.

---

[٤٨]) شاهين، كتاب تاريخ القرآن، الفصل الخامس، السيوطي، الإتقان ج٢: ١٦٦-١٧٣.

[٤٩]) البخاري، صحيح البخاري ج٤: ١٩٠٨؛ ومن الواضح هنا أن اللجنة التي ألّفها عثمان لم تنقل **كل القراءات** التي كانت موجودة في المصحف الذي تم جمعه في عهد أبي بكر الصديق، فهدف لجنته هو التوحيد، وليس الحصر للقراءات. وهذا يختلف عن حذف بعض **الآيات أو الكلمات** الأساسية من القرآن.

[٥٠]) انظر مثلا: سالم، القراءات ص ٢٩- ٣٣، والمراجع التي اعتمد عليها.

وأما جمع عثمان كان لمّا كثر الاختلاف في وجوه القراءة حتى قرؤوه بلغاتهم على اتساع اللغات، فأدى ذلك بعضهم إلى تخطئة بعض، فخشي من تفاقم الأمر في ذلك فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد مرتبا لسوره، واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش، محتجا بأنه نزل بلغتهم، وإن كان قد وُسِّع قراءته بلغة غيرهم، رفعا للحرج والمشقة في ابتداء الأمر. **فرأى أن الحاجة إلى ذلك قد انتهت فاقتصر على لغة واحدة.**([٥١])

وسواء أكانت القراءات التي اختلف عليها الناس من القراءات المجازة العشر أم لم تكن منها، فقد جاء مصحف عثمان ليزيل الزيادات الطارئة أو التي تخرج عن العرضة الأخيرة. وهذا سبب وجيه في استبعاد بعض القراءات المحدودة التي كان بعض كبار الصحابة يقرأون بها، وأثبتها بعض المحدثين، ومنهم البخاري في صحيحيه.([٥٢])

وجاءت النسخ التي تم نسخها وتعميمها على المناطق الإسلامية، في عهد عثمان ابن عفان، رضي الله عنه، فوضعت إطارا مجسدا للقراءات، فاستبعدت بعض المنتشر قبلها، وفرضت الحماية على الثابت منها بعد التوحيد. ولكن يقول بعض المختصين بأن النُّسخ التي نُسخت في عهد عثمان كانت تتضمن القراءات العشر مفرقة في النسخ التي أرسلت إلى الأمصار([٥٣]) أي أن النسخ تتنوع في القراءة.

وهذا القول فيه نظر، وذلك لأنه يتعارض مع السبب الثابت الذي من أجله تم إعداد نسخ متعددة لما جمعه أبو بكر في عهده، وتعميمه على الأمصار الإسلامية. وإن وُجِد شيء من الاختلاف، غير المتعمد، فذلك نتيجة طبيعية لظروف الكتابة بالقلم والدواة وندرة الأوراق، ولكون أحد الصحابة يملي وعدد منهم يكتبون. وسواء أتمت المراجعة الجماعية أو الفردية للنسخ أو لم تتم، فهي اختلافات لا تخرج عن دائرة القراءات الثابتة، ومحدودة جدا. فالسبب صريح بأن الهدف من هذه النسخ هي قطع دابر الخلاف في القراءة، وإغلاق لأبواب الفتن التي أدى الاختلاف إليها، وليس لتأجيج هذا الخلاف بصورة رسمية.

ويلحق بهذا أننا لسنا في حاجة إلى مساندة مصداقية القراءات العشر بقصص خيالية، قد تطعن في المصداقية، وذلك بترديد قصة ربما اخترعها معاد للإسلام ماكر، مثل القصة التي تقول بأن أحد كبار القراء كان أصما، لا يسمع الأجراس، ولكنه كان يسمع تلاوة القرآن الكريم.([٥٤])

مقياس صدق القراءة:

يقول ابن الجزري، مسندا أقوال آخرين: **كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه،** و**وافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً** و**صح سندها، فهي القراءة الصحيحة** التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها. بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها سواء كانت عن الأئمة السبعة، أم عن العشرة، أم عن

---

[٥١]) ابن الجزري، النشر ص ح١: ٢٢، ٣١؛ السيوطي، الإتقان ج١: ١٦٥- ١٦٦؛ الجديع المقدمات الأساسية.

[٥٢]) ابن الجزري، النشر في القراءات ج١: ٨، ١٤؛ جعفر، القرآن ص ٢٠١- ٢٧٤.

[٥٣]) جعفر، القرآن ص ٥٤-٥٧ ؛ إسماعيل، القراءات ص ٩٤.

[٥٤]) لأن معدل القراءة للصفحة الواحدة من القرآن المطبوع في ٥٢٠ لا تقل عن الدقيقة والنصف لكل صفحة.

غيرهم من الأئمة المقبولين.(٥٥) وهو قول فيه الكثير من الصواب، مع بعض التعديلات، منها:

١. قبل تعميم المصحف الذي جُمع في عهد أبي بكر الصديق كان الاعتماد كله في مصداقية القراءة المحددة وتواتر القرآن على الحفظ غيبا وعلى نقل الثقة عن الثقة، أي من الصحابي إلى الصحابي، أو إلى التابعي المشهود له بالعدالة والضبط.
٢. بعد تعميم المصحف الموحد في عهد عثمان ابن عفان أصبح المصحف المعمم، غير المنقوط وغير المُشكّل، ولم تعد الرواية هي المعيار الوحيد للمصداقية، ولكن اشترك معها المصحف المعمم في القيام بهذه الوظيفة.
٣. جاء معيار اللهجات العربية في الدرجة الثالثة.

وشكّلت هذه المقاييس الثلاثة معايير يُحتكم إليها لإثبات نسبة القراءة المحددة إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، وليحميها من الخروج عن التعدد الثابت عنه في المراجعة الأخيرة مع جبريل، عليه السلام. فابن الجزري يقول إذا ثبتت الرواية وجب الأخذ بها وإن كانت حجتها في العربية ضعيفة. (٥٦) ومن الطبيعي أن يأتي معيار موافقة اللهجات العربية مجرد سندٍ للمعيارين السابقين، وذلك لأن اللغة كائن حي، تنمو مفرداتها بالاشتقاق وبالتبني وتتغير مدلولاتها بدرجات متفاوتة مع الزمن. وهذا، مع أن التغيُّر في اللغة العربية، هو الأقل بين اللغات، لوجود نموذج مجسم لها، يتمثل في القرآن الكريم المتواتر لفظا ومعنى، والذي يكثر استعماله بصفته النموذج الأعلى (اللغة العربية الرسمية). وتم استنتاج قواعد النحو في اللغة العربية، من الاستعمال القرآني لها، واستعمال النبي، صلى الله عليه وسلم، ومن استعمالات العرب، وعلى رأسها استعمال قريش.

اعتماد القراءات العشر:

اتضح مما سبق أن الحفظ عن ظهر غيب والذي تسنده الكتابة غير المنقوطة وغير المُشكّلة هو الوسيلة التي تم الاعتماد عليها في حفظ القرآن الكريم، سواء في حياته، صلى الله عليه وسلم، أو بعد جمعه في مجلد واحد. وكان مجال التعدد مفتوحا في إطار اللهجات العربية، فترك فرصة للاختلاف، احتدم حوله النزاع بين بعض المسلمين. فجاء تعميم النسخة الموحدة بلهجة قريش، في عهد الخليفة الثالث فحجّم التعدد بصورة واضحة. ثم جاءت المرحلة التي تصدّى فيها العلماء المتخصصون في هذا المجال، بوسائل تُميّز بين أصناف من الاختلافات محددة، فكان منها:

١. وضع بعض القواعد للتمييز بين القراءة المعتمدة وغير المعتمدة –كما سبق بيانه.
٢. اعتماد قراءات محددة تنحصر في عشر قراءات اشتهر بها بعض القراء، وتناقلتها الأجيال المتعاقبة شفاهة بين المعلم والمتلقي. وذلك اعتمادا على المعايير الثلاثة: تواتر الرواية، موافقة أحد المصاحف

[٥٥] ابن الجزري، النشر في القراءات ج١: ٩؛ إسماعيل، اقراءات ص ٥٢-٩٤.
[٥٦] النشر في القراءات العشر جزء ٢ صفحة ٤٠١.

العثمانية، وموافقة وجه من أوجه اللغة العربية، أي اتساق الاختلاف مع مضمون الجملة التي تقع فيها.(٥٧)

٣. تأكيد أهمية الإسناد للقراءة المحددة، وأهلية القارئ الذي يقوم بمهمة تعليم القرآن لغيره، مثل الحصول على إجازة بالقراءة المحددة أو بعدد منها.

وبهذا يثبت أن جميع آيات القرآن الكريم تم نقلها بقراءاتها المتعددة، عبر الزمان والمكان، بالتواتر عن النبي، صلى الله عليه وسلم، في صورتها المروية تلاوة والمكتوبة في النسخ التي تم توزيعها على الأمصار المختلفة في عهد الخليفة الراشد الثالث، وبالصورة التي حفظها علماء القراءات الحاصلين على الإجازة. فآيات القرآن الكريم لم يتدخل البشر في اختيار مضموناتها أو التعبير عنها. وأما الاختيار من بين **القراءات** الثابتة، فمسألة مختلفة لأنها ليس تعبيرات بشرية عن معاني مقدسة، ولكن اختيار من قراءات ثابتة، لا تمس المعاني الأساسية، كما هو واضح من حقيقة القراءات. وفيما يلي رواة القراءات العشر.(٥٨)

القراء وولادتهم ووفاتهم بالتاريخ الهجري

رقم	الاسم	الولادة	الوفاة	ملاحظات
١.	نافع المدني، وهو نافع بن عبد الرحمن ابن أبي نعيم الليثي، مولى الليثي، أصله من أصفهان. ومن أشهر تلاميذه: قالون، وورش	٧٠	١٦٩	تلقى عن سبعين من التابعين، وهؤلاء عن أبي هريرة، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عيشا الذين أخذوه عن أبي بن كعب رضي الله عنه.
٢.	عبد الله بن عامر الشامي، وهو عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة اليحصبي المكنى بأبي عمرو. ومن أبرز تلاميذه: هشام، وابن ذكوان.	٨	١١٨	أم الناس أيام عمر ابن عبد العزيز، وتلقى القراءة عن بعض الصحابة، منهم ابو الدرداء وعثمان ابن عفان
٣.	ابن كثير، وهو عبد الله ابن كثير بن عمر بن عبد الله بن ذازان بن فيروز بن هرمز المكي، ومن أبرز تلاميذه: البزي، وقنبل.	٤٥	١٢٠	وتلقى القراءة عن عبد الله بن السائب وعبد الله بن عباس، وينتهي إسناده إلى أبي بن كعب وعمر بن الخطاب، وزيد ابن ثابت.
٤.	عاصم الكوفي، وهو عاصم بن أبي النجود، وقيل اسم أبيه عبد الله، وكنيته أبي النجود الكوفي. ومن أبرز تلاميذه: شعبة، وحفص.		١٢٧	تلقى القراءة عن ثلاثة قرآوا على عبد الله ابن مسعود، وقرأ اثنان منهم على أبي بن كعب، وزيد ابن ثابت، رضي الله عنهم.
٥.	أبو جعفر المدني، وهو يزيد بن القعقاع المخزومي المدني، وكنيته أبو جعفر. ومن أبرز تلاميذه: أبو الحارث، وأبو		١٣٠	عرض القرآن على مولاه عبد الله بن عيشا، بن أبي ربيعة، وعبد الله بن عباس، وأبي هريرة الذين تلقوه من أبي

٥٧) إسماعيل، القراءات ص ٩٤.

٥٨) ابن الجزري، النشر ج : إسماعيل، القراءات ص ٦٧-٨٤.

	الربيع.			ابن كعب، وتلقاه بعضهم أيضا من زيد ابن ثابت، رضي الله عنهم.
٦.	أبو عمرو البصري، وهو زبان ابن العلاء بن عمار العريان المازني، التميمي البصري. وقيل اسمه يحيى، كان إمام البصرة، ومن أبرز تلاميذه: الدوري، والسوسي.	٧٠	١٥٤	وقرأ من بعض التابعين منهم أبو العالية الذي قرأ على عمر ابن الخطاب، وأبي بن كعب، وزيد ابن ثابت، رضي الله عنهم.
٧.	حمزة الكوفي، وهو حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الكوفي. ومن أبرز تلاميذه: خلف، وخلاد.	٨٠	١٥٦	وأدرك بعض الصحابة، وقرأ على بعض التابعين وتنتهي روايته إلى علي ابن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، رضي الله عنهم
٨.	الكسائي الكوفي، وهو علي بن حمزة بن عبد الله بن عثمان النحوي، وكنيته بأبي الحسن، ولقبه الكسائي. ومن أبرز تلاميذه: الليث، وحفص. والأخير تلميذ بارز لأبي عمرو، أيضا.		١٨٩	تلقى على عدد كبير من التابعين الذين يتصل سندهم إلى أصحاب النبي، صلى الله عليه وسلم.
٩.	خلف، وهو خلف بن هشام البزار البغدادي. ومن أبرز تلاميذه: أبو يعقوب، وأبو الحسن.	١٥٠	٢٢٩	وهو أحد التلاميذ البارزين لحمزة الكوفي
١٠.	يعقوب البصري، وهو يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي المصري، وكنيته أبو محمد. ومن أبرز تلاميذه: رويس، وروح.		٢٥٠	وينتهي إسناده إلى أبي موسى الأشعري، رضي الله عنه.

وهنا يتبادر إلى الذهن بعض الأسئلة: ما حجم الاختلاف؟ وما طبيعة القراءات العشر، وأصنافها؟

حقيقة القراءات العشر:

لقد أدت دقة علماء القراءات في إثبات الاختلافات في القراءة إلى مسألة كثر الجدل فيها، جعلت غير المختصين يتوهمون أن حجم الاختلاف كبير، من حيث الكم ومن حيث النوع. فأثارت شيئا من الظنون حول أصالة نسبة القرآن الكريم إلى الله سبحانه وتعالى: لفظا ومعنى. كما استغلها بعض الجهلة وأعداء الإسلام للطعن في مصداقيته. وهنا تبرز بعض الأسئلة، مثل: ما حجم الكلمات والأحرف المستقلة التي تعرّضت للاختلاف مقارنة بعدد كلمات القرآن وأحرفه؟ وما طبيعة هذا الاختلاف؟

حجم الاختلافات:

يمكن الحصول على النسبة المطلوبة بطرق، ومنها تفريغ القراءات، وحصر الألفاظ التي تعرضّت للاختلاف في القراءة، ومقارنتها بعدد ألفاظ القرآن الكريم، في

حدود القراءات العشر. فمثلا، إذا قمنا بعملية إحصائية باستخدام الحاسب الآلي للقراءات المعتمدة في كتاب "النشر للقراءات العشر" لابن الجزري سنجد أن الألفاظ والأحرف المستقلة ([٥٩]) التي تعرضّت للاختلاف في القراءة لا تصل إلى الألفي لفظة وحرف، ولنفترض أنها ١٨٥٠. وإذا عددنا الألفاظ والأحرف الموجودة في القرآن الكريم، مع حذف أرقام الآيات لوجدنا أنها تقترب من ستمائة وأربعين ألف كلمة وحرف مستقل، ولنفترض أن عددها هو ٦٣٢٠٠٠. وعند استخراج نسبة الكلمات والأحرف المستقلة التي تعرّضت للاختلاف في القراءة نجدها لا تتجاوز ٣%. وحتى إذا اعتمدنا طريقة أخرى في العد بحذف البسملات فإن النسبة لا تتجاوز ٤%.

طبيعة الاختلافات وأصنافها: ([٦٠])

يقول ابن الجزري أن الرازي حاول تصنيف القراءات فقال إن الكلام لا يخرج اختلافه عن سبعة أوجه: ١) اختلاف الأسماء من الإفراد والتثنية، والجمع، والتذكير والتأنيث، والمبالغة وغيرها. ٢) اختلاف تصريف الأفعال وما يسند إليه من نحو الماضي والمضارع والأمر والإسناد إلى المذكر والمؤنث والمتكلم والمخاطب والفاعل والمفعول به.٣) وجوه الإعراب، ٤) الزيادة والنقص، ٥) التقديم والتأخير ٦) القلب والإبدال في كلمة بأخرى وفي حرف بآخر، ٧) اختلاف اللغات من فتح وإمالة وترقيق وتفخيم وتحقيق وتسهيل وإدغام وإظهار ونحو ذلك.

ويضيف بأن **ابن قتيبة** قسّم وجوه الاختلاف إلى سبعة: ١) في الإعراب بما لا يزيل صورتها في الخط ولا يغير معناها، ٢) الاختلاف في إعراب الكلمة وحركات بنائها بما يغير معناها ولا يزيلها عن صورتها، ٣) الاختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها بما يغير معناها ولا يزيل صورتها، ٤) أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يغير صورتها ومعناها، ٥) أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يغير صورتها في الكتاب ولا يغير معناها، ٦) أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير. (٧) أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان.

ويعلق ابن الجزري بأن التقسيمات السابقة غير شاملة. ويضيف بأن الاختلافات تخلوا من التضاد والتناقض، حتى من منظور الأحكام الشرعية التي قسمها إلى سبعة أقسام. وأما من حيث أشكالها ومعانيها فإنها تنقسم إلى: ١) ما اختلف لفظه واتفق معناه، سواء أكان الاختلاف اختلاف كل أو جزء، ٢) ما اختلف لفظه ومعناه، ٣) ما اتحد لفظه ومعناه مما يتنوع صفة النطق به.

الاختلافات الواقعية في القراءات:

وإذا جئنا للاختلافات الواقعية بين القراءات فسنجد أن أدنى صورة للاختلاف تتمثل في "الإمالة"، أي إمالة الحركة عند قراءة بعض الآيات، ومن أمثلتها قراءة "مجراها"، في الرسم العثماني للمصحف، حيث تنطق وكأنها مكتوبة "مجريها"؛

---

[٥٩]) الكلمة قد تكون اسما أو فعلا، والحرف المستقل، مثل "لا" الذي يفصل بينه وبين ما قبله وما بعده فراغ space.

[٦٠]) ابن الجزري، النشر ج١: ٢٧- ٣١.

ونجد أن أقصى صورة له لا تتجاوز استبدال لفظة بلفظة أخرى، بمعناها، وليس لها إلا مثال واحد هو كلمة: "تبينوا"، حيث استبدلت في إحدى القراءات ب "تثبتوا".([٦١])
ويمكن تصنيف الاختلافات الرئيسة في القراءة إلى ثلاثة أقسام هي:

١. الاختلاف المسموح به بسبب غياب النقاط على الأحرف، مثل: ت، ي، ن التي تؤثر في التأنيث والتذكير، والغياب والحضور.
٢. الاختلاف المسموح به لغياب حركات التشكيل، مثل الفتحة، والضمة، والكسرة.
٣. زيادة حرف أو كلمة، أو تبديل حرف في الكلمة أو تبديل الكلمة بأخرى. ويلاحظ أن بعض الزيادات تندرج تحت غياب التشكيل، مثل نطق الياء وعدمه.

وفي الجدول التالي الأصناف الرئيسة للقراءات، ونماذج من الأنواع الفرعية لها. ويقصد المؤلف بقوله أجاز غياب علامات التشكيل أو النقاط على الأحرف الاختلاف في القراءة، أي عند الكتابة. فهي اختلافات موجودة رواية.

تقسيم فرعي	**القراءات**	**اختلاف القراءة**	**اختلاف المعنى**	**٣% =١٠٠**
الإمالة	{في مِجَراها} / مَجْراها	إمالة/بدون	لا اختلاف	١٠%
نسبة الألفاظ التي أجاز الاختلاف غياب علامات التشكيل في قراءتها				٤٢%
	{منزَل من ربك / منزّل	شدة/بدون	لا اختلاف	
	{والله ربِّنا} / ربَّنا	فتح/كسر	لا اختلاف	
	{ضَيق} / ضِيق	تسكين/ فتح...	لا اختلاف	
	{لله الحقِ} / الحقُ	ضم/مسر	لا اختلاف	
	{منسِكاً} / منسَكا	كسر/فتح	لا اختلاف	
	{لا يَصعقون} / يُصعقون	فتح/ضم	معلوم/ مجهول،(ضمير)	

نسبة الألفاظ التي أجاز غياب نقط الحروف الاختلاف في قراءتها				١٣%
	{والذين يدعون} / تدعون	ي/ت	هم/ أنتم، (ضمير)	
	{نسير الجبال} / تُسيَر الجبالُ	كسر/ضم	نحن/ مجهول، (ضمير)	

[٦١]) سورة هود: ٤١.

	نسبة الألفاظ التي تعرضت للزيادة والتبديل			%٣٥
	{سوف يؤتيهم} / نؤتيهم	ي/ن	نحن/ غائب	
زيادة	{وتعمل صالحاً نؤتها}/ نؤته	زيادة هـ	تذكير/ تأنيث	
زيادة	{أن صلواتك} / أن صلاتَك	زيادة و	جمع/إفراد	
زيادة	{من يرتد} يرتدِد	زيادة د	لا اختلاف	
زيادة	{وللدار الآخرة} ولدار الآخرةِ	زيادة ل	لا اختلاف	
زيادة	{خيراً منها} منهما	زيادة م	إفراد/تثنية	
زيادة	{يكذبونك} / يكذِّبوك	زيادة ن	لا اختلاف	
زيادة	{وما عملته أيديهم}/ وما عملت	زيادة هـ	لا اختلاف	
زيادة	{يدي إليك} / يديَ	فتح/تسكين	لا اختلاف	
تبديل	{**و**توكل على العزيز}/ **ف**توكل	و / ف	لا اختلاف	
تبديل	{المصيطرون}/ المسيطرون	ص/ س	لا اختلاف	
تبديل	{بكل ساحر} / سحّار	موقع الألف	صيغة مبالغة	
زيادة	{رسالته} / رسالاته	زيادة ألف	مفرد/جمع	
زيادة	{الأوليان}/ الأوّلِينَ	زيادة ألف	مثنى/ جمع	
زيادة	{تجري تحتها} / **من** تحتِها	زيادة "من"	لا اختلاف	
زيادة	{فإن الله **هو** الغني}/ الله الغني	زيادة "هو"	لا اختلاف (لفظة واحدة)	
تبديل	{فتبينوا} /فتثبتوا.	تغيير كلمة	لا اختلاف (لفظة واحدة)	
تبديل	{لعناً كبيراً} / كثيرا	تغيير كلمة	اختلاف نسبي (لفظة واحدة)	
تبديل	{لنثْوينهم} / لنبوءنهم ([٦٢])	تغيير كلمة	اختلاف نسبي (لفظة واحدة)	
تبديل	{لا أيمان لهم} / إيمان	فتح/ كسر	اختلاف نسبي)(لفظة واحدة)	
	المجموع الكلي			%١٠٠

خلاصة القول في القراءات:

لا يجادل مسلم بحكمة القرار الذي اتخذه خليفة المسلمين الراشد، عثمان بن عفان، بتوحيد قراءة القرآن الكريم، بعد أن زالت الحاجة إلى التيسير، لإزالة فتنة الاختلاف بين المسلمين في القراءة. فالقرآن هو المصدر الأساس للتشريعات الإسلامية. ولا يشك مسلم، أيضا، في حكمة قراره، اعتماد العرضة الأخيرة على جبريل، عليه السلام، واعتماد لهجة قريش، عند إعداد النسخ التي تم تعميمها على الأمصار الإسلامية. فقد نزل القرآن بلهجة قريش التي كانت تتفاعل لهجتها مع اللهجات العربية الأخرى بصورة مستمرة. فإلى قريش يقصد الحجيج من القبائل العربية ذات اللهجات المختلفة.

ولا يشك مسلم، بأن الخليفة الراشد عثمان كان خليفة للمسلمين بجدارة، ولا يشك مسلم أن الله أمر بطاعة أولي الأمر مع طاعته تعالى، وطاعة رسوله. يقول تعالى: {يَا

---

[٦٢]) كلمة لنثوينهم تعني نجعلهم يقيموا، ولنبوءنهم تعني ننزلهم

أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا.} ويقول تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا }([٦٣]).

وهناك اتفاق بين المختصين بأنه إنما أذن الله بقراءات متعددة لبعض ألفاظ القرآن رخصة منه تعالى، ورحمة بعباده، ولاسيما في غياب وسائل تسجيل القراءة إلا بالحفظ غيبا وصعوبة توحيد النطق في العصر الذي تسيطر فيه الأمية بصورة واضحة.

كما شاءت حكمة الله أن تفتقد الكتابة بالأحرف العربية، في ذلك العصر، إلى النقط وعلامات التشكيل التي تفرق بين أصوات بعض الأحرف، وطريقة إعراب بعض العبارات والجمل.

وعند اختراع النقط وعلامات التشكيل، في أواخر عصر الخلافة الراشدة، تم الاتفاق، ضمنيا، على أن المصحف العثماني الأم الموجود بين أيدي المسلمين لا يخرج عن القراءات المجازة، ويمثل أمر الخليفة الراشد الثالث. وبعد تقدم وسائل التسجيل والاتصال السمعية عن طريق الإنترنت، وأجهزة الجوال المتنوعة، انتشرت تسجيلات القرآن الكريم وتوفّرت بصورة مذهلة، فأصبحت في متناول يد ملايين البشر في كل مكان. كما أصبح من الطبيعي التفريق بين اللغة العربية الرسمية التي تسندها لغة القرآن واللهجات العربية المحلية، لانتشار التعليم الرسمي، في البلاد العربية. فمثلا هناك فرق واضح بين قراءة بعض الكلمات ب"الإمالة" وبين الطريقة التي يتحدث بها المسلم بالعربية، ويلقي بها محاضراته أو دروسه أو خطبه بها.

والسؤال: إذا أردنا توحيد نطق الألفاظ العربية، أي القرارين أقرب إلى الصواب؟

١ – تطويع نطق القرآن لنطق اللهجات؟

٢ – تطويع نطق اللهجات لتلاوة القرآن –على الأقل- عند تلاوته؟

فانطلاقا من الحقائق السابقة، يمكن القول بأن الأفضل في عصرنا إلى يوم الدين التركيز على المصحف العثماني، توحيدا لكلمة المسلمين، وتقليلا من أسباب الخلاف بينهم. وبعبارة أخرى، أقول: هناك قراءة هي رمز لوحدة كلمة المسلمين اعتمدها أحد الخلفاء الراشدين، وعلى المسلمين الالتزام بتعلمها والقراءة بها، ما أمكن؛ وترك تعلم القراءات الأخرى للمختصين في القراءات.

تمارين الفصل الثاني:

١ – هناك قول مشهور يقول بأن الشيء المحدد مطابق "شكلا أو قالبا ومضمونا". قارن بين هذا القول وبين قولنا "القرآن محفوظ لفظا ومعنى" وإذا كانت هناك عبارات مماثلة أوردها، وأسند مقارنتك بتوثيق المصادر التي استفدت منها أو بمبرراتك.

[٦٣]) سورة النساء: ٥٩؛ آل عمران: ٣٢.

٢ - اكتب ثلاثة فروق تميز بين أنواع التراث الإسلامي: القرآن، والسنة، والمخطوطات، والتاريخ الإسلامي، وبشرط أن يكون أحد الفروق من عندك، غير موجود في الكتاب.

٣ – هناك علاقة تكاملية بين العقل والنقل أضرب مثالا، من خارج الكتاب، للعلاقة التكاملية، حيث يؤثر أحدهما على الآخر فينجزان سويا مهمة محددة، لا يمكن لأحدهما القيام بها منفردا.

٤ – هل السبعة الأحرف حقيقة أو مجازا؟ ناقش الأحاديث التي وردت فيها مع التوثيق اللازم.

٥ – وعد الله بحفظ القرآن الكريم، فهل أوجد لذلك نظاما، يمكن للأميين الاستفادة منه في صيانة أصالة القرآن الكريم؟ أضرب مثالا واقعيا من تجاربك الشخصية أو لمن عرفتهم.

٦ – ما هي المكونات الرئيسة للقرآن؟ وأضرب أمثلة لكل نوع.

٧ – هناك من يقول بأن المصاحف التي أُرسِلت إلى الولايات الإسلامية في عهد الخليفة الراشد عثمان، كانت تتضمن القراءات السبع متفرقة. ناقش هذا القول، مع توثيق المعلومات التي تستند إليها أو المبررات لرأيك.

٨ – قم بتعريف القراءات العشر باختصار، وناقش المقاييس التي تثبت مصداقيتها.

٩ – أوصف الصورة التي كانت للقراءات العشر في ذهنك، قبل قراءة الفصل الثاني من هذا الكتاب وبعدها.

١٠ هل ترى ضرورة توحيد المسلمين على ما يسمى بالمصحف العثماني، أو لا ترى ذلك؟ أسند رأيك بالمبررات اللازمة.

الفصل الثالث

عناصر النصوص القرآنية

يقول تعالى: {وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآَنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}.(٦٤)

يعتبر تحدي الله سبحانه وتعالى الخلق أن يأتوا بسورة مثله دليلا كافيا على إعجاز القرآن الكريم، ليس من حيث نظمه، أي تراكيبه اللغوية فحسب، ولكن أيضا من حيث مضموناته، والتفاعل المتقن بين مكوناته اللغوية ومضموناته شديد التنوع.

ولو استعرضنا المكونات الرئيسة للنصوص القرآنية لوجدناها كما يلي:

١ – عنصر اللغة، أي المفردات وأصواتها، والتراكيب النحوية، وأسلوب التعبير

٢ - عنصر المضمون والمعاني الذي يتضمن أخبار الكون من بدء خلق السماوات والأرض إلى الحياة في الآخرة.

ويلاحظ أن عنصري اللغة والمضمون يتفاعلان بطريقة متقنة، تثير الدهشة والانبهار والتقديس.

عنصر اللغة ونصوص القرآن:

من المعلوم أن اللغة تتألف في الأصل من مجموعة من الأصوات، يسهل التخاطب بها شفاهة أو كتابة. وقد نزل القرآن الكريم باللغة العربية. يقول تعالى: {الر تِلْكَ آَيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ. إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآَنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ. نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآَنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ.}(٦٥) ويقول تعالى {إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون}.(٦٦) ولهذا من الطبيعي أن لا تختلف العناصر اللغوية الأساسية للقرآن الكريم عن العناصر الأساسية لأي نص عربي مبين، سواء أكان هذا النص سابقا لنزول القرآن الكريم أم لاحقا له.

ويتألف العنصر اللغوي –بصفة عامة- من ثلاث مكونات: الألفاظ أو المفردات ومنها الأحرف، والتراكيب النحوية، والأسلوب الذي يتفاعل به العنصر اللغوي مع عنصر المضمون. ومن العناصر اللغوية المكملة - في حالة التلاوة- قواعد التجويد أو قواعد تلاوة القرآن الكريم التي بدونها قد تلتبس معاني بعض الآيات.

المفردات الأساسية:

لقد كانت المفردات الأساسية بمدلولاتها الأساسية متداولة قبل نزول القرآن الكريم، وسواء منها العربية الأصل أو المستوردة من لغات أخرى. ولاشك في أن

---

٦٤) سورة يونس:٣٧- ٣٨.

٦٥) سورة يوسف: ١-٣.

٦٦) سورة يوسف: ٢؛ وانظر مثلا الآيات التالية: طه: ١١٣؛ الزمر: ٢٨؛ فصلت: ٣؛ الشورى: ٧.

القرآن الكريم استخدم اشتقاقات جديدة وجاء بمدلولات جديدة في ضوء سياقات جديدة، ترتكز على المفردات المتداولة، كما اقترض مفردات من لغات أخرى. ومن هذه اللغات: الحبشية والفارسية والهندية والتركية والنبطية والقبطية والسريانية والعبرية والبربرية والرومية.([٦٧]) ولكن أكثر ما تتميزّ به لغة القرآن هي الطرق الجديدة والمتنوعة والمتقنة في استخدام المفردات المتداولة وطرق توليد واستحداث المفردات الجديدة وطرق توليد المدلولات الجديدة التي يصعب حصرها. وذلك إضافة إلى التفاعل المتقن بين هذه المفردات وبين المضمونات التي تحملها.

لقد سبق القول بأن التكوين اللغوي ينقسم إلى مفردات، وتراكيب لغوية، وأساليب، ولكن من الضروري إضافة بعض الحقائق الأخرى، ومثالها أن المفردات قد تكون أفعال، وقد تكون أسماء وقد تكون صفات. وهذه الأخيرة أنواع مختلفة، تتدرج من حيث الأهمية والحساسية، فهي تتدرج بين الصفات عالية الحساسية، وصفات متدنية الحساسية، قد يمثلها المقياس التالي:

:---------:---------:---------:----------:----------:----------:

صفات الله   الأنبياء والرسل   المخلوقات المكلفة   غير المكلفة

وتؤثر هذه الصفات في عملية التفسير، من حيث الدقة في القراءة والتعبير، ومن حيث العناية عند تحديد نوع مصادر التفسير ودرجة إتقانه. ومثاله عند التعامل مع أسماء الله الحسنى وصفاته يحظر تمثيله وتشبيهه بأشياء مجسدة قابلة للإدراك حسا. وهناك صفات هي صفات كمال لله سبحانه وتعالى، يتفرد بها الله مثل صفة الجبار والمتكبر، بينما هي صفات نقص في المخلوقات. ومن جهة أخرى فإن صفة الذكي واللبيب والعاقل صفات حميدة للإنسان، بينما هي صفات قاصرة لا تليق بالخالق.([٦٨]) فالقاعدة العامة هي تجنب استخدام الأسماء والأوصاف التي لم ترد في الكتاب والسنة، ومثاله: "مهندس" الكون أو "العقل المدبر" للكون...

وعندما نتحدث عن الأنبياء والرسل فلا يمكن تجريدهم من العصمة من الخطأ في تبليغ رسالة رب العالمين، وإن كان **سهوا**. ولا يمكن تجريدهم من العصمة من مخالفة ما يعلموه للناس **عمدا**. فرسل الله اختارهم رب البرية ليكونوا نماذج بارزة للكفاءة وللأمانة في تبليغ الرسالة، ونماذج في الحرص على تطبيق ما يعلموه للناس، فيعكسوا بسلوكهم عظمة من اختارهم لتبليغ رسالاته، وحكمته وقدرته.

الأحرف في بدايات السور:

تعتبر الأحرف التي تبدأ بها بعض السور من المفردات التي لا يعلم بحكمتها ومدلولاتها إلا الله، سبحانه وتعالى. وينبغي عدم الخوض فيها. فالخوض فيها نوع من العبث الذي لا يفيد الإسلام ولا المسلمين.

وتتمثل هذه الأحرف فيما يلي: ألم، ألمص، الر، المر، كهيعص، طه، طسم، طس، يس، ص، حم، حم عسق، ق، ن.

---

[٦٧]) السيوطي، المتوكلي فيما ورد في القرآن باللغة الحبشية و..

([٦٨]) ابن حيدرة ص ٤١؛ إسماعيل، كشف الغيوم عن القضاء والقدر، المقدمة.

أسماء شخصيات ومواقع وأقوام:

من المعلوم أن القرآن هو مرجع المسلمين عن الأنبياء وأقوامهم والشعوب التي كانت موجودة، قبل نزول القرآن الكريم. وللمفسر إضافة ما يحلو له، ولكن بشرط عدم تعارضه مع الحقائق الموجودة في القرآن، سواء أكانت ظنية الدلالة أو قطعية الدلالة. فمثلا شخصية مريم عليها السلام، مشوهة في القصة المسيحية، حيث تشير بأنها كانت متزوجة من يوسف النجار.(٦٩) ولا يجوز للمفسر أن يحاكم المدلول الصريح للنص القرآني أو يؤوله، اعتمادا على مصادر لا تقترب أبدا من مصداقية القرآن الكريم. ومثال ذلك ورد اسم أبو إبراهيم عليه السلام صريحا في قوله تعالى {وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة}(٧٠). ولكن اعتمد البعض على مصادر يهودية محرفة ليعارض النص القرآني الصريح. فقد ذهب بعض المفسرين إلى أن والد إبراهيم عليه السلام هو تارح، ثم حاول تأويل النص القرآني. والقاعدة العامة أن يتجاهل المفسر المعلومات التي تتعارض مع القرآن بوضوح، أو أن يفندها، إن اختار ذكرها.

ظاهرة التعدد في المعنى:

ومسألة تعدد مدلول بعض المفردات في القرآن خصها بعض العلماء بكتب مستقلة ومنها كتاب مقاتل(٧١) وكتاب التصاريف الذي اشتمل على ١١٥ مفردة، تتعدد معانيها بتعدد سياقاتها. وقد وصلت مدلولات بعض الألفاظ التي وردت في الكتاب الأخير إلى سبعة عشر معنى. وكثير منها يقترب من العشر معان أو يتجاوزها.(٧٢) فمثلا كلمة "هدى" لها ١٧ معنى، و"الذِّكر" لها ١٦ معنى، و"السبيل" و"أمر" لهما ١٣ معنى، و"سوء" و"الرحمة" و"الناس" لها ١١معنى. ولهذا ينبغي للمفسر مراعاة هذه الحقيقة بالتدقيق في القراءة والتأمل في المعنى المراد في السياق المحدد.

وأما القول بأن القرآن يستخدم المترادفات، أي المفردات المتعددة التي تؤدي إلى معنى واحد(٧٣) ففيه نظر. وذلك لأسباب منها أن القرآن الكريم يتسم بالاختصار حتى في ذكر المعاني ذات الأهمية البالغة في الأحكام، ويترك التفاصيل للسنة النبوية، فكيف يردد مفردتين متتاليتين تعبران عن معنى واحد؟ ألا يعد ذلك من الركاكة في الأسلوب؟ فمثلا تأتي كلمة "ولي" و"نصير" متتابعة، في قوله تعالى:{وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ.}(٧٤)

ومن الأخطاء الشائعة منذ القرن السابع الهجري القول بأن معنى الولاء هو النصرة والمحبة. فيتهم بالتناقض قوله تعالى:{وَالَّذِينَ آَوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا **مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ** حَتَّى يُهَاجِرُوا

---

(٦٩) نومسوك ص ٤٥ وقصة مريم في سورة آل عمران.
(٧٠) سورة الأنعام: ٧٤.
(٧١) شلبي ص ٢٩.
(٧٢) سلام، تحقيق شلبي.
(٧٣) فارس في مجلة الحكمة عدد: ٢٢ محرم ١٤٢٢هـ ص ١٢٧-١٤١.
(٧٤) البقرة: ١٠٧.

وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ.}(٧٥) فالآية تنفي الولاية بالكلية وتثبت النصرة بين من أسلم وانضم إلى النبي ومن أسلم ولم ينضم إليه. وأما بالنسبة للمحبة فإنه لا يجوز في أي ظرف أن يمتنع المسلم عن حب أخيه المسلم، وذلك لأن الحب شعور قلبي لا يخضع للضغوط الخارجية. ومثاله قول البعض أن البراءة تعني العداوة والبغضاء، وذلك بدلا من اعتبارها مفردات مستقلة بمعانيها، معطوفة على بعضها. وإذا رجعنا إلى كلمة البغضاء سنجدها شعورا قلبيا، وأما العداوة فسلوك عدائي ظاهر، سواء أكان قولا أو فعلا.(٧٦)

ومن الأمثلة التي تذكر في هذا السياق ما أشار إليه السامرائي، حيث يقول أن كلمة "الغيث" وردت في القرآن في ثلاث آيات لتعني الرحمة والخير. وأما كلمة "مطر" فوردت في سبع آيات في صيغة المصدر "مطر" وفي سبع آيات في صيغة الفعل، وفي آية في صيغة اسم فاعل "ممطر". وكلها تنصرف إلى العذاب والإنذار بالشر.(٧٧) ومن المعلوم أن هناك اختلافا بين "آمنا" و"أسلمنا"، وبين "راعنا" و "انظرنا".(٧٨) وكذلك التفريق بين الخشية التي هي أشد من الخوف.(٧٩) كما يلاحظ أن الخشية تأخذ صبغة إيجابية، وتصدر من الإنسان طواعية، بينما الخوف يأخذ صبغة سلبية، وقد يصدر من الإنسان كردة فعل لأسباب خارجية وهمية أو حقيقية.

ويؤكد الحميدان ندرة الترادف أو انعدامه في القرآن، مستشهدا بقول ابن تيمية "الترادف في اللغة قليل وأما في ألفاظ القرآن إما نادر أو معدوم... وهذا من أسباب إعجاز القرآن." (٨٠)

وأما بالنسبة لتكرار الظاهرة الطبيعية الواحدة أو الحادثة التاريخية الواحدة فهي تأتي بصياغات متنوعة غاية التنوع، لتتسق مع المحور الذي تخدمه، سواء أكان المحور هو الدعوة إلى وحدانية الله أو الدعوة إلى ركن من أركان الإيمان.

المصطلحات في القرآن:

يقول الجرجاني في تعريف المصطلح "هو عبارة عن اتفاق قوم على تسمية شيء باسم بعد نقله عن موضوعه الأول لمناسبة بينهما أو مشابهتهما في وصف أو غيرها".(٨١) ويعبر صالح عن هذا الرأي بقوله المصطلح هو إخراج اللفظ من معناه اللغوي ليعطي دلالة خاصة.(٨٢) وللمصطلحات خلفيات وأبعاد ثقافية أو حضارية أو دينية قد تميزها بصورة واضحة، ومثالها: صلاة، زكاة، حج، عمرة، نسك، فدية، طاغوت، خليفة، فرقان.(٨٣) وهذه الحقيقة توجب على المفسر معرفة الخلفية الثقافية التي نشأ فيها

---

٧٥) الأنفال: ٧٢.

٧٦) انظر مثلا صيني، حقيقة العلاقة بين المسلمين وغير

٧٧) البوشيخي، ص ٢١-٢٢، نقلا عن السامرائي ص ١١٩-١٢٠.

٧٨) البوشيخي ص ٢٢.

٧٩) الحميدان ص ٣٨.

٨٠) إبراهيم الحميدان ص ٣٧-٣٨، أبن تيمية الفتاوى ج١٣: ٣٤١-٣٤٢.

٨١) الجرجاني، التعريفات؛ حجازي ص ١٠.

٨٢) صالح، الألفاظ الإسلامية ص ٢.

٨٣) عزب ص ٢٧-٣٧.

المصطلح، ويتم استعمالها.

وصحيح أن كثيرا من المصطلحات الإسلامية مرتبطة بعبادات يمارسها المسلم بصورة مستمرة، فهي واضحة بالنسبة له، ولكن هناك مصطلحات معنوية، يكثر الخلط فيها. ومن أبرزها ما يتعلق بمبادئ العلاقة بين أصحاب الأديان المختلفة، وما يتعلق بالقضاء والقدر. سيتم تفسير جوانب منها في فصول مستقلة.

قواعد اللغة العربية:

إن قواعد اللغة العربية (التركيبات النحوية الأساسية) التي تتحكم في التراكيب لم تنزل وحيا، ولكن تم استقراؤها من الممارسات الفطرية البشرية، قبل نزول القرآن الكريم وبعده، ومن نصوص القرآن الكريم نفسه. وقد تأثرت النصوص اللاحقة المكتوبة بالعربية بلغة القرآن الكريم، واحتكمت إلى القواعد النحوية المستنتجة منها، انتشرت بوسائل التعليم الرسمية.

التراكيب النحوية:

هناك أهمية معتبرة للحركات في توضيح المعنى، وفي منح التراكيب مرونة واضحة، مثل تقديم المفعول به في قوله تعالى: {إنما يخشى الله من عباده العلماء}. ويعلق الحميدان ومحمود بأن كثيرا من خصائص التركيب في العربية لا توجد في كثير من اللغات الأخرى، وذلك اعتمادا على ما أورده الجرجاني من خصائص التركيب في اللغة العربية. وكان من هذه الخصائص: التعريف، والتنكير، والتقديم، والتأخير، والحذف، والتكرار، والإبهام، والإضمار، والعلامات الإعرابية.([٨٤]). ويؤكد البلوشي أهمية الإعراب وما يماثلها من الحركات في العربية. فقد يشكل على بعض القراء بالعربية فهم مثل قوله تعالى: {وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلمات فأتمهن}. وكذلك الأمر بالنسبة لمدلول قوله تعالى {وإذ يرفع إبراهيمُ القواعد من البيت وإسماعيلُ}، وذلك لتأخير الفاعل الثاني.([٨٥])

ومن الخصائص القدرة على المحافظة على ترتيب الفعل المأمور به مع اختلاف الأحكام، مثل {فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسِكم وأرجلَكم إلى الكعبين}،([٨٦]) أي مع اعتراض عبارة "وامسحوا برؤوسكم" فإنه تم إثبات حكم الغسل للرجلين، تبعا لما قبل العبارة المعترضة، والتي كان حكمها المسح.

ومن مظاهر التعدد الناتجة عن التراكيب النحوية الضمائر التي يمكن إعادتها إلى أكثر من أصل واحد، مثل {خلق السماوات بغير عمد ترونها}. فقد يعيد المفسر ضمير "ترونها" إلى السماء أو إلى العمد.([٨٧])

ويضرب عبد الرحيم مثالا على قضية التراكيب النحوية فيقول: إن حرف "إن" ([٨٨]) من "إنّ " المثقلة تعني التأكيد، ولكن البعض فسرها لتعني "لو"

---

[٨٤]) سورة فاطر: ١٢٨؛ عبد الله الحميدان، ومحمود ص ١٣-١٦.

[٨٥]) عزب ص ٥٦-٦٢؛ سورة البقرة: ١٢٤، ١٢٧.

[٨٦]) سورة المائدة: ٦.

[٨٧]) عزب ص ٥٢-٥٦؛ سورة لقمان: ١٠.

[٨٨]) حرف "إنْ" لا تنصب الاسم مثل "إنّ".

الشرطية. وقد وردت في القرآن الكريم ٢٣ مرة ويليها فعل ناسخ للابتداء، وهي: كان، وكاد، ووجد، وظن.([٨٩])

ومن أشكال التميز التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي {ويوم ينفخ في الصور ففزع من}، والتعبير عن الماضي بلفظ المستقبل {أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون}، والانتقال من صيغة المتكلم أو المخاطب، أو صيغة الغائب إلى صيغة أخرى. {والله أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها}.([٩٠])

الأسلوب القرآني:

يتميز الأسلوب القرآني بإبداعه للتراكيب النحوية الثانوية المتنوعة التي تؤدي إلى معاني متعددة تحقق أهدافا محددة. فمن خصائصه التفاعل بين التراكيب النحوية المتقنة المتنوعة أشد التنوع وعنصر المضمونات التي يصعب حصرها.([٩١])

ومن بعض صور هذا التميز في الأسلوب القرآني: التفاعل المتقن بين عناصر النصوص، والقدرة على التعامل مع مستويات مختلفة من المهارة اللغوية وحجم الثقافة عند القارئ، وتعدد الاتجاهات في الأسلوب القرآني.

كما أثبتت بعض الدراسات التجريبية أن لتلاوة القرآن بالصوت المسموع وقعا نفسيا وشفائيا وتأثيرا عجيبا على أعضاء جسم الإنسان، وذلك بصرف النظر عن صوت القارئ أو طريقة القراءة أو ديانة المستمع. بل وحتى الترجمة الإنقليزية كان لمعانيها مفعول خاص أيضا.([٩٢])

التفاعل المتقن بين العناصر اللغوية:

هناك تفاعل بين المفردات وطريقة انتقائها ونظمها والتراكيب النحوية ونوعها وأدوات البلاغة بطريقة متقنة مع المضمونات المتنوعة، يعجز البشر عن الإتيان بمثله. فهو الأسلوب، الذي لا يدع مجالا لوجود فجوات أو حالات تنافر بين العناصر اللغوية وعنصر المضمون، لا بالزيادة ولا بالنقصان. وإذا عجزنا عن فهم بعض أسرار الأسلوب القرآني وبدا لنا أنه يفتقد إلى الاتساق أحيانا، فإن ما يظهر لنا يعود قطعا إلى قصور فهمنا البشري. ومما يؤكد هذه الحقيقة قوله تعالى: {ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء.}([٩٣])

وهذه الحقيقة تنبهنا إلى السبب في أننا كثيرا ما نكتشف بالنظرة الفاحصة خطأ تصورنا السابق. بل ونكتشف أن هناك حكمة لا يمكن أن تتحقق إلا بالشكل الذي أثار استغرابنا في الوهلة الأولى تجاه النص القرآني.

---

[٨٩]) عبد الرحيم، ف.

[٩٠]) البنيان ص ١٥- ٢٦؛ سورة النمل: ٨٧؛ البقرة: ٨٧؛ فاطر: ٩.

[٩١]) انظر مثلا: السيوطي، الإتقان؛ والباقلاني؛ والجرجاني؛ باحاذق ٧-٣٥١؛ عبد الحميد١٤٦-١٦٣، ٢٨٣-٢٩٦.

[٩٢]) القاضي، تأثير القرآن على وظائف الجسم البشري.

[٩٣]) سورة البقرة: ٢٥٥.

التعامل مع مستويات مختلفة:

الأسلوب القرآني قادر على التعامل مع كل قارئ، حسب حاجته وحسب مستواه الفكري وحسب حصيلته الثقافية وحسب قدرته في التدبر... بل، ويتعامل مع كل جيل إنساني حسب ما توصّل إليه من اكتشافات علمية وحسب البيئة التي يعيش فيها وحسب تطور وسائل عيشه، وكل هذا رغم ثبات النصوص على حالها منذ أربعة عشر قرنا. فالنصوص القرآنية رغم ثباتها بمفرداتها وتراكيبها النحوية عبر العصور والأزمان، فإنه كوعاء يحمل معاني ومدلولات دائمة الحركة والنمو. يقرؤها أهل عصر فيفهمون منها فهما يكفيهم؛ ثم يقرؤها أهل عصر آخر فيفهمون شيئا إضافيا وهكذا دواليك. وقد تكتشف الأجيال القادمة في المستقبل مدلولات لم نصل إليها في عصرنا الحاضر، رغم الجهود المكثفة للكشف عن ثرواتها الدلالية.

أسلوب يحتمل التعدد:

يظهر التعدد في صور مختلفة، التراكيب النحوية، والمضمونات ذات المدلولات المتعددة. وجدير بالذكر أن تأثير اختلاف القراءة، كما اتضح في الفصل الثاني، محدود جدا على فهم مضمون الآيات القرآنية.

ويقسم الشاطبي معاني القرآن الكريم والكلام العربي عامة إلى معان أصلية ومعان تابعة. ويقول بأن معاني الألفاظ في القرآن قد تتعدد، وهناك المعنى الحقيقي والمجاز، واللفظ العام المقصود به الخاص، واللفظ في السياق المحذوف الذي لا يظهر المعنى بدونه، والمعاني المتعددة المتضادة.[٩٤] ويضيف المراغي بأن هناك ألفاظا مشتركة ومعانيها مختلفة، والجملة قد يختلف معناها باختلاف الظروف أو باختلاف أوجه الإعراب.[٩٥]

وفي القرآن الكريم آيات محكمات كما فيه متشابهات. يقول تعالى:{هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات. فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وما يعلم تأويله إلا الله. والراسخون في العلم يقولون آمنا به. كلٌ من عند ربنا، وما يذكر إلا أولوا الألباب.}[٩٦] والمحكم يسهل تفسيره والمتشابه يصعب تفسيره.

فآيات الأحكام في القرآن مثلا، تنقسم إلى درجات متفاوتة من حيث صراحتها في الدلالة على معنى محدد، ومن حيث قابليتها للتعدد في المدلولات. وكذلك الأمر بالنسبة لآيات الأخبار بأنواعها فإنه يغلب عليها الشمولية والاختصار في الوصف، ولا تخلوا من الصور الدقيقة المحددة. ولهذا فإن نصوص القرآن الكريم تترك مجالا واسعا لنمو المدلولات من حيث التعدد ومن حيث التعمق، ومن حيث التفصيل.
فمدلولاتها تتنوع بتنوع اهتمامات القارئ، وتنوع ثقافته وحجمها وعمقها، وهي تنمو مع نمو ثقافة القارئ، ونمو اكتشافات الإنسان للسنن الكونية وللظواهر الطبيعية ونمو عملية النشر.

[٩٤]) حسين، في مهنا ص٣٥- ٣٧؛ رضا ص ٣٥.
[٩٥]) المرغي، في مهنا ص ٦١.
[٩٦]) سورة آل عمران: ٧.

إن الأمثلة كثيرة على تعدد المدلول والصورة. فمعظم الآيات التي تقص علينا ما جرى قبل خلق آدم عليه السلام، وما يجري بعد الممات، ويوم القيامة وفي الحياة الآخرة هي من الآيات التي قد تتعدد فيها الأفهام وتختلف فيها عند التفصيل. ويصعب الجزم فيها بشيء إلا أن تسندها نصوص أخرى في القرآن الكريم أو في السنة النبوية أو الاكتشافات العلمية الموثقة. وتنطبق هذه الحقيقة على معظم الآيات التي تشير إلى السنن الكونية، وعلى كثير من آيات الأحكام.([٩٧]) ومثال الذي يختلف في تفصيله المفسرون كلمة السماوات السبع والأرضين السبع، في مثل قوله تعالى: {الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن}.([٩٨])

وتعبيرات مميزة:

بعض التعبيرات التي وردت في القرآن الكريم لوصف العلاقة بين الخالق والمخلوق قد لا تصلح حتى في العربية لوصف العلاقة بين المخلوق والمخلوق، مثل: {وما لأحد عنده من نعمة تُجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى}.([٩٩]) فليس من المألوف أن يقول الإنسان لإنسان آخر "عملت هذا ابتغاء وجهك".

ومن التعبيرات المميزة في القرآن الكريم أو الثقافة العربية بعامة {ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم، وعلى أبصارهم غشاوة} و{هن لباس لكم وأنتم لباس لهن} و {فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام}. وتعني الآية إذا أراد الله أن يهدي أحدا. وهذا لا يتعارض مع أن الإنسان قد يختار الهداية بنفسه ابتداء، مستعملا حرية الاختيار والعقل والهداية الفطرية أو المُنزلة على رسله. ومثاله أيضا قوله تعالى: {وأصبح فؤاد أم موسى فارغا} وقوله تعالى: {وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم}.([١٠٠]) وهذه حقيقة عملية يفعلها الناس بمختلف لغاتهم، حيث يسدون آذانهم عند سماع ما لا يحبون.([١٠١]) ومنها أيضا قوله تعالى: {يد الله فوق أيديهم}،([١٠٢]) {كل شيء هالك إلا وجهه}.([١٠٣])

ومن هذه التعبيرات القَسَم بالمخلوقات مثل القسم بالشمس والقمر والنهار... ففي الوقت الذي لا يجوز فيه للمخلوق الحلف بالمخلوق فإن لله سبحانه وتعالى أن يقسم بما يشاء. ولهذا ينبغي للمفسر أن يبرز هذه الخصوصية في تفسيره وينبه إليها حتى لا يعتقد غير المسلم جواز ذلك في الإسلام.

عنصر المضمون في القرآن:

مما يتميز به القرآن الكريم هو ذلك الإيجاز الشديد لتعاليم دينية تحتاج إلى السنة لتوضيحها، وإلى جهود العلماء لتفسيرها. وبعبارة أخرى، قد تستغرق الآية الواحدة أبحاثا ومناقشات تملأ مجلدا كاملا.

---

[٩٧]) انظر كتب الأصول مثل ابن تيمية؛ عبد الحميد، دراسات؛ التركي، الزحيلي.

[٩٨]) سورة الطلاق: ١٢.

[٩٩]) سورة الليل: ٢٠.

[١٠٠]) البقرة:٧؛ البقرة: ١٨٧؛ الأنعام: ١٢٥؛ القصص: ١٠؛ نوح: ٧.

[١٠١]) الجمهور، والبطل ص ٧-١١.

[١٠٢]) سورة الفتح: ١٠.

[١٠٣]) سورة القصص: ٨٨.

ومثال النصوص شديدة الإيجاز تلك الآيات التي تكشف النقاب عن أسرار كونية، تتعلق بخلق الإنسان، وأصل الكرة الأرضية، ووظيفة الجبال، ووظيفة السماء، وهيئة قيعان المحيطات العميقة، وكون مركز الإحساس عند الإنسان الجلد...([١٠٤])

فعن مراحل خلق الإنسان يقول تعالى: {يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا}.([١٠٥])

و يقول تعالى عن أصل الكواكب بما فيها الأرض: {ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين}.([١٠٦])

ومما يلفت الانتباه ذلك التفاعل بين الاختصار الشديد في العبارة، والقدرة على احتواء المعاني الكثيرة، وتمكين القارئ العادي من فهم المدلولات الأولية للآيات. فالأسلوب القرآني يتميز بجمعه بدرجة هي القصوى بين الأسلوب المختصر جدا، والمعاني التي لا حصر لها. فمدلولات نصوصها (المضمون والأسلوب) تنمو بحسب نمو معلومات القارئ، من حيث الكثافة والتفصيل والعمق، أو بحسب نمو العلوم الإنسانية عبر مئات السنين، والحقائق الكونية التي يسهم مئات المختصين في اكتشافها.

أما الكتابات البشرية فهي إن توفر في بعضها هذه الميزة فهي في الغالب لا تتجاوز حدود المعلومات التي توفرت في الماضي وتتوفر في الحاضر، وشيء من التخيلات، محتملة الحدوث أو غير محتملة، مثل القصص العلمية الخيالية science fictions.

وبعبارة أخرى، فإن القرآن الكريم كلام الله المتفرد في قدرته وعلمه وصفاته، يستحيل على العقل البشري الواحد أو الأجيال المتتابعة أن تستوعب جميع أو معظم مدلولاته. ومن المؤكد أن فهم الإنسان في أي عصر من العصور، يُعد قاصرا. وقد أثبتت التأملات الحديثة لآيات القرآن الكريم كثيرا من المعاني الجديدة، رغم بقاء الأوعية التي تحتويها ثابتة في الشكل منذ أربعة عشر قرنا. وهو مما يدل على براعة الأسلوب القرآني وإتقانه الفريد الذي يجمع بين المعاني المتجددة العديدة والنصوص الثابتة منذ أربعة عشر قرنا.

وتتنوع مضمونات القرآن الكريم بصورة مذهلة، وهي بصفة عامة تنقسم إلى قسمين: الأحكام بصيغة الأمر أو بصيغة الخبر، والأخبار.

---

[١٠٤]) انظر مثلا: Al-Rehaili؛ Bucaille؛ El-Kirdany؛ نجم

[١٠٥]) سورة الحج: ٥.

[١٠٦]) سورة فصلت: ١١.

الأحكام الشرعية:

لقد قدّر بعض العلماء عدد آيات الأحكام في القرآن الكريم بخمسمائة آية وقدرها آخرون بأكثر من ذلك.(١٠٧) وإذا قلنا بأن عدد آيات القرآن هي: (٦٢٣٦، ٦) فإن آيات الأحكام المباشرة – في العموم - لا تتجاوز عُشر القرآن الكريم.

ومن المعلوم أن أحكام القرآن الكريم قطعية الثبوت، ولكن في معظمها ظنية الدلالة، تحتاج إلى السنة لتصبح قطعية الدلالة.(١٠٨)

ومن المعلوم أن المقصد من الشريعة الإسلامية هو التوجيه في مجال العلاقة بين الخالق والمخلوق، وبين المخلوقات بعضها ببعض. وهي قد تكون على وجه الوجوب أو الاستحباب أو الإباحة أو الكراهية أو التحريم (الأحكام في العقائد والعبادات والمعاملات). فهي مجموعة من الإرشادات، لتحقيق درجات من السعادة في الدنيا وفي الآخرة، تتفاوت بحسب اجتهاد كل مسلم.

والملاحظ أن النصوص التشريعية قطعية الثبوت، مثل القرآن الكريم، تركز على القواعد العامة، كالتأكيد على طاعة الله فيما أمر به ونهى عنه، والعدل وتحريم الظلم وإباحة البيع وتحريم الربا، وجعل الزواج الصيغة الوحيدة للتعاون الأكمل المشروع بين الذكور والإناث...

كما يلاحظ أن القواعد الأساسية أو محاور هذه التشريعات ترتكز على المكونات الفطرية الأساسية للمخلوق المكلف، مثل العنصر الروحي والعقلي والنفسي والعضوي، وطبائعها الأساسية واحتياجاتها الأساسية الثابتة.

الأخبار في القرآن الكريم:

قد يقرأ القرآن الكريم المسلم وغير المسلم للمتعة أو للتعلم والاطلاع على ما فيه من قصص الأولين وأخبار ما قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام، وجرى من أحداث وهو يتنزل، وما بعد الممات، وفي الآخرة، وما فيها من معارف تتصل بالإنسان أو الكون. وهي قراءة إذا قام بها المسلم له فيها أجر التعبد بحسب نيته، وذلك إضافة إلى الفائدة الدنيوية.

ومن يتأمل ما ورد من أخبار في القرآن الكريم، يدرك معنى قوله تعالى الذي ينتهي عند: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ}(١٠٩) فهي تغطي أخبار جميع أصناف الأشياء المدركة حسا أو يمكن إدراكها بالملاحظة، في حالة السكون، وفي حالة الحركة القابلة للمتابعة، مثل نمو الإنسان، والحيوانات والنباتات، وحركة الشمس والقمر، والليل والنهار، وعوامل التعرية للجبال والوديان... وهذا مع ملاحظة أن مدة النمو أو التغير تتفاوت بين المدة القصيرة جدا، مثل ثواني، والمدة الطويلة جدا، مثل قرون طويلة.

---

١٠٧) الحاج، التقرير ج ٣: ٣٨٩، البحر المحيط جزء ٤ صفحة ٤٩٠؛ الزركشي، البرهان في علوم القرآن جزء ٢ صفحة ٣.

١٠٨) مثلا أبو زهرة، وصيني، منهج الأبحاث الشرعية.

١٠٩) سورة الأنعام: ٣١- ٣٨.

وتتنوع الأخبار من حيث كون الأشياء يمكن إدراكها بالحواس الخمس، أو بالفطرة، أو بالعقل والاستنتاج أو غير قابلة للإدراك بالحواس الخمس إلا بمعونة وسائل خارجية، مثل المناظير المقربة أو المكبرة، أو غير قابلة للإدراك في الحالات الطبيعية، مثل الملائكة والجن.

ومن زاوية أخرى ، فإن الآيات الإخبارية تغطي الفترات الزمنية كلها، إذ تخبرنا عن أحداث ما قبل خلق الإنسان، وما بعد خلقه، وما يشمل الحاضر الذي كان القرآن الكريم ينزل فيه، والسنن الكونية أو الحقائق العامة والجزئية الحاضرة بصفة دائمة، أو الأحداث المستقبلية في مستوى الحياة الدنيا والآخرة. ([١١٠])

وتشغل الأخبار في القرآن الكريم ما يعادل تسعة أعشاره. وهي تتنوع بصورة مذهلة، فتغطي المخلوقات الذي خلقها الله، وهو سبحانه الأول والآخر، تجتمع فيها شمولية الإحاطة عبر الزمان والمكان.

فمنها عملية خلق السماوات والأرض، وخلق الإنسان، وحركة السحاب والمطر، وحركة الجبال، وكل شيء ينبض بالحياة، وإن بدت ثابتة أو نسميها جمادات. فهي متحركة، ولكن عبر زمان يفوق قدرة الإنسان في إدراكه بالحواس الخمس خلال عمره القصير جدا، ولكن يستخدم العلماء في اكتشافه ما يندرج تحت التنبؤ المبني على استقراء الحقائق الجزئية الماضية ليتعرفوا على واقعها بدرجات متفاوتة من الدقة. ويستقرئ الحقائق الجزئية الحاضرة المدركة حسيا ليتعرف على ما سيكون أو سيجري مستقبلا، بدرجات متفاوتة من الدقة، تسمى فرضية أو نظرية، أو قد تصل إلى حقيقة كونية يقينية. وأما إحاطة خالق الكون بها فإحاطة يقينية، ويمكن التعبير عن دقة وصفها بالمثل الذي يقول "لا مفر من القدر".

ويمكن تصنيف الأخبار في القرآن الكريم بالنسبة للعصر الذي كان القرآن يتنزل فيه الأصناف التالية:

١ – أخبار الأحداث ما قبل خلق الإنسان، وهي حقائق عامة (سنن كونية) أو جزئية محددة (مخلوقات يمكن إدراكها حسيا). وهي قابلة للتعدد في التفسير، وللتوسع، وللتفصيل، لأنها ليست قطعية الدلالة، ولكن مصداقيتها غير قابلة للنقاش، لأن الله أعلم بما خلق.

٢ – أخبار الأحداث ما بعد خلق الإنسان، مثل أخبار الأمم الماضية والأنبياء والرسل. وقد يفكر بعض المغفلين في التأكد منها بمحاكمتها إلى ما ورد في مثل الكتاب المقدس (التوراة والإنجيل)، فكأنه يقارن ما يدركه حسا بما يتخيله. فما في القرآن الكريم جاء عن الخالق لفظا ومعنى، وأما الموجود في الكتاب المقدس فهي معلومات قد تعرضت للتبديل وللتحريف، ودخلتها الأفكار البشرية المتخيلة والمزيفة.([١١١])

٣- الأخبار التفصيلية الحاضرة، في أي مجال من مجالات الحقائق الجزئية في الكون هي وصف مؤكد، لا تنازعه الملاحظات والتجارب البشرية. وقد تغيب

---

[١١٠]) الشنقيطي، سيد، أصول الإعلام الإسلامي

[١١١]) انظر مثلا توفيرا للوقت: إسماعيل، مبادئ العقيدة بين الكتاب المقدس والقرآن الكريم.

هذه الحقائق عن البشر، أو يتصورونها بطريقة خاطئة، ثم يكتشفون حقيقتها عندما تتطور معرفتهم وتنموا اكتشافاتهم.

٤ – الأحداث التي تجري في الحاضر (في عصر النبوة)، مما كان يمكن إدراكه أو هي قابلة للإدراك، أو الأحداث التي يعد بعضها غيبيا نسبيا، أي تجري بطريقة سرية، يعلم بها البعض، ولا يعلم بها البعض الآخر، مثل ما يفعل المنافقون ... أو ما يحدث للمخلوقات غير المدركة حِسًّا بالنسبة للإنسان مثل أنشطة الملائكة والجن...

٦ – أخبار الأحداث المستقبلية بالنسبة للعصر المحدد، سواء في الحياة الدنيا أو في الآخرة. وهي أخبار يقينية بالنسبة لعلم الله، أما بالنسبة للبشر فهي ظنية، وإن استخدموا السنن الكونية وقاسوا عليها.

٧ – أخبار ما سيجري في الآخرة، وليس للإنسان مصدر فيها غير القرآن الكريم، والسنة النبوية عالية التوثيق.

٨ – بعض آيات الأحكام تأخذ صيغة الخبر، مثل لا إكراه في الدين، وجميع الآيات التي تخبر عن نوع الثواب والعقاب، في الدنيا ولاسيما في الآخرة. وإذا جاء الحكم بصيغة الخبر فإنه لا يجوز بحال القول بنسخه، وذلك لأن صيغة الخبر تعني حقيقة شرعية أبدية، ما لم يرد لها استثناء صريح. ومن زاوية أخرى، فإن خبر الله قطعي الدلالة وصادق في وصف الواقع، لا يعتريه الخطأ ليحتاج إلى التصحيح.

وفيما يلي سيتم استعراض بعض النماذج من الأخبار الواردة في القرآن الكريم.

الأخبار القديمة:

تشمل الأخبار القديمة خلق السماوات والأرضين، وما فيهما من كواكب، ومخلوقات ساكنة نسبيا: الجبال، والسهول، والأنهار والبحار، وثروات ما تحت الأرض... وتشمل الكائنات الحية: الملائكة، والجن، والإنس، والطيور، والحيوانات البرية والبحرية، والحشرات، والنباتات... وهي تشمل ما خلقه الله بأمره المباشر، وما خلقه ويخلقه بالسنن الكونية التي أبدعها.

ومثالها قوله تعالى: {اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ. وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ. وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ.}[١١٢] ومنها قوله تعالى: {أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا. رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا. وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا. وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا. أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا. وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا. مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ}.[١١٣]

---

١١٢) الرعد: ٢-٤.

١١٣) النازعات:٢٧- ٣٣.

ومنها قوله تعالى: {أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا. وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا. وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا. وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا. وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا. وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا. وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا. وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا. وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا. لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا. وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا. إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا.}(١١٤)

ومنها قوله تعالى: {وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ. وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ. قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ. قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ. قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ. قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ. قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ . ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ. قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ. وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ. فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ. وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ. فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ. قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ. قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ. قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ. يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ. يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ.}(١١٥)

حقائق عامة وتفصيلية:

يستخدم القرآن الكريم الحقائق العامة والتفصيلية للدعوة إلى عبادة رب واحد وإلى أركان الإيمان الأخرى، منطلقا من الفرضية الصفرية فيقول تعالى:{قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ. قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ. قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ}. (١١٦) وتتراوح الحقائق العلمية بين السنن الكونية التي أدركها الإنسان، والتي لم يكتشفها بعد. وتتعدد أنواعها، فمنها ما يتعلق بالكواكب، ومنها ما يتعلق بالجمادات أو الحيوانات في الأرض والبحر، ومنها ما يتعلق بالإنسان وطبيعته. وأما الحقائق التفصيلية فهي تتراوح بين الذكر الصريح والإشارات التي تقبل التفسيرات المتعددة التي لا يمكن الجزم بها.(١١٧)

---

(١١٤) النبأ: ١٧.
(١١٥) الأعراف: ١٠-٢٧
(١١٦) سبأ: ٢٤-٢٦.
(١١٧) انظر مثلا: بوكاي، الرحيلي.

حقائق عامة:

من الحقائق العامة أو السنن الكونية قوله تعالى: {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}. و {أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ}. ومنها قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}.([118])

ومنها قوله تعالى: {وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ.}([119]) وقوله تعالى: {أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ. وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ. وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ. وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ.} ([120])

ومنها قوله تعالى: {فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ. وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ. يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ . وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ. وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ. وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ. وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ. وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ. وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ. وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ. وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ. بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ. فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ. مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ. مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ. وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ. لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ. أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ. وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ

---

[118]) سورة النحل: ٤٠؛ الأنبياء:٣٠؛ الروم: ٩.

[119]) الملك: ٥.

[120]) سورة الأنبياء:٣٠-٣٣.

بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ. أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ.}([١٢١])

ومن السنن الكونية ذات العلاقة بالإنسان يقول تعالى: {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ . وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ.}(فصلت:٣٤- ٣٥) وقوله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (الأنفال:٥٣) وقوله تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٠) ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}. ([١٢٢])

حقائق جزئية مدركة حِسًّا:

يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ}.([١٢٣]) ويقول تعالى: وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ. وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ. وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ}. ([١٢٤])

ويقول تعالى: {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ. وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ. إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ. وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ.([١٢٥])

وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ. وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ. وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ. وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ. وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ. هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ. يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ. وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ. وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ. وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ

---

[١٢١]) الروم: ١٧-٣٧.

[١٢٢]) سورة الروم: ٤٠-٤١.

[١٢٣]) الحج: ٥.

[١٢٤]) سورة النحل: ٧١- ٧٣.

[١٢٥]) الطارق: ١١-١٤.

فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ. وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ. أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ. وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ. وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ}.([١٢٦])

ويقول تعالى: {وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ. وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ. وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ. وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ. ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ. وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ}.([١٢٧])

ويقول تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ. وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ. ([١٢٨]) و {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ. يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ. وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. ([١٢٩])

أخبار الماضي:

يعجب القارئ للقصص التي يوردها القرآن بأساليب متنوعة فيشد انتباهه ليس إلى القصة نفسها فحسب، ولكن إلى العبر والدروس التي تنطق بها. ومثاله قوله تعالى: {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ}.([١٣٠])، حيث يؤكد الله بأنه ليس هناك وجود للأمة التي لم يأتها نذير، سواء أكان نبيا أو داعية إلى الصراط المستقيم.

ويقول تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا. إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا. فَأَتْبَعَ سَبَبًا. حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ

---

[١٢٦]) النحل: ٥-١٩.

[١٢٧]) سورة النحل: ٦٥- ٧٠.

[١٢٨]) فاطر: ٢٧-٢٨.

[١٢٩]) سورة النور: ٤٣-٤٥.

[١٣٠])فاطر: ٢٤

فِيهِمْ حُسْنًا}.(١٣١) وهنا تُغلِّف الآيات الدعوة إلى الإيمان بصورة جميلة محسوسة لغروب الشمس، كما يظهر للرائي، وهو وصف يختلف عن الوصف العلمي الشامل.

وعن النبي موسى، عليه السلام، وتجربته مع فرعون يقول تعالى:{وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ. آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ. فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ. وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ. فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ. وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (١٣٢)

وعن النبي عيسى، عليه السلام، يقول تعالى عن ولادته: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا. فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا. قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا. قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا. قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا. قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا. فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا}. (١٣٣)

ومشيرا إلى العلاقة بين رسالة النبي عيسى والنبي محمد، عليهما السلام، يقول تعالى:{وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ.}(١٣٤)

وتأتي الدعوة إلى التوحيد صراحة في قوله تعالى:{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا. لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (١٣٥)

ويؤكد الله بأن التوراة والإنجيل منبعهما واحد: {وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ. وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٦)

---

(١٣١) الكهف: ٨٣- ٨٦؛ معدي، الأجوبة ج١: ٣١٩.

(١٣٢) يونس: ٩٠- ٩٥؛ معدي، الأجوبة ج١: ٣٤٦.

(١٣٣) مريم: ١٦- ٢٢؛ معدي، الأجوبة ج١: ٣٤٤.

(١٣٤) الصف: ٦؛ معدي، الأجوبة ج٢: ١٣٩.

(١٣٥) النساء: ١٧١- ١٧٢؛ ج١: ٣٣٤.

(١٣٦) سورة آل عمران: ٤٨-٤٩.

ويقول تعالى عن موت عيسى: {وقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا. بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا. وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا}.[١٣٧]

أخبار الحاضر:

تندرج تحت الأخبار الحاضرة، بالنسبة لمن عاصروا نزول القرآن الكريم في صور متعددة، منها: الأحداث التي كانوا يعيشونها ويعلمون بها، ومنها ما يجري في الخفاء، ومنها ما يجري في الواقع وغير قابلة للإدراك في الحالات العادية، ومنها الحقائق الكونية الجزئية والعامة القابلة للإدراك.

أحداث يعيشونها:

ومسجلا ما يعلم المسلمون ظاهره، يخبرهم الله بحقيقة قصد اليهود في الاحتكام إلى النبي، صلى الله عليه وسلم. فهم يرفضون الإسلام ويدّعون التمسك بالتوراة. وتأتي طريقة الإخبار بأسلوب بديع، يمزج الخبر بالتوبيخ لليهود فيقول تعالى: {... سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ. وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ. إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ. وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ. وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ. وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ. وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ. وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ. أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا

[١٣٧] آل عمران: ١٥٧-١٥٩ ؛ النساء: ١٥٩؛ معدي ج٢: ١٣٩.

عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ.(١٣٨) فالآية توبخ اليهود الذين يدّعون التمسك بالتوراة، ويتجاهلوا ما فيها، ويذهبون إلى محمد، صلى الله عليه وسلم، بحثا عن حكم أيسر في قضيتهم،(١٣٩) مع أنهم يرفضون الإسلام. وبعبارة أخرى، فإن الآية لا تأمرهم بالاحتكام إلى التوراة والإنجيل بعد أن جاء الإسلام، ولكن تقرّعهم بأنهم إن كانوا صادقين في التمسك بعقيدتهم فليطبقوا ما في كتهم.

حاضر سري وثقافة:

يتظاهر المنافقون بالإسلام ويعادونه في الخفاء فيحيكون للمسلمين المؤامرات، وذلك ديدنهم، ولكن الله علام الغيوب فيكشف للنبي والمسلمين حقيقتهم. يقول تعالى: {وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ. يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ. يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ. وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ. وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ.}(١٤٠)

ويخبر الله تعالى عن حقيقة المتظاهرين بالإسلام: {وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا. وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا.(١٤١)

ويخبر الله عن أحداث تجري في الواقع مما لا يدركه المعاصرون لها فيقول: {أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ. وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ. يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ.}(١٤٢)

أخبار عن المستقبل في الدنيا:

يخبر الله عن أحداث مستقبلية، مثل انتصار الروم على الفرس بعد أن كانوا المغلوبين، فيقول تعالى:{غُلِبَتِ الرُّومُ. فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ. فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ. بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ. وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ.(١٤٣)

ويخبر الله عن حتمية دخول المسلمين المسجد الحرام منتصرين على المشركين فيقول: {لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ

١٣٨) المائدة:٤١- ٥٢.
١٣٩) ارتكب أحدهم الزنى، والحكم في التوراة الرجم.
١٤٠) سورة آل عمران: ٦٩-٧٣.
١٤١) النساء: ٧٢-٧٣.
١٤٢) سورة النحل: ٤٨-٥٠.
١٤٣) الروم: ١-٦.

اللَّهُ آَمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا.} ([١٤٤])

أخبار مستقبلية في الآخرة:

ويخبر الله عما سيجري يوم القيامة فيقول تعالى: {اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ. وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ. وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ. فَأَمَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ. وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآَخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ.}([١٤٥])

وعن مصير الكافرين ومصير المؤمنين في الآخرة يقول تعالى: {وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آَيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ. قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ. وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ. وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ. وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.([١٤٦])

ترتيب المضمونات في القرآن:

يؤكد المودودي أن أسلوب القرآن الكريم في التعامل مع موضوعاته يختلف عن أسلوب البشر، وذلك لأنه متعدد الاتجاهات، ولكن له أهداف واضحة. وتتمثل هذه الأهداف في أن الله خالق هذا الكون المستحق للعبادة والطاعة وحده، وهب الإنسان في هذه الأرض نعما كثيرة، ومنها حرية الاختيار النسبية، ليتصرف فيها ويستفيد منها بحكمة، مسترشدا بالهدى الرباني. فهذه الحياة ليست أبدية.([١٤٧])

إن المدقق في الأسلوب القرآني يدرك بأنه يختلف عن الأسلوب البشري آحادي الاتجاه في التعامل مع المضمونات المختلفة. فالأسلوب آحادي الاتجاه يبدأ بالمقدمة، ثم صلب الموضوع مع أدلته، ثم الخاتمة. لا فرق في ذلك بين البحث العلمي أو التقرير الإخباري أو القصة. أما الأسلوب القرآني فيتميز بأنه متعدد الاتجاهات، ومتعدد المحاور مع وجود محور رئيس واحد، ومتعدد المقدمات ومتعدد الخواتيم. فالأخبار شديدة التنوع في القرآن الكريم والتي تمثل تسعة أعشاره تأتي لتخدم، بصورة عامة، أركان الإيمان: الإيمان بالله الواحد الأحد، وهو يمثل المحور الأساسي لما ورد في القرآن الكريم كله. ثم تليه المحاور التي تمثل أركان الإيمان: الإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله، والإيمان بأن الحياة الدنيا هي دار اختبار مؤقتة، وتنتهي بيوم الحساب الأكبر، ثم تبدأ الحياة الأبدية في دار القرار. ثم تأتي المحاور

---

[١٤٤]) سورة الفتح: ٢٧.

[١٤٥]) سورة الروم: ١١-١٦.

[١٤٦]) سورة الزمر: ٧١-٧٥.

[١٤٧]) الأصبهاني ص ٧٢-٧٦؛ المودودي، مبادئ أساسية لفهم القرآن ص ٧-٥٣؛ عبد الحميد ص ١٨٩.

الأكثر تفصيلا في هيئة التعاليم الدينية، للفوز في الحياة المؤقتة وفي الحياة الأبدية خاصة.

ويلاحظ المتأمل في آيات القرآن الكريم أن الأدلة المتنوعة أشد التنوع تتفاعل بطريقة متقنة، مع المحاور في المستويات المختلفة، دون التقيد بمستوى محدد منها. فالوحدانية تشكل المحور الرئيس، ثم تأتي المحاور الأخرى التي تحدد العلاقة بين الخالق والمخلوق، والعلاقة بين المخلوقات، ووسائل تحقيق أفضل نوع من العلاقات بين هذه الفئات ونتائج تطبيق ذلك في الاختبار ثم في دار القرار.

وتأتي الأدلة في صيغة الخبر بمضموناته المختلفة لتسند المحاور الثانوية المتدرجة أو المحور الرئيس بأسلوب لا يملك الإنسان أمامها إلا أن يقف مشدوها. فهي لا تتقيد بنتيجة أو خاتمة واحدة، ولكن بنتائج موزعة في آيات عديدة يصعب حصرها.

ومثال الاستدلال بالأخبار لتسند المحور الرئيس وهو وحدانية الله قوله تعالى: ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ. **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ** وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ. أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ. لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ. أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ. وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ}.(١٤٨)

ومثاله للتأكيد بأن هذه الحياة مؤقتة ووراءها حساب وحياة أبدية يقول تعالى:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ. ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ. وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ}. (١٤٩) وانظر الفصل الثامن للمزيد من الأدلة.

تمارين الفصل الثالث:

١- ما هي العناصر الأساسية للنصوص القرآنية؟ اذكرها باختصار واضرب لها أمثلة لم ترد في الكتاب.

٢ – ما هي المكونات الأساسية لعنصر اللغة في القرآن الكريم واضرب لها أمثلة من خارج الكتاب.

---

(١٤٨) الحج:٦١- ٦٦.

(١٤٩) الحج:٥- ٨.

٣ – تحدث عن المفردات في القرآن الكريم، وأقسامها، اضرب لها بعض الأمثلة .

٤ – تحدث عن التراكيب اللغوية (النحو) وسماتها، واضرب لها بعض الأمثلة.

٥ – تحدث عن الأسلوب القرآني وسماته، واضرب له بعض الأمثلة.

٦ – هناك تقسيم ورد في الكتاب للأقسام الرئيسة لمضمونات القرآن الكريم، ناقش هذا التقسيم وقل فيه رأيك مع إيراد الأدلة النقلية أو العقلية اللازمة.

٧ – ورد في الكتاب تفسيرا لمعنى قوله تعالى{وما فرطنا في الكتاب من شيء}، وذلك من الزاوية الزمانية (القديم، والماضي، والمعاصر...) استخدم زاوية أخرى، مثل الزاوية المكانية أو الأقوام، أو الشخصيات البارزة، أو المخلوقات واذكر الآيات التي وردت فيها، مع ذكر السورة ورقم الآية.

٨ – ورد تعليق على ترتيب المضمونات في القرآن الكريم، عبِّر عنه بأسلوبك، واكتب رأيك فيه.

الفصل الرابع

التفسير ومصادره

لقد اتضح لنا في الفصل السابق أن طبيعة مضمونات القرآن الكريم متنوعة شديدة التنوع، ولكن يمكن تقسيمها إلى قسمين رئيسين: آيات الأحكام، وآيات الإخبار. فهذا التقسيم يؤثر في طريقة التفسير والتعامل مع آيات القرآن، من حيث الدقة في القراءة ، ومن حيث الصرامة في تطبيق قواعد التفسير. فآيات الأحكام يجب أن تخضع لشروط صارمة أكثر من آيات الأخبار، وذلك لأسباب منها:

١. الأحكام تمثل أوامر الله ونواهيه التي يجب على المسلم الالتزام بها، لضمان الفوز في الحياة الأبدية، وأما آيات الأخبار فهي معلومات لإقناع الكافر بضرورة الإيمان، أو لتعزيز إيمان المسلم، أو لتقوية إيمان المؤمن وتنميته بصورة مضطردة.

٢. السنة مرجع أساس لاستخراج الأحكام لأنها مكملة لما ورد في القرآن. ولهذا يجب التدقيق في مصداقية النصوص التي نستشهد بها في تفسير آيات الأحكام. كما يجب التشدد في اختيارها عند تفسير آيات الأحكام، حتى لا يقع المفسر في دائرة التقول على الله، فيأمر بما لم يأمر به، ويحرم ما لم يحرمه؛ وإثمهما عظيم. وأما بالنسبة لآيات الأخبار فيمكن التساهل في مصداقيتها، ما لم تتعارض مع نصوص أخرى في القرآن أو في السنة ذات مصداقية عالية. فأخطاء تفسير الأخبار ليست بتلك الخطورة أو تقاربها.

٣. السنة مفسرة أو مبينة للأحكام التي ترد في القرآن مجملة، في صيغ مختلفة، ومنها صيغة الأخبار، مثل القواعد العامة في الحكم، أو هي أخبار عن أنواع المكافآت أو العقوبات المترتبة على الامتثال بأوامر الله أو عدم الامتثال بها.([١٥٠])

٤. نحتاج في تفسير آيات الأحكام إلى معرفة مدلولات الألفاظ والأحرف المستقلة معرفة جيدة فضلا عن مدلول المصطلحات والعبارات والجمل. أما عند تفسير آيات الأخبار فلا نحتاج كل تلك الدقة المتناهية، ولا نحتاج إلى معرفة بعض المصطلحات، مثل العام والخاص، والمطلق والمقيد، والمجمل والمبين والمحكم، والمشكل، والمتشابه، والنسخ.

٥. لتفسير آيات الأحكام تقتصر الاستفادة على نصوص الكتاب والسنة، أو المستنبط منهما أو قياسا على ما فيهما. أما آيات الأخبار فيمكن عند تفسيرها الاعتماد على أي نوع من المعلومات لا تخرج عن المدلول العام للآيات، مثل الثقافة العامة بالنسبة للوقائع التاريخية والاكتشافات و الاستنتاجات العلمية المفصلة، بالنسبة للحقائق العامة والخاصة. لهذا نلاحظ قابلية تفسير آيات الأخبار للنمو بصورة مضطردة وملحوظة مع الاكتشافات المستمرة للحقائق العلمية المذكورة في القرآن، ومع نمو ثقافة المفسر عن تلك الحقائق.

---

[١٥٠]) انظر أي مرجع في أصول الحكم، مثلا: صيني، منهج الأبحاث الشرعية.

وهنا يتبادر إلى الذهن السؤال: ما المقصود بالتفسير؟

المقصود بالتفسير:

جرت العادة على استخدام كلمة "التفسير" عند الحديث عن توضيح معاني نصوص القرآن الكريم، وذلك بدلا من مثل "تأويل" فما الفرق بينهما؟ كما جرت عادة المتخصصين في أصول التفسير تقسيم مناهج التفسير إلى أقسام رئيسة، مثل التفسير بالمأثور، وبالعقل وبالرأي فما المقصود بهذه المصطلحات؟

التفسير والتأويل:

إذا عدنا إلى ما أورده الرومي([١٥١]) من نقاش بين علماء التفسير حول مدلولات كلمتي: التفسير والتأويل وأدلة الأطراف المختلفة لوجدنا أن هناك اختلافا نسبيا. وإذا عدنا أيضا إلى استعمالات القرآن للكلمتين سنجد أن كلمة تفسير وردت مرة واحدة، وذلك في قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا. وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا}.([١٥٢])

وأما كلمة تأويل فقد وردت صورتها السلبية والإيجابية، في سياق الحديث عن القرآن، في قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ **وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ** إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ.}.([١٥٣])

ووردت الكلمة بالمعنى المحايد لتوضيح ما يشكل فهمه في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ **وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**.} وفي قوله تعالى: {قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا}. وفي قوله تعالى: {رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ **تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ** فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ.([١٥٤])

وجاء التأويل بمعنى تفسير الرؤيا في قوله تعالى: وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ.} وجاء في تفسير يوسف لرؤيا الملك لسبع بقرات، وتفسيره رؤيا سجود والديه له.([١٥٥])

وجاءت كلمة تأويل ليعني أن الخبر تحول إلى واقع، في قوله تعالى: {وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ. **هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ**

---

[١٥١]) الرومي، بحوث في أصول التفسير ص ٧-١٢؛ البرهان؛ عبد الرحيم ص ١١٨-١٢١

[١٥٢]) الفرقان: ٣٢-٣٣.

[١٥٣]) آل عمران: ٧.

[١٥٤]) النساء: ٥٩.؛ الكهف: ٧٨، ٨٢؛ يوسف: ٦، ٢١، ١٠٠-١٠١.

[١٥٥]) يوسف: ٣٦، ٤٣-٤٤،

يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ.} ([١٥٦])

وبهذا يمكن القول بأن كلمة التأويل أكثر شمولية، لأنه يشمل توضيح الغامض بالعبارات، وبتحول الغامض، أيضا، إلى واقع، غير أن كلمة تفسير أكثر مناسبة لتفسير القرآن الكريم. وهنا يتبادر إلى الذهن السؤال: ما التصنيفات الشائعة لأساليب التفسير؟

أساليب التفسير:

عندما نتحدث عن أساليب التفسير يخطر في الذهن تلك الأقسام الشائعة بين من كتبوا في الموضوع: التفسير بالمأثور، وبالعقل، وبالرأي. ولكن ما هي التعريفات التي تُميِّز كل أسلوب عن الآخر؟ بمراجعة استعمالات هذه التقسيمات في كتب أصول التفسير([١٥٧]) سنجد ما يلي:

أولا – التفسير بالمأثور هو التفسير الذي يعتمد بشكل رئيس على المصادر النقلية، مثل الكتاب والسنة وأقوال الصحابة، وربما التابعين أيضا. ولا يعني استبعاد العقل والرأي المسند بالأدلة المناسبة، وذلك لأن العقل يتدخل للتحقق من مصداقية المنقول، وللتحقق من صلاحيته للاستدلال به في تفسير الآية أو الآيات المحددة، ومن درجة دلالته، أي قطعي أو ظني. فهو أسلوب تفسير ينتهي برأي محدد يستند إلى أدلته من المأثور.

ثانيا – التفسير بالعقل يعني أن المفسر يقرأ الآيات بعناية ودقة، ويستخرج المعاني الموجودة فيها، مراعيا عدم الخروج عن المدلولات اللغوية التي تحتملها. وهذا لا يعني استبعاد المأثور قطعي الثبوت والدلالة، ولكن يُحكِّم العقل في حالة النص ظني الدلالة أو المتعارض مع نصوص أخرى، أو القواعد الإسلامية العامة، أو العقل أو الفطرة. فيستخدم العقل في استنتاج المعنى المقبول عقلا وفطرة، في مقابل النقل ظني الثبوت أو ظني الدلالة.

ثالثا – التفسير بغير علم أو بمجرد الرأي. فالتفسير بغير علم ينتهي غالبا بالتفسير الفاسد في بعض المواضيع، حتى مع المعرفة الجيدة للغة العربية. والتفسير بالرأي يؤدي –في الغالب- إلى ليِّ أعناق بعض الآيات، بدرجات متفاوتة، لتخدم رأي المفسر برأيه. وقد يخالف المأثور الثابت أو العقل عمدا، أو غفلة. ولهذا كان التفسير بغير علم أو بالرأي محرما في قوله، صلى الله عليه وسلم: "من قال في الْقرْآنِ بغَيْرِ عِلْمٍ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقعَدَهُ من النَّارِ قال أبو عيسَى هذا حَديثٌ حسَنٌ صَحيحٌ." وفي رواية " ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار".([١٥٨])

---

[١٥٦]) النساء: ٥٢-٥٣.

[١٥٧]) انظر مثلا: الأصبهاني، مقدمة ص ٩٣-٩٧ ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير ص ٩٣-١١٥؛ الأصبهاني ص٩٣-٩٧؛ البنا ص ١٣-١٤؛ أبو العلا ص ٨-١٠، ١٥-١٧؛ الرومي، بحوث في أصول؛ عبد الحميد ص ١٢٧، ١٣٩-١٥٥،١٤٠-١٧٠،١٦٦-١٧١.

[١٥٨]) الترمذي ج٥: ١٩٩؛ أبو داوود ج٤: ٦٣.

ولعلي لا أنصح بعملية التصنيف هذه، لأن فيها تعميم قد لا ينطبق على كثير من الحالات الخاصة. فالباحث المنصف يأخذ بما ورد عن أبي هُرَيْرَة، رضي الله عنهَ، قال قال رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: الْكَلِمَةُ الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ حَيْثُمَا وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بها ([١٥٩])

ومن المعلوم أن المعرفة، سواء أدرجناها تحت اسم "علم" أو "فن" أو أسلوب أو وسيلة معنوية فهي ذات خمسة أبعاد.([١٦٠]) فالمعرفة قد تكون منخفضة المصداقية أو عالية المصداقية، وقد تكون شاملة أو عميقة ومفصلة، وقد تكون قليلة أو غزيرة، وقد تكون بسيطة أو معقدة، وقد تحتاج إلى مهارة خاصة للاستفادة منها أو لا تحتاج. كما أن أبعاد المعرفة درجات متفاوتة تتأرجح بين الدرجة العالية أو المنخفضة من المصداقية أو الشمولية، أو العمق، أو الغزارة أو من الحاجة إلى التدرب للاستفادة منها.

وما ينطبق على المعرفة ينطبق على التفسير. وقد يخطر في الذهن: ماذا عن درجة التدريب بالنسبة للتفسير؟ في الواقع، حتى هذا البعد ينطبق على التفسير، ولاسيما بالنسبة لتفسير آيات الأحكام التي تحتاج إلى مهارة استنتاج الأحكام الشرعية. إذ لا يكفي فيها معرفة قواعد الاستنباط وحفظها وترديدها، ولكن تحتاج إلى التدريب لاكتساب مهارة التطبيق.

وقد يكون التفسير نوعا من الوصف يتدرج من حيث القلة والغزارة، والوصف لأحداث مضت أو حاضرة عند نزول القرآن أو حاضرة إلى يومنا هذا، مثل الحقائق الكونية العامة والجزئية، أو مستقبلية. وقد يكون التفسير وصفا لحقائق كونية ثابتة أو متحركة. وقد يكون التفسير استنباطات من النصوص، وقد يكون استقراءات من مجموعة منها.

درجة عمق التفسير:

في ظل الأبعاد التي أوردناها سابقا نجد أمامنا فرصا متفاوتة للتدرج في أي بعد من الأبعاد الخمسة. ومثالها أن نقف عند المعاني التلقائية، أو نتجاوزها، ونغوص في الاستنباط والاستقراء، أو نقف عند تفسير واحد للنص القرآني أو نورد الآراء أو الأقوال المختلفة دون نقاش أو ترجيح أو نقوم بمناقشتها والترجيح بينها، ولا سيما إذا كانت مختلفة اختلافا بينا أو متعارضة...

ويلاحظ أن المصطلحات القرآنية كلها تندرج ضمن الألفاظ التي تحتاج إلى الشرح والتفسير.([١٦١]) ولو ضربنا لدرجة التعمق والشمولية مثالا محددا أي قوله تعالى:{وأقيموا الصلاة}([١٦٢]) سنجد أنفسنا أمام عدد من الخيارات من حيث مستوى العمق أو التفصيل:

١ هل نقتصر على: أدوا الصلاة المفروضة.

٢ – نضيف تعريفا للصلاة المفروضة الخمس، مع بيان أوقاتها.

---

[١٥٩]) ابن ماجه جزء ٢ صفحة ١٣٩٥.

[١٦٠]) صيني، قواعد أساسية في البحث العلمي، الفصل الأول.

[١٦١]) عبد الله.

[١٦٢]) سورة البقرة: ٤٣.

٣- نضيف كيفية أداء الفروض الخمس مع الاقتصار على الأركان.
٤ – نضيف إلى ما سبق بيان سنن الصلاة ومستحباتها حسب رأي فقهي محدد أو بعض الآراء أو كلها، بترجيح أو بدون...
٥- نضيف كيفية الاستعداد لها بالطهارة من الحدثين ونظافة الثياب والمكان ودخول الوقت...
٦- نضيف كيفية أدائها في السفر والخوف والمطر وحالات الاستثناء الأخرى.

وعموما، يمكن القول بأن درجة التفصيل يتحكم فيها الهدف من التفسير ونوع الجمهور.[١٦٣] والقرار النهائي في هذا الموضوع –غالبا- للناشر الذي يدفع تكاليف النشر، وليس لإجماع العلماء. بل ويستحيل أن يحصل عليه أي نوع من الإجماع بين العلماء إلا أن يكون إجماع لجنة محددة يكوِّنها الناشر.

وعلى وجه العموم، إن من أبرز المتطلبات هو أن يقرأ المفسر تعليقات وآراء من سبقوه في العلم قراءة ملؤها الاحترام، ولكن غير مستعبد عقله وفكره لما يقرأه، أي يقرأ قراءة ناقد وليس قراءة ناقل. فهو ليس جهاز تسجيل فقط، ولكن الله قد ميزه بالعقل القادر على التدبر والتفكر والإبداع، بشرط أن تتوفر لديه الوسائل اللازمة. ومن هذه الوسائل القدرة على الحصر والتصنيف والتحليل، التي يكتسبها بالإخلاص والجد في الدراسة والبحث والتدريب. وبعبارة أخرى، على الباحث أن يدرك بأنه من بني آدم، الذين اخترعوا الكومبيوتر ويعملون على تطويره، وليس جهاز تسجيل، أو جهاز استنساخ وتصوير.

ولا يعني ذلك أن يبدأ في نقد ما يقرؤه بما لديه من حصيلة فجّة أو ضحلة أو قليلة، فيقول هذا جيد وهذا رديء. إنما يدقق القراءة فينظر، مثلا، في أوجه الشبه أو الاختلاف بين آراء الكاتب الواحد في الصفحات المختلفة من الكتاب الواحد، أو الأعمال المختلفة، ودرجة الاتساق بينها أو درجة التعارض، إن وجد أو درجة الاطراد في أفكاره. كما يلاحظ دقة تمييز الكاتب بين المعاني والمدلولات المختلفة. ومض ثاله القول بصحة العقد إذا تم تنفيذ جزء منه لا يعادل القول بجوازه. فالعقد أصلا قد يكون من المحرمات لأن فيه اعتداء على حقوق الآخرين، ولكن هناك حاجة إلى حفظ الحقوق المترتبة على صحة العقد، بعد وقوعه وتنفيذ جزء منه.

ويحتاج المفسر إلى تدقيق أدلة كل رأي، من حيث المصداقية وحسن الفهم، في ضوء المناهج الخاصة بموضوع البحث. وهذا يتطلب، في العصر الذي لم يعايش النبي صلى الله عليه وسلم، ولا أصحابه إلماما كافيا بلغة العهد النبوي وبأصول مناهج هذه الأبحاث، وبالظروف الاجتماعية والاقتصادية والمادية التي عاشها ذلك الجيل.

موضوعات التفسير:

موضوعات تفسير القرآن كثيرة، لا تحصى، وذلك لتعدد الموضوعات التي يمكن بحثها -كما ظهر في الفصل الثاني. فقد تكون تفسيرًا لمفردة، أو لمصطلح، أو

[١٦٣] صالح، "الألفاظ الإسلامية وسبل معالجتها".

لآية بعينها أو سورة، أو لموضوع عبر القرآن الكريم كله، مثل جانب من جوانب الطبيعة البشرية، أو الظواهر الطبيعية، مثل حقائق كونية في مجالات الكواكب والجغرافيا والجيولوجيا، وعلم الأجنة... وقد يكون استنتاجا من بعض الآيات أو من سورة تكشف بعض الأحكام والدروس والعبر. وصحيح أن المفسر لا يطالب بإصدار أحكام فقهية، ولكنه يجب أن لا يتناقض في تفسير الآيات المتماثلة في الموضوع، وأن يحذر من الوقوع في الخطأ الذي يظهر المصطلحات والنصوص القرآنية متعارضة، بسبب الغفلة أو الإهمال...

ويلاحظ ضرورة وضع محور رئيس لموضوع التفسير، ومحاور فرعية، وإن كان بصورة أولية، يتم تصنيف النصوص ذات العلاقة في ضوئها. ومن المحاور الأولية: هل النص مؤيد أو معارض لمفهوم شائع، مثل القول بعداوة غير المسلمين ابتداء؟ أو هل يجعل المصطلح معقولا وواضحا أو يسهم في غموضه؟ ومن المحاور ما يمكن استيراده أو استنتاجه من دراسات تناولت الموضوع، وإن لم تكن تفسيرا، مثل دراسة عن أساليب الإقناع، فيستفيد من تقسيماتها لمحاور الدراسة، ومثاله تقسيم أساليب الإقناع إلى: العاطفية، والعقلية، والقولية، والعملية...

وعلى وجه العموم فإن التفسير يسهم في توفير تفاصيل الحكم الشرعي، مثل الحج والصيام؛ أو يسهم في توفير الاستنتاجات التي تكشف الحكمة من التشريع والفوائد الاجتماعية أو التربوية أو الاقتصادية من الحج مثلا.

تفسير آيات الأحكام:

ينصح لمن يريد التعامل مع آيات الأحكام الرجوع إلى كتب أصول الفقه، ولا يقتصر على معرفته للغة العربية معرفة كافية، أو ثقافته الواسعة. فالفقيه عند تفسيره آيات الأحكام يقول: هذا أمر الله بدرجاته المتفاوتة من صرامة التطبيق، ولا يقبل التعدد إلا عند وجود فرصة لذلك، منصوص عليها، أو يمكن استنتاجها من النصوص ذات العلاقة. والقضية تعتمد على كون النص قطعي الدلالة أو ظنيها. وعلى المفسر مراعاة درجة صرامة التطبيق (فرض، سنة، مباح، مكروه، محرم)، والحالات التي ينطبق عليها (العام والخاص)، وكيفية التطبيق وشروطها (مطلق مقيد)، والحكم في الأصل وفي الحالات الاستثنائية. وعليه أن يدرك أنواع الأدلة الشرعية: نصوص القرآن، أو السنة، أو المصادر العقلية، مثل القياس والعلة، وقياس الأولى، والاستحسان، والمصلحة المرسلة، والاستصحاب، وسد الذرائع درءا للمفسدة، والقرينة والسياق، وما لا يتم الواجب به فهو واجب، تناسق النصوص في الموضوع الواحد، والأدلة الفطرية، و الأدلة الحسية، وغير ذلك من أنواع الأدلة وشروط طرق الاستدلال.(١٦٤)

وعند وجود الاختلاف في الأقوال والآراء واحتياج المفسر إلى الترجيح ينبغي أن يضع نصب عينيه الحقيقة التي تؤكد أن المقارنة هي بين الآراء والأقوال، وليس بين المؤلفين بأشخاصهم. كما يراعي استناد الترجيح إلى درجة قوة أدلة الآراء

١٦٤) انظر كتب أصول الفقه، وكمثال: صيني، منهج الأبحاث الشرعية.

المختلفة أو المتعارضة، وأن يقدم الأدلة اللازمة. وذلك بدلا من إصدار أحكام عامة، يمكن للطفل وللجاهل إصدارها وترديدها، مثل القول "هذا جيد" و"هذا ردئ".

وهناك حقائق عامة يجب على الباحث في مجال الشريعة الإسلامية اعتبارها أثناء بحثه. فهي من الحقائق التي يجب مراعاتها عند استخراج الأحكام الشرعية. ومن هذه الحقائق: أن التشريعات الربانية لها مقاصد رئيسة وفرعية، وأنها لا تتناقض، وأن هناك تفاعل متقن بين النصوص والواقع، وهناك محاور ثابتة وقواعد تربط بين أجزاء الشريعة الربانية وتنسق بينها.

تفسير آيات الأخبار:

كما أشرنا سابقا في تفسير آيات الأخبار أنها لا تحتاج إلى الشروط الصارمة التي يحتاجها تفسير آيات الأحكام، ولا تتقيد بالمصادر المنقولة أو المستنبطة منها، وهناك فرصة مفتوحة لنموها مع نمو المعرفة البشرية المستمر. وبهذا نلاحظ أن حصيلة تفسير آيات الأخبار من المعرفة قابلة للتوسع على محاور المعرفة الخمسة بصورة واضحة. فقد يكون التفسير مختصرا أو غزيرا، وقد يكون سطحيا أو متعمقا، وقد يكون مبسطا أو معقدا، وقد يكون ذا مصداقية عالية أو متدنية، وقد يحتاج الاستفادة منها إلى تدريب. ويلاحظ عدد من المختصين بأن غالبية كتب التفسير تتسم بالمصداقية المتدنية.([١٦٥])

مصادر تفسير القرآن وأدواته:

الملاحظ أن هناك اتفاق عبر القرون بين من كتبوا عن مصادر تفسير القرآن الكريم، حيث يعدون من مصادرها: القرآن الكريم، والسنة النبوية، وأقوال الصحابة، وأقوال التابعين، واللغة العربية. ومن الملاحظ أن بعض الكتابات تضع اللغة العربية في نهاية القائمة أو بعد القرآن الكريم والسنة. وهذا مستغرب لأن المعرفة الكافية باللغة العربية هي الأساس في فهم أي نص في القرآن أو في السنة. فالمصدر الأساس **لفهم** القرآن وتفسيره هو اللغة العربية لأنه نزل بها، والأصل أن يفهم معظم آياتها من يتقن العربية، وإن لم يكن فهما متعمقا. أما إذا اعترض القارئ بعض المفردات أو العبارات أو الجمل التي لم يفهمها، أو شك في مدلولها، أو تردد بين مدلولاتها المتعددة، فإنه حينئذ، يحتاج إلى **التفسير** بالاستعانة بالقرآن أو السنة أو أقوال الصحابة...

ولعدم التفريق الكافي بين تفسير آيات الأحكام وآيات الأخبار نجد توجها ملحوظا لاقتراح تطبيق قواعد أصول استنتاج الأحكام في كتب أصول الفقه، كلها أو معظمها لتفسير القرآن. وهذا مع أن آيات الأحكام لا تتجاوز عشر القرآن الكريم.([١٦٦])

ومن الملاحظ، أيضا، أن هذه المؤلفات تشير إلى أهمية التأكد من مصداقية المنقول، غير أنها لا تنبه إلى أهمية درجة دلالة النصوص المنقولة، فهل هي ظنية أو

---

[١٦٥]) ابن تيمية في المقدمة؛ الطريفي، التقرير ٧-٩١؛ عبد الحميد ص ١٣١.

[١٦٦]) ابن تيمية ص ٩٣-١١٦؛ الفوزان ٤٥؛ وانظر منهج محمد عبده في عبد الحميد ١٦٩؛ المنجد.

قطعية؟ فلمثل هذا التمييز أهمية في عملية الترجيح بين الأدلة من المصادر المختلفة، ولاسيما إذا كانت أدلة متعارضة، مثل أن يكون النقل متعارضا مع قاعدة عامة أو مع العقل أو مع الفطرة.

ولهذا هناك ملاحظات يجب التنبه إليها إضافة إلى ما سبق عند تعريف أساليب التفسير، وتتمثل فيما يلي:

أولا – مراعاة درجة مصداقية المنقول سواء من السنة أو أقوال الصحابة أو التابعين أو العلماء والمختصين. فالأحاديث تتراوح بين الصحيح والضعيف، وأقوال الصحابة ومن بعدهم لا تخضع للتحقق الذي تخضع له لأحاديث النبوية، ومن السهل الدس فيها أو تحريفها.

ثانيا – قد يكون القرآن، والسنة مصادر مباشرة، وقد تكون غير مباشرة. فقد لا يحتاج الأمر إلا إلى النظر في آية أخرى ليجد وصف المفردة، كما في كلمة {**عدوي**} في قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ...} فالأية التي تليها تصفها بقوله تعالى: {إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ **أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ**}. وقد يفسِّر العبارة القرآنية {الذين أنعمت عليهم} في سورة الفاتحة آية في سورة أخرى مثل قوله تعالى:{وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ **الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ** مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا}. وقد يظهر التفسير في هيئة قرينة مثل أحرف التبعيض. وقد تظهر الاستفادة في هيئة سياق قصير أو طويل.([١٦٧])

وتتدرج الأدلة من المصادر، من حيث القرب والبعد إلى أدلة مباشرة، وغير مباشرة.

أدلة مباشر:-- غير مباشرة

ثالثا - قد يظهر التفسير في هيئة استنتاج حكم أو أحكام من النص القرآني محصورة، وقد يظهر في هيئة حكم ودروس وفوائد عملية يصعب حصرها. ومثال النوع الأخير الآيات التي توجب الحج أو الزكاة... والآيات التي تتحدث عن حسن الخلق والتعامل...

وعلى وجه العموم يمكن حصر مصادر التفسير في مصادر أو أدوات أساسية، تتمثل في اللغة العربية، والقرآن والسنة الموثقة، والعقل. وهناك مصادر ثانوية، تتمثل في أقوال الصحابة، والتابعين وعلماء التفسير، وطريقة التعبير عن الحقيقة القرآنية.

رابعا – التنبه إلى أن مصدر التفسير قد لا يكون واحدا بصفة دائمة، فقد تتضافر الأدلة المتنوعة، من مصادر مختلفة، على تفسير واحد، وقد تتعارض الأدلة فيحتاج إلى الترجيح.

---

[١٦٧]) الممتحنة: ١، ٢؛ النساء: ٦٩؛ الأنفال: ٧٢، وانظر صيني، حقيقة العلاقة ص ٧٢-٧٦.

المصدر اللغوي:

لقد شاء اللهُ تعالى أن تكون رسالتُه الخاتمة إلى البشريَّة باللُّغة العربيَّة، وروي عن مجاهد- رحمه الله- أنَّه قال: "لا يحلُّ لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالمًا بلغات العرب"([١٦٨]) قد تعوّد على استعمالها لكسب المعرفة أو للتعبير عنها. وهي تختلف عن الفطرة لأنها مكتسبة، رغم كون جذورها، فطرية، أي القدرة على نطق الأصوات بطريقة متسقة. فالأصل أن العربي المتمكن من لغته يفهم معظم المحتويات الأولية للقرآن الكريم بطريقة تلقائية وبدرجة تتفاوت مع ثقافته اللغوية وثقافته العامة.

فالأسلوب القرآني كما يقول الطريفي "يذكر الحق بالأدلة الموصولة إليه لذوي الفطر السليمة لأن هذا هو الأصل في الخلق، ثم إذا صودف معاند ومكابر أو جاهل، كان جداله بحسب ما تقتضيه المصلحة." و "كثير من تفاسير المتأخرين التي يحفل الخاصة، لو عرضت على العرب، عند نزول القرآن، لزهدوا فيه، فكثير مما فيها يعدونه لكُنةً وعِيّا، لا يُحتاج إليه، ويرونه من توضيح الواضحات." ف"القرآن تفهم معانيه بمجرد سماعه، وما ند عن الفهم مما يسأل عنه – موكول إلى لغتهم التي نزل بها القرآن.([١٦٩])

واللغة كائن حي، وتنمو مفرداتها بصورة مستمرة، ولاسيما في عصرنا الحاضر، وتختلف كثافة استعمالها بحسب طبيعة التعامل اليومي للإنسان المحدد، وعادته في الاطلاع على المكتوب والمسموع. ولهذا هناك حاجة إلى الاستعانة بمعاجم اللغة، أحيانا، لفهم تفاصيل النصوص التي تستخدم مفردات قديمة، أو حديثة.

ويقوم المصدر اللغوي بوظيفتين: المساهمة في فهم النصوص، والمساهمة في التعبير عن المعرفة. وكلاهما ذو أهمية بالغة. لهذا على المفسر أن يقرأ النصوص التي يتعامل معها قراءة متمعنة، مستعينا بلغته العربية الجيدة، إضافة إلى عقله اليقظ، وجهود المفسرين للقرآن الكريم. فهناك ضرورة للتقيد بالنص، وعدم تجاوزه وإطلاق مدلوله، دون زيادة تقيدها أو توسع معناها فيتداخل معناها مع معاني كلمات أخرى، وإن كان جزئيا.

ومثال الفهم الخاطئ فهم أحدهم أن قوله تعالى {ومن **شهد** منكم الشهر فليصمه} بأنها تعني "**رأى**". وهو خطأ يمكن إدراكه بالحس، في هذا السياق، فشهر رمضان ليس شيئا محسوسا، يمكن رؤيته بالعين.

وفهم أحدهم كلمة "النسيء" في الآية التالية بأنها تعني التأجيل مطلقا، أي تحريم جميع أشكال النسيء فحرّم تأخير شهر رمضان، وإن كان خطأ أو بسبب الشك. يقول تعالى : {إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ. إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي

---

[١٦٨]) المنجد ص ٦٨؛ الزركشي، البرهان في علوم القرآن ج١: ٢٩٢.

[١٦٩]) الطريفي، التقرير ص ١٨-٢٠، ٣٤-٣٥.

الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}.(١٧٠)

ويقول أحدهم"...أما بالنسبة للمحاصيل فالعرب كانت تستخدم النسيء لإعادة التقويم القمري إلى النظام الشمسي. وقد حرَم النبي صلى الله عليه وسلم النسيئة."

ومن المعلوم أن الآية مرتبطة بعدد الأشهر الحرم، ولا علاقة لها بعملية الموائمة بين التقويم القمري والمواسم الشمسية (الفصول الأربعة). فالآية بصريح العبارة تتحدث عن معرفة الكافرين بالأشهر التي يحرم فيها القتال، ولكنهم يؤجلون حرمة محرم إلى صفر عاما بعد عام. (١٧١) فالمقصود تأجيل حرمة شهر القتال، وليس تأجيل الشهر.

وهذه أخطاء تصدر – في الغالب- بسبب الضعف في اللغة العربية والثقافة الدينية التي تؤهل المفسر للتصدي لمثل هذه الموضوعات. وعموما هناك ملاحظات ينبغي للمفسر التنبه إليها، ومنها: وظائف بعض الأحرف العربية، والمدلولات الأصلية للفظ والطارئة، والقرينة والسياق،

أحرف ذات أهمية لفهم النص: (١٧٢)

للأحرف أهمية بالغة أحيانا يجب على الباحث التنبه لها. ومثاله حرف الواو الذي يجمع بين مستقلين من الأسماء أو الأفعال أو الصفات. فحرف الواو جاءت لتميز بين كلمة "ولي" عن النصير في قوله تعالى: {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ }.(١٧٣) وهذا ما يفسر نفي الله أي شيء من الولاية بين المسلمين الذين هاجروا إلى النبي صلى الله عليه وسلم والذين لم يهاجروا في قوله تعالى {...والذين ءامنوا ولم يهاجروا مالكم من **ولايتهم من شيء** حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر...}(١٧٤) فكلمة الولاية تنحصر في معنيين: السيد الذي له نوع وصاية وسلطة على آخرين، أو الشخص الذي للآخرين عليه سلطة ووصاية.

ومثاله أيضا أنه يفصل بين صفات مستقلة هي: البراءة، والعداوة، والبغضاء، والولاية، والنصرة والشفاعة والوقاية والإرشاد والعشرة.(١٧٥)

المدلولات الأصلية للفظ والطارئة:

للمفردات مدلولات أصلية، ثم يتم اشتقاق مدلولات أخرى منها، غالبا في سياقات خاصة. ومن هنا تأتي المصطلحات التي يتم التعارف عليها رسميا بين المختصين في المجالات المختلفة، سواء أكانوا لغويين أو اقتصاديين أو قانونيين أو

---

١٧٠) التوبة:٣٦- ٣٧.

١٧١) تفسير ابن كثير.

١٧٢) الرازي، المحصول ج١: ٥٠٧- ٥٣٨ ؛ الزحيلي ج١: ٣٧٥-٤١٤.

١٧٣) البقرة: ١٠٧، ١٢٠؛ التوبة: ٧٤، ١١٦؛ العنكبوت: ٢٢؛ الشورى: ٨، ٣١.

١٧٤) الأنفال: ٧٢.

١٧٥) سورة يونس: ٤١. وانظر سورة الحاشية ٢٩؛ سورة الممتحنة: ٤.

سياسيين. وبعبارة أخرى، فإن الكلمة تكتسب مدلولات تختلف عن المعنى الأصلي قليلا أو كثيرا، مع اختلاف القرينة والسياق.

القرينة والسياق:

من المعلوم أن القرينة والسياق تغيران من المدلول الأصلي للفظ، ولكن لا تقتصر وظيفتهما على ذلك. فقد ترجحان بين فهمين للنص أو النصوص ذات العلاقة. وقد تعدل القرينة والسياق المدلولات الأصلية لتصبح، مثلا تعبيرات مجازية واستعارات وتشبيهات... وبالتالي تظهر أهميتهما في استبدال المعنى في الأصل بمعنى مختلف. فليست الأحكام الاستثنائية، مثلا، في العبادات إلا نتيجة لاختلاف السياق الظرفي، مثل حالة السفر في مقابل حالة الإقامة، وحالة المرض في مقابل حالة الصحة...

وكثيرا ما يتسبب غياب القرينة والسياق أو تجاهلهما إلى غموض النص والحيرة في مدلوله، لأنه يؤدي إلى تعدد الفهم، أو الخطأ في الفهم، أو الانحراف كلية عن معناه. فتظهر نصوص القرآن متعارضة، يضرب بعضها بعضا. فيقود هذا التعارض إلى ليّ أعناق نصوص كثيرة، ذات علاقة بالموضوع.

والسؤال ما القرينة؟ وما السياق؟ وما الفرق بينهما؟

الفرق بين القرينة والسياق :

يغلب على القرينة أنها لفظية، في مقابل أن السياق يغلب عليه أنه مضمون. فالقرينة قد تكون حرفا، مثل (مِن) بكسر الميم في قوله تعالى: {ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما}.(١٧٦)

وقد تكون مفردة، مثل "طائفة"(١٧٧) أو "فريق"(١٧٨) أو "كثير".(١٧٩) وقد تظهر بصورة صفة تضاف إلى المفردة العامة، مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم "إذا لقيت **عدوّك** من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث خصال، فأيتهن أجابوك إليها فاقبل منهم وكف عنهم..."(١٨٠)

وقد تكون القرينة الأسلوب الذي يصاغ به النص ، فصيغة الأمر تنقلب من حيث المدلول إلى السخرية، لا تعني الأمر بدعاء الكافرين ما يعبدون، ولكن السخرية بمن يعبدون الأصنام. يقول تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ **فَادْعُوهُمْ** فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا **قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ** ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ.(١٨١)

---

(١٧٦) سورة آل عمران: ٧٥، ١١٣؛ التوبة: ٩٨-٩٩.
(١٧٧) سورة آل عمران: ٦٩، ٧٢؛ النساء: ٨١.
(١٧٨) سورة البقرة: ٧٥، ١٠٠، ١٠١؛ آل عمران: ١٠٠؛ النور: ٤٧-٤٩.
(١٧٩) سورة البقرة: ١٠٩؛ المائدة: ٦٦، ٧١.
(١٨٠) مسلم ج٣: ١٣٥٧.
(١٨١) سورة الأعراف: ١٩٤-١٩٥.

ومثاله أيضا قوله تعالى: { قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ **وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**. قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ.(١٨٢)

ففي هاتين الآيتين يوضح الأسلوب بأنه ليس المقصود إثبات احتمال خطأ المؤمنين، ولكنه التحدي بالفرضية الصفرية التي تقول: لنفترض أنا جميعا سواء بالنسبة لاحتمال الصواب والخطأ. والحق سيظهر يوم الحساب بعد انتهاء فترة الاختبار.

وأما السياق فقد يكون جملة لصيقة ومباشرة، لا تحتاج إلا إلى النظر في الآية أو الآيات التي تسبقها أو تليها مباشرة ليزول التعميم الوارد في بداية الآية، في قوله تعالى: {الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم. ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر، عليهم دائرة السوء، والله سميع عليم. ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول، ألا إنها قربة لهم، سيدخلهم الله في رحمته، إن الله غفور رحيم}.(١٨٣)

ومثاله القول السائد بأن الولاء يعني المحبة والنصرة، ولكن عند قراءة الآية التالية يتضح أن هذا القول السائد غير صحيح. يقول تعالى: {...والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا، وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق.}(١٨٤) فالآية تنفي الولاية تماما بين من هاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومن أسلم ولم يهاجر، ولكنه أثبت النصرة بشروطها. ومن المعلوم أن المحبة مطلوبة بين المؤمنين في أي ظرف، ولا يجوز نفيها في أية حال. فالقول بأن الولاء معناه المحبة والنصرة تجعل الآية تبدو متناقضة، وأما إذا قلنا بأن الولاء معناه الوصاية ووجود نوع من السلطة فتظهر الآية عندئذ متسقة.

وكذلك الأمر بالنسبة لمصطلح البراء. فالتعريف السائد في القرون المتأخرة يقول بأن البراءة تعني العداوة والبغضاء، وأن البراءة من الشرك تستوجب البراءة من المشرك. وعند مراجعة الآيات الرابعة إلى التاسعة في سورة الممتحنة يتضح أن هذا التعريف يجانب الصواب. فقد اعتبرت النصوص القرآنية البراءة فعلا مستقلا عن العداوة، وعن البغضاء؛ وجعلت البراءة الدائمة من الشرك مستقلة عن البراءة من المشرك المعادي.(١٨٥)

ومثاله أيضا الآية التي توجب كتابة الدَّين في بدايتها ثم تجيز عدم الكتابة {... فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ.}(١٨٦). فبداية الآية توجب الكتابة، ولكن نهايتها تصرف الوجوب إلى الاستحباب.

---

١٨٢) سورة سبأ: ٢٤-٢٥.

١٨٣) سورة التوبة: ٩٧-٩٩؛ وانظر آل عمرا: ١١٠-١١٢ وسياقها المباشر من ١١٣-١١٥.

١٨٤) سورة الأنفال: ٧٢؛ وانظر المزيد من التعليق في الفصل السابع.

١٨٥) سورة الممتحنة: ٤-٩.

١٨٦) سورة البقرة: ٢٨٢-٢٨٣.

وهكذا نلاحظ أن السياق المخصص قد يكون واضحا في النص أو يسبقه أو يلحق به مباشرة. وقد يحتاج الأمر إلى استقراء جميع النصوص التي وردت فيها الكلمة بمشتقاتها في القرآن.

التفسير بالقرآن

يستفيد المفسر لتفسير نص في القرآن بنص أو نصوص أخرى في القرآن، وذلك بدرجات متفاوتة، يتراوح بين المساهمة المباشرة، كما ظهر لنا في أمثلة السياق. ومثاله تفسير كلمة "عدوي وعدوكم"، في سورة الممتحنة، بقوله تعالى: {إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ. وقد يكون التفسير بقاعدة عامة، مثل {لا إكراه في الدين، ليبين بأن قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ}.([١٨٧]) وقد يحتاج الأمر إلى الاستعانة بمجموعة من الآيات متفرقة، مثل الآيات التي تؤكد بأن الفصل بين الحق والباطل يوم الحساب أو القيامة.([١٨٨])

والقاعدة عند الاختلاف على مدلول كلمة وردت في القرآن مع مدلولها في المصادر الأخرى للتفسير، مثل كتب السنة ومعاجم اللغة فإن الحكم فيها للقرآن، ولاسيما إذا ورد استعمالها في آيات متعددة وسياقات مختلفة.

التفسير بالسنة

السنة هي أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله وإقراراته، أي أفعال أو أقوال صدرت من آخرين علم بها النبي صلى الله عليه وسلم وأقرها. فالسنة هي مجموعة من التطبيقات العملية لما ورد في القرآن الكريم، ولما أوحي إليه وأُلهم، واجتهاداته عليه الصلاة والسلام، في كافة مجالات الحياة. وقد تم حفظها سماعا وتم تسجيل شيء منها في عهده، صلى الله عليه وسلم. ثم سجلها المختصون في علم الحديث، في ظل شروط تتراوح بين الصارم والجيد، بحسب منهج من قام بالتسجيل. وقد تم تسجيل معظم السنة بقواعد صارمة.([١٨٩])

ومن المعلوم أن السنة النبوية تعتبر مكملة ومفصلة لآيات الأحكام. وأما بالنسبة لآيات الأخبار فلم تكن هناك حاجة إلى التفصيل، وذلك لأن تركيز الصحابة كان على فهم آيات الأحكام. وعموما فإن كثيرا من المفردات في القرآن وبعض سوره ورد فيها تفسير نبوي. وترتبط مسألة قبول التفسير من السنة على درجة مصداقيته، ودرجة دلالته، أي هل هو أقرب إلى القطعي منه إلى الظني أو العكس. فما ثبت تفسيره عن النبي، قطعي الثبوت وقطعي الدلالة، فلا يمكن مناقشته، ولكن دون استبعاد المعاني المحتملة الأخرى لغويا، أي لا يستوجب الاقتصار عليه. ويعتمد ترجيحه على الأدلة من المصادر الأخرى، عند الاختلاف ولاسيما في حالة التعارض.

---

[١٨٧]) الممتحنة:١- ٢؛ التوبة: ١٢٣؛

[١٨٨]) يونس: ٩٣؛ النحل: ٢٥-٢٧؛ ص: ١٤-١٦، ٥٢-٥٣؛ المتحنة: ٣، ٢٥-٢٦.

[١٨٩]) مثلا: ابن الصلاح، علوم الحديث؛ القطان، علوم الحديث؛ صيني، منهج أبحاث المحدثين.

ويلاحظ أن ما ثبت من السنة عالية المصداقية في تفسير آيات الأخبار قليل جدا، مقارنة بما ثبت بالنسبة لآيات الأحكام. وهو أمر طبيعي لأن القرآن نزل بلغة قريش ووردت الأخبار بلغة يألفونها؛ فهم يفهمون منها ما يحتاجون، وكثير من الحقائق الكونية التفصيلية قابلة للإدراك الحسي. وأما الأخبار الغيبية فهم يؤمنون بها لأنها وردت في القرآن.

ومثال تفسير لفظة في القرآن بالسنة، ورد في السنة أنه لمَّا نزَلَتِ {الَّذِينَ آمنُوا ولَمْ يَلبِسُوا إيمانَهُمْ بِظُلْمٍ} شقَّ ذلِكَ علَى النّاسِ. فقَالُوا يا رسُولَ اللهِ: أيُّنَا لا يَظلِمُ نَفسَهُ؟ فقَالَ رسُولُ، اللهِ صلى الله عليه وسلم، إنّهُ لَيسَ الّذِي تَعنُونَ. ألَمْ تَسمَعُوا إلى ما قالَ العَبْدُ الصّالِحُ {يا بُنيَّ لا تُشرِكْ بِاللّهِ إنَّ الشِّرِكَ لَظُلْمٌ عظِيمٌ.}([١٩٠])

وفي تفسير قوله تعالى: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} عن عدي بن حاتم قال انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال "أليسوا يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرمه فتحلونه؟ قلت: بلى. قال: فتلك عبادتهم."([١٩١])

وجاء في تعريف "المغضوب عليهم" أنهم اليهود، وأن الضالين هم النصارى. فعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ أَنّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ الْمَغْضُوبُ عَلَيْهِمْ الْيَهُودُ وَالضَّالُّونَ النَّصَارَى ([١٩٢]) وهناك تعليق من محمد عبده وآخر بأن اليهود والنصارى هم من النماذج البارزة عند المسلمين للصنفين في ذلك الوقت، فهناك غيرهم ممن علم بالحق ورفضه أو رفضه بسبب الجهل في كل زمان ومكان.

كما ورد حديث رواه عمران ابن حصين، رضى الله عنه، في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ. يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ.}([١٩٣]) يقول عمران بن حصين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو في بعض أسفاره قد فاوت بين أصحابه السير فرفع بهاتين الآيتين صوته:بالآيتين السابقتين. فلما سمع ذلك أصحابه حثوا المطي، وعرفوا أنه عنده قول يقوله. فلما اجتمعوا حوله قال: هل تدرون أي يوم ذاكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذاك يوم ينادي آدم عليه السلام فيناديه ربه فيقول: يا آدم ابعث بعث النار. فيقول: يا رب وما بعث النار؟ فيقول من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعون في النار وواحد في الجنة. قال فأبلسوا حتى ما أوضحوا بضاحكة. فلما رأى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ذلك قال: اعملوا وأبشروا فوالذي نفس محمد بيده، إنكم لمع خليقتين ما كانتا مع شيء إلا كثرتاه يأجوج ومأجوج، وما هلك من بني آدم ومن بني إبليس. قال

---

[١٩٠]) الأنعام: ٨٢؛ سنن سعيد ين منصور ج٥: ٣٢؛ لقمان: ١٣.
[١٩١]) التوبة: ٣١؛ ؟؟؟ تخريج الأحاديث والآثار ج ٢: ٦٥.
[١٩٢]) ابن حبان، صحيح جزء ١٤ صفحة ١٣٩؛ البنا ص ٥٥.
[١٩٣]) الحج: ١-٢.

فسرى ذلك عن القوم. فقال: اعملوا وابشروا فوالذي نفس محمد بيده ما أنتم في الناس إلا كالرقمة في ذراع الدابة أو كالشامة في جنب البعير".[١٩٤]

الأدلة العقلية:

العقل عنصر من العناصر البشرية الأربعة الرئيسة: الروح، والعقل، والعاطفة، والجسم. وهو يقوم بأنشطة لا تحصى، يمكن تصنيفها في الوظائف التالية:

أولا - يقوم العقل بإدراك الواقع وتصوره، ويقوم بفهم الحقائق العامة والتفصيلية التي يتلقاها أو يكتشفها.

ثانيا – يختزن العقل ما يصل إليه من معرفة بدرجات متفاوتة من الإتقان

ثالثا – يقوم بتصنيف ما يصل إليه من معرفة، من حيث درجاتها في أبعاد المعرفة الخمسة، ومنها المصداقية، أي يحدد درجة مصداقيتها، ودرجة تفصيلها، أي دقة دلالتها (قطعية أو تميل إلى الظنية)...

رابعا – يستنتج العقل من المعرفة المتوفرة له بعض الحقائق العامة للاستفادة منها، بدرجات متفاوتة من الدقة، بعض الأحداث المستقبلية، مثل النتائج الحتمية للسنن الكونية، ليستعين بها الإنسان في حل مشكلاته اليومية. فالاستنتاج ذو وجهين: وجه يسمى الاستقراء، يُستخدم للخروج بحقائق عامة وقواعد وضوابط؛ ووجه يسمى الاستنباط، يسهم في الوصول إلى الحلول التطبيقية لمشكلات الإنسان اليومية، بالاستنباط من الحقائق العامة. ويستخدم العقل لاستنباط الأحكام من آيات الأحكام،[١٩٥] ويستخدم في تفسير المفردات والمصطلحات، والعبارات والجمل التي تحتاج إلى التوضيح بالنسبة للقارئ في عصورنا المتأخرة والقادمة. ومثال الاستنتاج العقلي إدراكه بأن عبارة "كل شيء" لا يعني كل شيء على وجه التحديد، ولكن مجازا عن الكثرة، في قوله تعالى: {وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا **مِنْ كُلِّ شَيْءٍ** إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ} و{وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ} و{إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ}.[١٩٦]

خامسا – يقوم العقل بالتعبير عن المعرفة المتوفرة عنده، مستخدما اللغة التي حفظها بالممارسة المكثفة. ومن المعلوم أن عملية التعبير لا تقتصر على العبارات، ولكن أيضا على الصور الذهنية أو المحسوسة. ومنها ضرب الأمثلة الافتراضية أو الواقعية لتوضيح المعاني المعقدة أو الخفية. ومثاله في القرآن قوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ. مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ [١٩٧]

ويلاحظ أن ردة الفعل العقلية، عند الإنسان، تتدرج بين المحايدة جدا والمتطرفة إلى أحد الطرفين، في ضوء المعرفة أو المعلومات المتوفرة عند الإنسان،

---

[١٩٤] النيسابوري، المستدرك على الصحيحين ج ٢: ٤١٧.
[١٩٥] انظر مثلا صيني، منهج الأبحاث الشرعية، الفصل
[١٩٦] النمل: ١٦، ٢٠، ٢٣.
[١٩٧] الحج: ٧٣- ٧٤.

ودرجة تحكم عقله في العنصر العاطفي خاصة. وعندما تكون ردة الفعل محايدة تكون متسقة مع الفطرة السليمة. وأما المتأثرة، بدرجات متفاوتة بالمشاعر أو المعلومات أو المعرفة الشخصية المكتسبة، فتكون متطرفة بدرجات متفاوتة بحسب قوة تلك المؤثرات.

الأدلة الحسية:

يقول الغزالي الأدلة **الحسية** هي المدركات بدون جهد([١٩٨]) أو المدرك بصورة تلقائية. وهي تختلف عن الأدلة الفطرية، لأنها تستند إلى الإدراك الحسي، وليس إلى الذهن مباشرة.

ومن أمثلتها في القرآن الحقائق القابلة للإدراك حسا، مثل قوله تعالى :{ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ}. ومنها قوله تعالى: {فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ. وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ([١٩٩])

الأدلة الفطرية:

هي ردة الفعل التلقائية، لا تحتاج إلى تفكير، وثقافة مكتسبة، سواء أكانت موروثة أو تجارب شخصية، وذلك لأنها تعود إلى العنصر الروحي عند الإنسان، الذي يتحكم في بقية العناصر البشرية: العقل، العاطفة، والعضوي. فهي ردة الفعل التلقائي الذي أشار إليه جبريل بقوله "هديت الفطرة" عندما اختار النبي، صلى الله عليه وسلم اللبن، بدلا من الخمر.([٢٠٠]) ومن المعلوم أن التساؤلات المحكمة تثير الفطرة. ومثالها الرد التلقائي لقوم إبراهيم الذين كانوا يعبدون الأصنام في قوله تعالى: {قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآَلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ. قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ. **فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ.**}([٢٠١])

ويولد الإنسان بفطرة محددة، مثل إيمانه بوجود خالق للكون وأنه واحد. يقول تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آَدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ.} فقد ورد في السنة أن عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنْهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ ثُمَّ مَسَحَ عَلَى ظَهْرِهِ بِيَمِينِهِ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً فَقَالَ خَلَقْتُ هَؤُلاءِ لِلْجَنَّةِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَعْمَلُونَ ثُمَّ مَسَحَ

[١٩٨]) الغزالي، المستصفى ج٢: ١١٩.
[١٩٩]) الحج: ٦١؛ الأنعام: ٩٦- ٩٩.
[٢٠٠]) مسلم: الإيمان، الإسراء. وانظر إسماعيل، كشف الغيوم فيما يتصل بالتكليف والاختبار المتقن.
[٢٠١]) الأنبياء: ٦٢-٦٤.

ظَهْرَهُ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً فَقَالَ خَلَقْتُ هَؤُلاءِ لِلنَّارِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ يَعْمَلُونَ فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَفِيمَ الْعَمَلُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِنَّ اللَّهَ إِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلْجَنَّةِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُدْخِلُهُ بِهِ الْجَنَّةَ وَإِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلنَّارِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ فَيُدْخِلُهُ بِهِ النَّارَ (٢٠٢)

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم "ما من مولود إلا يولد على الفطرة. فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه." (٢٠٣) ثم يقول أبو هريرة: واقرءوا إن شئتم فطرة الله التي فطر الناس عليها. لا تبديل لخلق الله. فالإنسان يميل بالفطرة إلى الاعتقاد بوجود خالق وأنه واحد، دون الحاجة إلى التفكير.(٢٠٤)

تعارض المصادر الأساسية:

قد تتعارض المصادر الأساسية للتفسير (اللغة، والقرآن، والسنة، والعقل) فيحتاج الأمر إلى التحليل والترجيح بينها. وذلك لأسباب منها تأثر المعاجم اللغوية ببعض الأحاديث المشكوك فيها، ومنها تناقل المؤلفين بعض المدلولات للكلمة المحددة بطريقة تلقائية دون تمعن فيها، ودون فحصها عقليا، وذلك بمقارنتها مع مدلولاتها في القرآن الكريم المحفوظ لفظا ومعنى. ومنها اعتمادهم على بعض الأبيات الشعرية التي لا أسانيد لها وغير قابلة للفحص بمنهج المحدثين أو حتى المؤرخين.

ومثاله التعريف اللغوي لكلمة آلاء بأنها النعم،وذلك اعتمادا على حديث لا يصل إلى درجة الصحيح. فيصطدم هذا التعريف بما يستنتجه العقل من بعض الآيات في سورة الرحمن، حيث يقول تعالى: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ. وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ. فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ... يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ. فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ. فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ. فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ. فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ. فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ. يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آَنٍ. فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ.}(٢٠٥) فالآية الأولى تتحدث عن صفته تعالى، وتعتبر الآيات الأخرى أن من الآلاء: التحدي، والتهديد، والوعيد، وليست النِعَم.

وكما يبدو واضحا يؤثر الحديث الموضوع أو الضعيف في المدلول اللغوي المسجل في بعض معاجم اللغة الحديثة خاصة، فتأثر هذه المدلولات على فهم نصوص القرآن الكريم. ويتضاعف الخطأ بتعدد مصادره، فيغتر بها العاقل ويصدقها من باب الغفلة.

---

٢٠٢) الأعراف: ١٧٢؛ ابن حبان، صحيح ج ١٤: ٣٧-٣٨.

٢٠٣) البخاري: القدر، الله أعلم؛ مسلم، القدر، معنى كل مولود.

٢٠٤) مسلم: الإيمان، الإسراء. وانظر إسماعيل، كشف الغيوم فيما يتصل بالتكليف والاختبار المتقن.

٢٠٥) الرحمن: ٢٦-٢٨، ٣٣-٤٥.

وهناك ضرورة للفصل بين أدوات الفهم مثل اللغة بصفتها أدلة، وبين فهم المفسرين السابقين. فقد يخطئ المفسر في الفهم اللغوي للمفردة أو العبارة أو الجملة، وقد يضيف إليها مدلولا قد يحتمله، ولكن يجعله يتناقض مع المرجح في الآيات الأخرى التي استعملت اللفظة نفسها. فاللغة العربية هي الحكم في فهم الكتاب ما لم تتناقض مع المدلول الراجح في القرآن. فمعاجم اللغة ليست كلها نقل بحت، فبعض المدلولات فيها هي من استنتاج مؤلف المعجم. ومثاله أن يعتمد اللغوي أو جامع المعجم على حديث لا يرقى إلى درجة الصحيح، دون التدقيق في مصداقيته فيحيد عن الصواب.

مصادر نقلية ثانوية:

تتألف المصادر الثانوية من أقوال الصحابة وتفسير بعض التابعين وعلماء السلف. فهي خير مرشد عند تعارض المصادر الأساسية للتفسير. فهناك متسع للأفهام المختلفة بالنسبة لآيات الأخبار عموما، وحتى بالنسبة لبعض آيات الأحكام هناك مجال للتعدد، بشرط عدم التعارض مع نصوص السنة الموثقة والعقل والحس. ومن المصادر الثانوية كتب السيرة النبوية، والتاريخ، والثقافة العامة.

تفسير الصحابة:

يشمل تفسير الصحابة أقوالهم الموثقة في كتب الحديث، التي قطع علماء الحديث بأنها من أقوالهم، أو ترددوا بين نسبتها إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، وبين إيقافها على الصحابي. ومن الأقوال المنسوبة إلى الصحابة ما تفردت بعض كتب التفسير بذكرها، وبأسانيدها، بصورة عامة، هي ضعيفة. ([٢٠٦]) والحَكم في قبولها هو أنها لا تتعارض مع مدلولات اللغة العربية باعتبارها تفسيرات محتملة.

ويعتبر تفسير الصحابة، في العموم، دليلا مرجحا إذا اختلف الرأيان المتأخران أو تعارضا، وكانت النصوص ذات مدلولات متعددة، وتتساوى في الاحتمال. وقد سبق القول بأن الصحابة أعرف بسياق النصوص التي توارثتها الأجيال التالية. وينسب إلى الإمام أبي حنيفة قوله: "إذا لم أجد في كتاب الله ولا سنة رسوله، أخذت بقول أصحابه من شئت وأدع قول من شئت، ثم لا أخرج عن قولهم إلى غيره."([٢٠٧])

وهذا رأي دقيق. فهو يشترط عدم وجود شيء عن المسألة في الكتاب والسنة؛ كما يشترط عدم اختلاف الصحابة فيه حتى يرجح على أقوال غيرهم.

أما في حالة وضوح النصوص، أي قطعية الدلالة، فأقوال الصحابة هي من اجتهاداتهم البشرية في فهم نصوص القرآن الكريم

ومن الضروري أولا التثبت من مصداقية نسبة القول المحدد إلى الصحابي، أو حتى إلى، أحد العلماء. فتحريف أقوالهم والدس فيه سهل جدا. ومثاله القول المنسوب إلى الإمام أحمد بن حنبل، الذي يرفضه العقل "أنه كان إذا رأى يهوديا أو نصرانيا أغمض عينيه، ويقول "لا تأخذوا عني هذا فإني لم أجده عند أحد ممن تقدم،

---

[٢٠٦]) انظر مثلا: الطريفي، التقرير في أسانيد التفسير.

[٢٠٧]) خلاف، أصول ص ٩٥.

ولكني لا أستطيع أن أرى من كذب على الله." ومن الواضح أن هذا القول يتهم الإمام احمد بالجهل بقوله تعالى: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}.(٢٠٨) ويتهم الإمام أحمد بأنه يرى نفسه أكثر ورعا من نبي الله الذي كان يتعامل مع غير المحاربين من الكافرين جميعا بالإنصاف والإشفاق عليهم والبر بهم.

ومثاله القول المنسوب إلى ابن تيمية "وليُعلم أن المؤمن تجب موالاته وإن ظلمك واعتدى عليك، والكافر تجب معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك ." (٢٠٩) وهذا القول يتهم ابن تيمية بأنه يدعوا المسلمين إلى نكران جميل الكافرين فيعارض ما أمر الله به من البر والقسط.

ومن الأمثلة الثابتة عن الصحابة تفسير قوله تعالى: {إذا جاء نصر الله والفتح}(٢١٠) روي عن ابن عباس في صحيح البخاري أنه قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر. فكأن بعضهم وجد في نفسه فقال: لم يدخل هذا معنا، وإن لنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه ممن علمتم. فدعاهم ذات يوم، فأدخلني معهم، فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم، فقال عمر: ما تقولون في قول الله تعالى {إذا جاء نصر الله...} فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونشكره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئا، فقال عمر لي: أكذلك تقول يابن عباس؟ فقلت لا.. فقال ما تقول؟ فقلت: هو أجل رسول الله صلى.. أعلمه له {إذا جاء...} فذلك علامة أجلك {فسبح...} فقال عمر ما أعلم منها إلا ما تقول.(٢١١)

التفسير بقول التابعي:

ومثال التفسير بقول التابعي قوله تعالى: {يا أيها اللذين آمنوا أوفوا بالعقود}(المائدة: ١) قال مجاهد العقود هي العهود.

مصادر الثقافة العامة:

وتندرج تحت مصادر الثقافة العامة الاكتشافات العلمية، أو المعلومات المتخصصة في المجالات المختلفة التي تشمل الظواهر الطبيعية، والطبيعة البشرية، مثل كتب السيرة والتاريخ وكل ما يخص الطبيعة البشرية وتكوينه وسلوكه... كما يندرج تحتها المعلومات ذات العلاقة بطبيعة الحيوانات البرية والبحرية والحشرات، والأحياء الدقيقة...

تمارين الفصل الرابع:

١ – يؤكد المؤلف بأن هناك اختلاف بين طبيعة آيات الأحكام وآيات الأخبار، وأن هذا الاختلاف يتطلب مناهج مختلفة، نسبيا، لتفسير آيات الأحكام وآيات الأخبار. فما رأيك في الموضوع؟ مع إيراد المبررات اللازمة.

---

٢٠٨) البهوتي، كشاف القناع ج٣: ١٣١؛ الممتحنة: ٨.
٢٠٩) ابن تيمية، تحقيق النجدي، مجموع الفتاوى ج٢٨: ٢٠٩.
٢١٠) النصر: ١.
٢١١) البخاري: تفسير سورة إذا جاء نصر.

٢ – هل هناك فرق بين التأويل والتفسير؟ وإذا كان هناك اختلاف فما هو في رأيك، مع إيراد الأدلة اللازمة.

٣- يرى المؤلف أن التقسيم الشائع لأساليب التفسير ليس منطقيا. فما رأيك؟ مع إيراد الأدلة اللازمة؟

٤ – ما المقصود بعمق التفسير؟ اضرب مثالا لعمق التفسير بالنسبة لآية من آيات الأحكام أو آية من آيات الأخبار.

٥ – أذكر ثلاثة من شروط تفسير آيات الأحكام، مستعينا بثلاث كتب من أصول الفقه، مع التوثيق اللازم.

٦ – اختر كتابا في أصول التفسير، ولخص مصادر التفسير فيه، وناقشها، مع إيراد الأدلة اللازمة التي تسند رأيك.

٧ – اختر أية، تحتاج إلى أكثر من مصدر من مصادر التفسير، وقم بتفسيرها.

٨ – اختر ثلاث آيات يحتاج كل منها إلى مصدر مختلف من مصادر تفسير الآيات القرآنية.

٩- اختر آية اختلفت المصادر في تفسيرها أو تعارضت، وقم بالترجيح بينها، مع إيراد الأدلة اللازمة.

الفصل الخامس

خطوات تطبيقية

إن المسلم ليقف حائرا أمام قدرة الله واستغنائه عن المسلمين من عباده وقدرته في تسخير غير المسلمين لخدمة كتابه العظيم، القرآن الكريم. ف"الكافرون" هم أول من وضعوا فهرسا لآيات القرآن الكريم فيسر بصورة واضحة على الباحثين مهمة التأمل في الموضوعات التي أشار إليها القرآن الكريم. ومن العجيب، أيضا، أن رب هذا الكون سخّر غير المسلمين لتوفير "ابن الخواجة" الحاسب الآلي، ليخدم الباحثين في القرآن بطريقة مذهلة. وسيتم اكتشاف بعض خدماته في هذا الفصل، بعرض بعض الخطوات التي تعين الباحث في موضوعات تفسير القرآن الكريم لتنفيذ بحثه، وللخروج بنتائج ذات قيمة علمية. وذلك بدلا من ترديد بعض المعلومات التي عمّرت لقرون طويلة، وتنمية المزيد من المعلومات النظرية. وذلك فيما عدا آيات الأحكام التي تفرض على المتعامل معها مواكبة الزمن بإلحاح. وسيتم في هذا الفصل اقتراح بعض النصوص أو الآيات للتفسير، واقتراح بعض الخطوات لتنفيذها، واستعراض بعض النماذج التي توضح الفكرة.

آيات مقترحة للتفسير:

كما تبين لنا في الفصل الأول من الكتاب أن موضوعات الدراسة ذات العلاقة بتفسير القرآن الكريم متنوعة، وسيتم في هذا الفصل اقتراح آيات بعينها تحتاج إلى الدراسة. وذلك لأن بعض الاستفهامات تدور حول مدلولاتها، لأسباب مختلفة، منها القصور في فهم اللغة العربية، ومنها القصور في القراءة، ومنها عادة الترديد للتراث الموروث، دون فحص، ومنها التأثر بأقوال علماء جديرين بالاحترام، لم يدّعوا العصمة من الخطأ، والدفاع عنها، وإن كانت من الزلات البشرية التي لم ولن يسلم منها أحد من المخلوقات، بنسب متفاوتة.

خطوات تفسير الآيات:

من الفوائد التي يجنيها الباحث من ابن الخواجة (الحاسب الآلي) والخدمات التي يوفرها: البحث عن مواقع المفردات أو النصوص المطلوبة في النسخ الإلكترونية للقرآن الكريم أو الكتب عموما، وعمل الجداول بطريقة ميسرة، وتنسيقها حسب محتويات الأقسام (الأعمدة)، ونسخ الجدول مرات متكررة، وإعادة تصنيفها... وللاستفادة من هذه الخدمات يوصي الباحث باتباع الخطوات التالية:

١. عمل جدول مكون –على الأقل- من ثلاثة أعمدة: واحدة لتحديد صنف مصدر النص (لغة، قرآن، سنة...)، والثانية لتفريغ النص، والثالثة لكتابة الملاحظات.
٢. تحديد الآية المراد تفسيرها، ومعها اسم السورة ورقم الآية، وتفريغها في الجدول، وإن كان بدون ترتيب.

٣. حصر الآيات التي تناولت الموضوع نفسه، أو استعملت المفردة الرئيسة نفسها أو المصطلح، وجميع مشتقاتها.
٤. حصر الأقوال في الآية بصرف النظر عن مصادرها: آية أخرى، حديث نبوي، قول صحابي، تابعي أو قول أحد العلماء أو المختصين؛ وتفريغها في المستطيل الذي يحوي نص الآية المراد تفسيرها.
٥. تصنيف النصوص وترتيبها حسب تصنيفات متعددة لأغراض متعددة، وذلك بعمل نسخ من الجدول وتحديد تصنيف جديد في القسم الأول، مثلا تصنيف بحسب ترتيب الآيات ذات العلاقة في المصحف؛ أو تصنيف حسب نوع الموضوع أو تصنيف حسب نوع مصدر التفسير (آية أخرى، حديث...) فبرامج معالج الكلمات الشائعة توفر هذه الخدمات، وبسهولة وسرعة مذهلة.
٦. عند الحاجة يمكن زيادة الأعمدة بحسب الحاجة لتيسير عملية البحث، مثل قسم للأرقام المتسلسلة، للتأكد من عدد النصوص، وقسم للمرجع الذي نبّه إلى الآية، عرضا أو لمناقشة الأقوال فيها... ويلاحظ أن القسم الرئيس هو القسم الذي يتم فيه تفريغ النص، ويوضع كل نص في مستطيل مستقل.
٧. استعراض الآية المحددة وفهم معناها الظاهر لغويا، مستعينا بمعاجم اللغة وأقوال السابقين وبأدلتهم، إذا لزم الأمر.([٢١٢]) وفي حالة وجود تعارض بين الأقوال أو مع نصوص أخرى في القرآن أو السنة الموثقة أو تعارضها مع العقل أو الفطرة فينظر في القرائن، وفي سياقاتها المختلفة، مثل الآيات التي تسبقها أو تلحقها، أو نصوص السنة أو أحداث السيرة ذات العلاقة.
٨. قد يحتاج الأمر إلى توضيح مدلولات بعض مفردات النص قليلة الاستعمال بين عامة القراء، في عصر محدد، أو في بيئة جغرافية محددة، لقدمها أو لحداثتها أو لقلة استعمالها. وقد لا يحتاج الأمر إلى ذلك. فمن المعلوم أن المفسر لا يحتاج إلى معرفة معنى الكلمة بالتحديد، وذلك لأنه مفهوم في سياق الآية التي تقع فيها الكلمة. ومثالها كلمة "أوقد" في قوله تعالى:{وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ}. ومثالها كلمة "ثاويا" في قوله تعالى:{ وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ}.([٢١٣]) والأمثلة كثيرة.
٩. قد يكون التفسير مجرد إعادة صياغة بعض المعلومات في النص، مؤيدة بالأمثلة من الواقع، إذا لزم الأمر.
١٠. إضافة بعض المعلومات التفصيلية أو التوضيحية إلى النص.
١١. عقد مقارنات بين النصوص ذات العلاقة للحصول على معلومات تضاف إلى تفسير الآية.

---

[٢١٢]) ابن قيتيبة، غريب القرآن؛ مخلوف، كلمات القرآن.
[٢١٣]) القصص:٣٨، ٤٥.

١٢. محاولة استنتاج معلومات أخرى مبنية على النص وحده أو مضافا إليه مجموعة من النصوص، من القرآن، أو من مصادر مختلفة، ذات علاقة. ومن المعلوم أن كتب التفسير جميعها تقريبا متوفرة في نسخ إلكترونية، وكثير منها متوفر في المواقع الإلكترونية، يسهل الحصول عليها أو الرجوع إليها.([٢١٤])

١٣. ويلاحظ الباحث، بصورة عامة أن الأدلة أو مصادر معلومات التفسير متعددة، كما تبيّن معنا في الفصل الثالث، وتختلف درجاتها من حيث القوة في الاستدلال في الموضوع المحدد.([٢١٥]) كما يلاحظ أن بعض الأيات قطعية الدلالة، وبعضها ظنية الدلالة، أي قابلة للتعدد في المدلول، وبعضها لا صلة لها كافية بالآية موضوع التفسير، أو لا صلة لها تماما. وتنطبق القاعدة نفسها على نصوص السنة، فيما عدا أن نصوص السنة تحتاج أيضا إلى فحص درجة المصداقية، وذلك لأن أدلة السنة تتراوح بصورة عامة، بين الصحيح، والحسن، والضعيف، والموضوع. وهناك المشكوك في رفعه إلى النبي، صلى الله عليه وسلم.([٢١٦])

نصوص للتفسير:

سيتم تفسير بعض الآيات المنتقاة ، ومنها بعض الآيات التي أشار إليها معدي، والرومي.([٢١٧])

اللغة مصدر للتفسير:

الأصل كما سبق بيانه أن القرآن نزل بلسان عربي مبين يفهم العربي مضمموناته بدرجات متفاوتة وبعمق متفاوت، حسب ثقافته اللغوية. وهذا يعني عدم استبعاد صعوبة فهم المدلولات المحددة لبعض المفردات والمعاني لبعض الجمل على العربي اللسان. وسنرى فيما يلي بعض النماذج من تلك المفردات والجمل والتراكيب اللغوية.

وما دمنا نؤمن بالحقيقة السابقة، فإنه يجب على المفسر أن لا يجهل أو يتجاهل أن المدلولات التي وردت في القرآن الكريم للفظ المحدد هي الحكم. وما يخالفها يعتبر استثناء (استعارة) أو هي مرفوضة، إلا أن يتم إثباتها بأدلة نقلية، تعادل الأدلة التي أثبتت مصداقية القرآن، أو تضافرت الأدلة المتنوعة على مساندتها. وأما إذا لم يثبت المدلول الشاذ وكان معارضا لمدلولاتها في القرآن فحكمه الرفض، على وجه الجزم. وكذلك الأمر بالنسبة للتراكيب اللغوية يُعد القرآن هو الحكم في خطئها أو صوابها، وذلك لأن قواعد النحو للغة العربية هي، في الأصل، مستقرأة من الاستعمالات

---

[٢١٤]) وهذه المعلومات إذا تم تسجيلها بمعالج الكلمات إلكترونيا يوفر على الباحث وقتا وجهدا كبيرا عند كتابة تقرير البحث ونتاجه، وييسر عليه الاستفادة منها في أبحاث أخرى، إذ ليس عليه سوى أن ينسخ ويلصق، ثم يجري التعديلات اللازمة لتتسق مع الغرض الجديد.

[٢١٥]) انظر مثلا: صيني، منهج الأبحاث التشريعية، الفصل الثاني.

[٢١٦]) وهو الحديث الذي لا يصل سنده إلى النبي، ويقف على الصحابي، والأصل في الحديث المعتبر أن يصل سنده إلى النبي، صلى الله عليه وسلم.

[٢١٧]) معدي، الأجوبة الجلية جزءان؛ الرومي، منهج المدرسة العقلية ص٦٥٣-٧١٨، بحوث في أصول التفسير.

الدارجة للغة العربية، ويمثل القرآن الكريم أفصحها. يقول رب العالمين: {وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ}.(٢١٨)

ويلاحظ أن بعض المعاني المضافة لبعض الألفاظ في معاجم اللغة العربية المتأخرة ليست مؤهلة لتفسير الألفاظ المستعملة في القرآن الكريم، إلا أن نريد به صياغة بعض الآيات صياغة تقرب معانيها لأهل هذا العصر. وهي ليست مؤهلة لتصادم المدلولات الواردة في القرآن.

المفردات والمصطلحات:

من المفردات التي وردت في القرآن مصطلحا "الخبر" و"النبأ" الذين تعرضا للنقاش واختلف المختصون في اعتبارهما مترادفتان أو مختلفتان. قال البعض أنهما مترادفتان من جوانب كثيرة. أما من حيث التفاصيل فميز بعض هؤلاء - استنادا إلى معجم تاج العروس - بين النبأ والخبر حيث خصوا كلمة نبأ بالخبر العظيم، أو الخبر الذي يتعرى عن الكذب، أو الإخبار بالأمور الغائبة. وتردد البعض بين القولين ولم يحاولوا حسمه أو لم يأتوا بدليل حاسم يقوم بالترجيح. وزاد "عزت" بأن الخبر للأحداث القريبة الوقوع أما النبأ فللبعيدة الوقوع، وقيد الأحداث بأنها حصلت في الماضي - في موضع - ثم عاد فاتفق مع شلبي في احتمال كون الخبر مما سيحدث في المستقبل أيضا.(٢١٩) ...

أما عند الرجوع إلى سورة "النبأ" نجد كلمة "نبأ" تتحدث عن حدث عظيم، يقع في المستقبل البعيد نسبيا، أما جمعها في آية أخرى فتعني الأحداث القريبة العادية. ومن جهة أخرى، نجد كلمة "أخبار" في سورة الزلزلة تتحدث عن ما وقع على ظهر الأرض منذ بدء الخليقة من أحداث، بما فيها الأحداث العظيمة. وهكذا يظهر أن الكلمتين مترادفتان من جميع الجوانب. ولو كان النبأ خاصا بالخبر العظيم فربما لم تكن هناك حاجة للقول "النبأ العظيم".(٢٢٠)

ومن المفردات التي وردت في القرآن كلمة "العين" التي تعني النظر، وتعني نبع الماء. ولو تأملنا في استعمالاتها في القرآن سنجد أن صيغة الجمع تختلف باختلاف المعنى. فمثلا إذا بحثنا في القرآن عن مشتقات الكلمة سنجدها في آيات متعددة، وعند تصنيفها حسب صيغة الجمع سنجد ما يلي:

عين/أعين	وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (الزخرف: ٧١)
	سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (الأعراف١١٦)
	{وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا} (الأعراف: ١٧٩)
	أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ (الأعراف: ١٩٥)
	مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (السجدة: ١٧)
	هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (الفرقان: ٧٤)

٢١٨) الشعراء:١٩٢- ١٩٥.
٢١٩) عزت، دراسات ص ٢، ٢٠، ٤٢-٤٤؛ شلبي، الخبر ص ٤٩-٦٥؛ الشنقيطي، أصول ص١٥-٢١.
٢٢٠) صيني، مدخل إلى الإعلام ص ٢٠٣-٢٠٤.

يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (غافر: ١٩)	
إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (الحجر: ٤٥)	عين/ عيون
فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (الشعراء: ٥٧)	
وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (الشعراء: ١٣٤)	
فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (الشعراء: ١٤٧)	
وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (يسن: ٣٤)	
تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (الدخان: ٢٥)	
فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (الدخان: ٥٢)	
إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (الذاريات: ١٥)	
إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ (المرسلات: ٤١)	

التراكيب النحوية:

سبقت الإشارة في الفصل الثاني إلى أن استنتاج النحو أو قواعد التراكيب النحوية جاء بعد نزول القرآن الكريم بعقود، وذلك استنادا إلى الاستعمال القرآني للغة العربية والسنة ولغة قريش خاصة. فأي نقاش للتراكيب النحوية في القرآن أصله الرفض. فالقرآن محفوظ كما نزل من رب العالمين لفظا. وهو الحكم في هذه المسائل، وليس العكس. ومع هذا قد يعترض البعض على بعض التراكيب أو الاستعمالات بسبب الغفلة أو الجهل.

فمثلا اعترض بعض الجهلة على استعمال "لا" في القسم ، معتقدا أن القسم إنما يكون بلام القسم ووائها، وتائها... واعتقد أن ورودها في {لا أقسم بهذا البلد} خطأ بسبب جهله بأن هذه الصيغة وردت في القرآن مرات متعددة وفي مواقع مختلفة، ومن الأمثلة: {فلا أقسم بالشفق}، {فلا أقسم بالخنس، {لا أقسم بيوم القيامة}، {فلا أقسم بما تبصرون}، {فلا أقسم برب المشارق}، {فلا أقسم بمواقع النجوم}.([٢٢١])

واعترض البعض على {وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ}؛ وغفلوا أن هناك صفاتا مشتركة بين الخالق والمخلوقات، يميز بينها أنها للخالق المتفرد في صفاته، أو للمخلوق الضعيف، ومنها الاستواء. وهناك صفات تتسق مع صفات الواحد الأحد ولا تصلح للبشر، مثل الجبار، المتكبر. وهناك صفات تليق بالبشر، ولكنها لا تليق بالواحد الفرد الصمد، ومنها: ذكي، ومجتهد، وعاقل، ولبيب.([٢٢٢])

وظن البعض أن أي حرف مركب من الألف والنون "إن" ينطبق عليها حكم أخوات إنّ، أي تنصب الاسم، وغفل عن الاستعمالات المتعددة ل"إنْ" التي تستعملها بعض القبائل لتعني "إذا" أو قريب من ذلك. ومثاله قوله تعالى:{وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ } و { قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى.} ([٢٢٣])

---

[٢٢١] ابن القيم، التبيان في أقسام الرقآن ص ٢٢-٥٦.
[٢٢٢] آل عمران: ٥٤؛ ابن حيدرة ص ٤١.
[٢٢٣] الأنعام: ٢٥؛ طه: ٦٣؛ ج٢: ٢٣٨.

وفهم البعض أن كلمة "نذير" تقتصر على الأنبياء والرسول في قوله تعالى: {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ}، (٢٢٤) وغفل أنها كلمة تنطبق على الدعاة الذين يقتفون آثار الأنبياء ويدعون الناس إلى ما دعوا إليه.

وفهم البعض أن هناك تعارضا بين القول بموت المسيح ورفعه في قوله تعالى: {إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي **مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ** وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ.}(٢٢٥) ومن يتأمل الآية لا يجد تعارضا، فقد توفاه الله ورفعه بجسده، ولم يجعل جسده عرضة للافتراءات، مثل صلبه. يضاف إلى ذلك أن الأحاديث التي وردت في نزول عيسى لا تشير إلى أنه كان حيا عند ربه، قبل النزول.(٢٢٦)

وخلط البعض في عدد الأيام التي خلق الله فيها السماوات والأرض وما بينهما، بسبب عدم الدقة في القراءة. وعند مراجعة الآيات ذات العلاقة بالموضوع سنجد الآيات متفقة على أن الخلق كان في ستة أيام (٢٢٧) ويأتي شيء من التفصيل في قوله تعالى: {قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ. ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ}.(٢٢٨) وواضح من الآية العاشرة أن الله خلق الأرض وجعل فيها رواسي، وقدر أقواتها في أربعة أيام، منها يومين لخلق الأرض. ثم خلق سبع سماوات في يومين. فيصبح الجميع ستة أيام، لأن الآية التاسعة تندرج تحت الآية العاشرة، وليس ثمانية كما ظن البعض بسبب القراءة السطحية.

وفهم البعض أن هناك تعارضا بين بعض الآيات: {لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ}و {وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ} و {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}.(٢٢٩) وبين قوله تعالى:{وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}، وقوله تعالى {يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ}و {مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.(٢٣٠)

ومن يتأمل الآيات السابقة يجد أن الآيات الأولى تقول بأن أحدا لن يستطيع تبديل كلمات الله فقد حفظه الله. وتؤكد الآيات الأخرى بأن الله وحده له القدرة في تبديل آية مكان أخرى، وهو وحده الذي يشاء المحو والتثبيت والنسخ. وإن فعل الله

---

(٢٢٤) فاطر: ٢٤.

(٢٢٥) آل عمران: ٥٥.

(٢٢٦) العصقلاني، فتح الباري جزء ٦: ٤٩٠- ٤٩٤؛ العيني، عمدة القاري ج ١٥: ٢٢٤ ؛ ج١٨: ٢١٤- ٢١٥

(٢٢٧) ق : ٣٨؛ الأعراف : ٥٤؛ يونس: ٣؛ الحديد :٤- ٦.

(٢٢٨) فصلت :٩- ١٢.

(٢٢٩) يونس: ٦٤؛ الكهف: ٢٧؛ الحجر: ٩.

(٢٣٠) النحل: ١٠١؛ الرعد: ٣٩؛ البقرة: ١٠٦.

شيئا من ذلك فالله أعلم بما ينزل، وهو إن نسخ آية فهو وحده القادر على أن يأتي بخير منها أو مثلها. وبعبارة أخرى، فإن هذه الآيات لا تفيد بأن هذا الأمر قد حصل فعلا. ويشبهه قول أحدنا في مستوى البشر "إن جربتني ستجد ما يسرك".

وكثر اللغط حول قوله تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا. وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا}.(٢٣١) فقد استغل أعداء الإسلام واغتر بهم بعض تلاميذهم فعمدوا إلى خلق قصص خيالية، مثل أن النبي، صلى الله عليه وسلم، رأى زوجة زيد خلسة في بيته فوقعت في نفسه، وكأنه لم يراها من قبل وهي التي كانت تتردد علي بيت النبوة من صغرها إلى أن كبرت، فخطبها لزيد.

ذكر القرطبي، عن سبب الآية، عن علي بن الحسين أن اللَّه أوحى إلى نبيّه، صلى الله عليه وسلم، أن زيدًا سيطلق زينب وأن اللَّه يزوجها رسوله، صلى الله عليه وسلم. وبعد أن علم هذا بالوحي قال لزيد: أمسك عليك زوجك. وأن الذي أخفاه في نفسه هو أن اللَّه سيزوّجه زينب رضي اللَّه عنها. ثم قال القرطبي بأن العلماء قالوا هذا هو أحسن قول في قوله تعالى وتخفي في نفسك ما الله مبديه}.(٢٣٢)

وأصل زواجها كما ورد عند البخاري وآخرين عن أنس، رضي الله عنه، قال: جاء زيد بن حارثة رضي الله عنه يشكو زينب إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: اتق الله وامسك عليك زوجك فنزلت {وتخفي في نفسك ما الله مبديه.} ومن يعرف النبي، صلى الله عليه وسلم، الذي وصفه الله {وإنك لعلى خلق عظيم} يدرك أن الحقيقة تتمثل في احتمالين:

١. ما أشار إليه القرطبي.
٢. أو أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يشفق على الزواج غير الموفق بسبب التقاليد التي كانت سائدة ولا تزال بصورة أخف. فزيد كان مولى عند النبي فأعتقه، وكان شديد السمرة. أما زينب فكانت ابنة عمة النبي صلى الله عليه وسلم. وعندما جاءه زيد يشاوره في تطليق زينب لأنه يرى أن الزواج كان فاشلا **فأخفى موافقته لرأي زيد**، ممنيا نفسه بنجاح الزواج، مع مضي الوقت.(٢٣٣) ويدل على ذلك قوله تعالى في بداية سورة الأحزاب:{ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه، وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم، وما جعل أدعياءكم أبناءكم.} (٢٣٤) وكانت زينب قد رضيت بزيد زوجا، احتراما للنبي، صلى الله عليه وسلم، مع صعوبة ذلك عليها وعلى ذويها. فكافأها الله بأن زوجها للنبي، صلى الله عليه وسلم، بأمر منه، واختار

---

[٢٣١]) الأحزاب:٣٦- ٣٧.
[٢٣٢]) أضواء البيان ج٦: ٢٤٠
[٢٣٣]) دلائل النبوة ج٧: ٢٨٥؛ الطب النبوي ج١: ٢٠٦-٢٧؛ السيرة الحلبية ج٢: ٤٨٣ - ٤٨٤؛
[٢٣٤]) سورة الأحزاب: ٤-٥.

أن تكون الحادثة مناسبة لتشريع جديد، أي قوله تعالى: {وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله ...}(٢٣٥) وتأكيدا لهذا يُشترط لتحريم زواج الأب من مطلقة ابنه أن يكون ابنه من صلبه، بخلاف التقاليد التي كانت شائعة في الجاهلية.(٢٣٦)

اللغة والقرينة:

تقوم القرينة اللفظية، مثل حرف "من" بتقييد المدلولات التي تأتي في صيغة عامة في آيات أخرى. ومثالها قوله تعالى:{وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ. بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ}. (٢٣٧)

ويقول تعالى في سورة الحج: وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ **كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ}**؛ وقال في السجدة، أيضا {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٤) يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ **أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ**}. أما في سورة المعارج فقال: {سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ. لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ. مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ. تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ **خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**}.(٢٣٨) وفهم بعضهم أن هناك تعارضا بين الآيتين، وفاتهم أن ألف سنة مقترنة "بما تعدون"، وأما "خمسين ألف سنة" في السورة الثانية غير محددة. فقد يعني خمسين ألف سنة من السنوات عند الله، أي خمسين مليون سنة (١٠٠٠×٥٠٠٠٠) أي مما نعد. وقد يكون شيئا آخر لا يعلمه إلا الله. فليس هناك تناقض. ولعل الحديث الذي رواه مسلم من رواية أبي هريرة، رضي الله عنه، يسند هذا المعنى الأخير" حتى يَحْكمَ الله بين عبَادِهِ في يَومٍ كان مِقْدَارهُ **"خَمْسِينَ أَلفَ سنَةٍ مِمَّا تَعدُّونَ"**.(٢٣٩)

آيات قرآنية أخرى:

اعترض أحد الجهلة المترصدين للإسلام فقال هناك تعارض بين قوله تعالى: وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ} وقوله تعالى:{لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ **وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ** بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ}.(٢٤٠) ولو تأمل المنتقد في الآيات التي ورد فيها {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} سيجد هذه الحقيقة مؤكدة في

---

٢٣٥) سورة الأحزاب: ٣٧.

٢٣٦) سورة النساء: ٢٣.

٢٣٧) آل عمران: ٧٥- ٧٦.

٢٣٨) الحج : ٤٧؛ السجدة :٤- ٥ ؛ المعارج :١- ٦.

٢٣٩) مسلم ج٢: ٦٨٢.

٢٤٠) فاطر: ١٨؛ النحل: ٢٥.

آيات أخرى، بأن {وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى}([٢٤١]) ومن سعي الإنسان أن يُضِلّ غيره فيتحمل وزره.

هناك مصطلحات لا يقف أثرها على مدلول الكلمة، ولكنها تقوم بوظيفة خطيرة، تفرق بين الحلال والحرام في قضايا محورية ذات شأن. ومنها كلمة الولاء التي ترد في آيات متعددة، وفهمها الكثير في القرون الأخيرة على أنها تعني المحبة والنصرة بالضرورة. وهو قول يفيد بوجود التناقض في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَـئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ **وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ** حَتَّى يُهَاجِرُواْ **وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ** إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}.([٢٤٢]) فالآية تنفي الولاية تماما بين من أمنوا ولحقوا بالنبي، والذين آمنوا وبقوا في ديارهم، ولكنها توجب نصرة الفئة الأولى للثانية. كما أن **المحبة واجبة بين المؤمنين في جميع الظروف، لأنه شعور في القلب،** لا يخضع للضغوط الخارجية. فعدم الهجرة مبرر لأن لا تكون للأغلبية شيئ من الولاية (الوصاية) ولكنه مبررا لإسقاط واجب النصرة والمحبة بين المؤمنين بشروطها. ويؤيد هذا المعنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إنما الولاء لمن أعتق".([٢٤٣]) فالولاء هنا لضمان حق طرف على الطرف الآخر، ولا يستوجب المحبة والنصرة بينهما. كما يتضح من الآيات المتعددة أن الشفاعة، والوقاية، والإرشاد، والعِشرة، ليست من المدلولات الأساسية للولاية، ولكن قد تضاف إليها.([٢٤٤])

ويضاف إلى ذلك أن الآيات الكثيرة بسياقاتها تؤكد بأن الولاية المحرمة تقتصر على اتخاذ المسلمين أولياء من المعادين للإسلام أو للمسلمين من أجل دينهم. كما أن انعدام الولاء لا يعني ضرورة البغض أو انعدام درجات المحبة كلها، ودرجات التعاون. فقد شجّع الإسلام على تأليف قلوب غير المسلمين، والتعاون معهم لتحقيق المصالح الدنيوية المشتركة. وأباح الإسلام الاستعانة بهم وبعلومهم وبخبراتهم... ما لم يؤثر ذلك سلبا على مصير المسلم في الآخرة.([٢٤٥])

ويلاحظ أن المدلول الأساس لكلمة "الولاء" ولمشتقاتها هو وجود نوع من السلطة والوصاية لطرف على طرف آخر. ويمكن أن نطلق كلمة "مولى" و"ولي" على الطرفين، أي الوصي والموصى عليه.([٢٤٦]) ويلاحظ أنه لا فرق بين الوِلاية بالكسر والوَلاية بالفتح في المعنى الأساس.([٢٤٧]) فهنا تتضافر الأدلة من القرآن، واللغة، والعقل على فساد تعريف الولاء بالمحبة والنصرة.

وهناك مصطلح آخر أسيء فهمه هو البراء، وله مثل خطورة كلمة الولاء. فقد شاع أنها تعني بالضرورة العداوة والبغضاء. وأما عند مراجعة الاستعمالات القرآنية

---

[٢٤١]) الأنعام: ١٦٤؛ النجم: ٣٨-٤١؛ الزمر: ٧.

[٢٤٢]) سورة الأنفال: ٧٢، وانظر السور: الحج: ٧٨؛ وانظر البقرة: ١٠٧؛.

[٢٤٣]) البخاري: العتق، من ملك من العرب.

[٢٤٤]) انظر مثلا كلمة "ولي" في ونسك، المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ٧: ٣٢٢-٣٢٥.

[٢٤٥]) ابن تيمية، فتاوى ج٤: ١١٤-١١٦؛ ابن القيم، أحكام ص ٢٧٧-٤٠٠؛ أيوب ص ٩٠-٩٢؛ حقيقة العلاقة ين المسلمين وغير المسلمين؛ صيني، العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين.

[٢٤٦]) ابن منظور، لسان العرب، ولي؛ وانظر أنيس وزملاؤه، الموالاة، والموالي.

[٢٤٧]) وانظر مثلا ابن منظور ؛ صيني، المبادئ الإسلامية في التعامل ص ٩٤-١٢٧.

سنجد أنها لا تتضمن -بالضرورة- العداوة والبغضاء لمن يقوم بشيء يستوجب البراءة. فالأصل فيها هو نفي الصلة أو قطعها مع الشيء المتبرئ منه. ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

١. جاءت الآية التالية، في سورة الممتحنة، للإخبار فقط عن البراءة مما يعمله كل فريق في قوله تعالى: {وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُمْ بَرِيئُونَ **مِمَّا أَعْمَلُ** وَأَنَاْ بَرِيءٌ **مِّمَّا تَعْمَلُونَ**}.([٢٤٨])

٢. تفريق رب العالمين بين البراءة من المعتقد، والبراءة من صاحب المعتقد، فقد أضيفت الأخيرة إلى الأولى، في قوله تعالى: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا **بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ** مِن دُونِ اللَّهِ. كَفَرْنَا بِكُمْ...}([٢٤٩]) لقد أضيفت البراءة مما يعبدون إلى البراءة من عابديها باعتبارهما أشياء مستقلة، فالبراءة من الفعل لا تقتضي البراءة ممن يقوم به دائما.

٣. إضافة العداوة والبغضاء في جملة مستقلة إلى التبري، وإضافة البغضاء إلى العداوة، وذلك باعتبارها صفات مستقلة، أي وجود أحدها لا يلزم وجود الأخريات، وذلك في تكملة الآية السابقة: {...كَفَرْنَا بِكُمْ، **وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ والْبَغْضَاء** أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ}. فالبغضاء قد تبقى مخفية دون ترجمة حسية. وقد تترجم في هيئة عبارات أو سلوك سلبي فتظهر للآخرين لتسمى العداوة. وقد يحدث السلوك العدائي، بدون بغض، من باب المزاح أو لغرض التربية أو بغير قصد.

يتمثل المدلول الأساس لكلمة "البراء" ومشتقاتها في "الانفصال عن الشيء"، سواء أكانت تهمة أو عيبا، أودَينا، أو عن الأصل المختلف كما في أبدع، أو نفي العلاقة بين المخلوقات ذوات الحياة (مثل الإنسان) وبين شيء معنوي محدد (مثل الكفر)، أو نفي العلاقة بين مجموعتين من المخلوقات.([٢٥٠]) فهنا تتضافر الأدلة من القرآن، واللغة، والعقل على فساد تعريف البراء بأنها العداوة والبغضاء.

ويلاحظ هنا أن إبراهيم عليه السلام يعلن عن العداوة والبغضاء المتبادلة بينه وبين قومه، والذي بدأها قومه، حيث لم يقتصروا على رفض دعوته، بل قاموا بمعاداته وبغضه. ولهذا، ربط زوالها بالإيمان، ولكن الآية السابعة تركت الأسباب مفتوحة. يقول تعالى: {عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ **بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً**، وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}.([٢٥١]) فقد تزول هذه الحالة بأن يكف قومه عن بغضه وعداوته.

وبهذا يتضح مما سبق أن انعدام الولاء لا يعني بالضرورة البراء أو العداوة والبغضاء. فالأمر ليس إما ولاء أو براء، ولكن هناك حالات متفاوتة بينهما؛ قد يكون الإشفاق أو الحياد، في حالة غياب الولاء أو البراء.

---

[٢٤٨]) سورة يونس: ٤١. وانظر سورة الحاشية ٢٩.

[٢٤٩]) سورة الممتحنة: ٤.

[٢٥٠]) ابن منظور، برأ؛ سورة الحديد: ٢٢؛ وانظر: البقرة: ٥٤، ١٦٦- ١٦٧؛ الحشر: ٢٤؛ المائدة: ١١٠؛ الأنفال: ٤٨؛ النساء ١١٢؛ الأنعام: ١٩.

[٢٥١]) سورة الممتحنة: ٤، ٧.

السنة الموثقة:

تفسر السنة معاني بعض الآيات فتزيدها وضوحا. ومثاله يقرأ المسلم العربي سورة الفاتحة سبع عشرة مرة في اليوم، ويفهم معناها العام، ولكن يأتي حديث فيزيد معناها جلاء. يقول أبو هُرَيْرَةَ سمعت رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يقول: قال الله عز وجل قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي شَطْرَيْنِ فَنِصْفُهَا لِي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي ما سَأَلَ قال فقال رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، اقرؤوا يقول الْعَبْدُ {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} فيقول الله عز وجل حَمِدَنِي عَبْدِي وَلِعَبْدِي ما سَأَلَ. فيقول {الرحمن الرَّحِيمِ} فيقول أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي وَلِعَبْدِي ما سَأَلَ. يقول {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}فيقول الله مَجَّدَنِي عَبْدِي فَهَذَا لي وَهَذِهِ الْآيَةُ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ. يقول الْعَبْدُ {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} يَعْنِي فَهَذِهِ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي ما سَأَلَ وَآخِرُ السُّورَةِ لِعَبْدِي. يقول الْعَبْدُ {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عليهم غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عليهم ولا الضَّالِّينَ} فَهَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي ما سَأَلَ (٢٥٢)

ويقول تعالى:{ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآَخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ} ويأتي حديث فيضيف إلى المعنى المفهوم حقيقة خفية. يقول عُقْبَةَ بن عَامِرٍ يقول سمعت رسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم وهو على الْمِنْبَرِ يقول) وأَعِدُّوا لهم ما اسْتَطَعْتُمْ من قُوَّةٍ. ألا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ ألا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ. ألا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ.(٢٥٣) ويمكن الإضافة بأن التفسير النبوي للقوة، يثبت صدقه حتى بعد أكثر من أربعة عشر قرنا، وإلى الأبد. فكلنا يدرك خطورة الصواريخ القادرة على حمل أي نوع من القنابل، وإصابة أي مكان لا تصل إليه الطائرات.

وفزع بعض الصحابة عندما نزل قوله تعالى:{الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ}. يروي عَلْقَمَةَ عن عبد اللهِ قال: لمَّا نزَلَتْ هذه الآيةُ {الَّذِين آمَنُوا ولم يلْبِسُوا إِيمانَهُمْ بِظُلْمٍ} شقَّ ذلك على الناس، وقَالُوا يا رسُولَ اللهِ فأَيُّنَا لاَ يظْلِمُ نفْسَهُ؟ قال: إنه ليس الذي تعْنُون. أَلَمْ تسْمَعُوا ما قال الْعبْدُ الصَّالِحُ؟ {يا بني لاَ تشْرِكْ بِاللهِ إنَّ الشِّرْكَ لظُلْمٌ عظِيمٌ} إنما هو الشِّرْك."(٢٥٤)

ويقول تعالى:{وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آَدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ. أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آَبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُون}. فيأتي حديث عمر ابن الخطاب ليفسر لنا ذلك. قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سُئِلَ عَنْهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ ثُمَّ مَسَحَ عَلَى ظَهْرِهِ بِيَمِينِهِ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلاءِ لِلْجَنَّةِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَعْمَلُونَ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً فَقَالَ خَلَقْتُ هَؤُلاءِ لِلنَّارِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ يَعْمَلُونَ. فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَفِيمَ الْعَمَلُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِنَّ اللَّهَ إِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلْجَنَّةِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُدْخِلُهُ بِهِ الْجَنَّةَ. وَإِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلنَّارِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ فَيُدْخِلُهُ بِهِ النَّارَ (٢٥٥)

---

(٢٥٢) سنن ابن ماجه جزء ٢ صفحة ١٢٤٣.
(٢٥٣) الأنفال:٦٠؛ مسلم جزء ٣ صفحة ١٥٢٢.
(٢٥٤) الأنعام: ٨٢؛ مسند أحمد بن حنبل جزء ١ صفحة ٣٧٨.
(٢٥٥) الأعراف: ١٧٢- ١٧٣؛ ابن حبان، صحيح ابن حبان ج ١٤: ٣٧-٣٨.

العقل مصدر للتفسير:

يظهر العقل لتفسير بعض الآيات، أي يوضح مدلولها أو يرجح فهما محددا لها. ومثاله الآيات التي وردت في حقيقة النبي عيسى. فالآيات في سورة النساء تؤكد أنه عبد الله ورسوله، وإن كانت طريقة ولادته غير طبيعية. يقول تعالى: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا. لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا}. ثم تأتي الآيات لتسند هذه الحقيقة في قوله تعالى: {وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ. قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}. وفي قوله تعالى: {مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ. قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}.([٢٥٦])
وما داما يأكلان الطعام فهما يحتاجان إلى ما يحتاجه البشر من عملية الهضم، والتخلص من النفايات مما ينفي عنهما صفة الألوهية بصورة جازمة.

ويقول تعالى: {وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ}، {وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ}، و{إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا} ([٢٥٧])

وهنا يتدخل العقل ليقيد مدلول "كل شيء" المطلقة. فالعقل يدرك أن هذه العبارة في هذا السياق لا يعني كل شيء. كما أن العقل يدرك أن العبارة نفسها تعني كل شيء المطلقة، ومثاله: قوله تعالى: {وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ}،{و وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ}.([٢٥٨])

ويتدخل العقل ليفيد أن المقصود بالركوع والسجود أداء الصلاة، وليس وضع الركوع والسجود. يقول تعالى:{وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ **وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**} و{التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ **الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ** الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ}. وكذلك الأمر بالنسبة لقوله تعالى:{إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ **رَاكِعُونَ**}.([٢٥٩])

وفي الآيات التالية نجد الأسئلة "ألم تر" تتابع فلا يملك العقل إلا أن يجيب "بلى" فالله هو الخلاق العليم. يقول تعالى:{ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ. ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ. أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ

---

[٢٥٦]) النساء:١٧١- ١٧٢؛ آل عمران: ٤٦-٤٧؛ المائدة: ٧٥-٧٦.
[٢٥٧]) النمل: ١٦، ٢٣؛ الكهف: ٨٤.
[٢٥٨]) الحجر: ١٩؛ الذاريات:١٩.
[٢٥٩]) البقرة: ١٢٥؛ التوبة: ١١٢؛ المائدة: ٥٥.

الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ. لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ. أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ. وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ. لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ. وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ. اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}.([٢٦٠])

ويعتقد من يعطل عقله عن التفكير أن هناك تناقضا بين الآيات التالية، أما الذي يعمل عقله فإنه يدرك أنه لا وجود للتناقض، لأن الآيات تتحدث عن مراحل مختلفة وبعبارات مختلفة، في قوله تعالى:{أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا}. و {أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا **وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ** أَفَلَا يُؤْمِنُونَ}؛ {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ}؛ و{ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ}؛ و{أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ}؛ {خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ }. ([٢٦١])

ويأتي التساؤل ليضع العقل بين خيارين لا مفر له من اختيار أحدهما. يقول تعالى: {وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ. حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ. أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}.([٢٦٢])

العقل والسياق:

يقوم العقل بالبحث عن السياق واكتشافه فيسهم في تفسير أو تحديد مدلول بعض الآيات القرآنية، وذلك تحديد المدلول أو بتقييده. ومن الأمثلة قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا. وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا. هُوَ الَّذِي **يُصَلِّي** عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا. تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا}؛ و{إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ **يُصَلُّونَ** عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} ([٢٦٣]) فالسياق يفسر لنا كلمة "الصلاة" بأنه الرجاء والدعاء بالخير، ويختلف عن الصلاة المفروضة على المخلوقات المكلفة.

ويوضح السياق والثقافة التاريخية بأن الصفات المذكورة لا تشمل جميع أهل الكتاب في قوله تعالى:{لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ. وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ}. ([٢٦٤]) فمن أهل الكتاب النصارى الذين جاء وصفهم في الآية، وتؤكد الثقافة التاريخية بأن بعض

---

[٢٦٠]) الحج: ٦١-٦٩.

[٢٦١]) مريم: ٦٧؛ الأنبياء: ٣٠؛ الحجر: ٢٦؛ السجدة)، : ٧- ٨؛ يس : ٧٧؛ العلق: ٢.

[٢٦٢]) النمل:٨٣- ٨٦.

[٢٦٣]) الأحزاب:٤١- ٤٤، ٥٦.

[٢٦٤]) المائدة:٨٢- ٨٣.

اليهود آمنوا، وبعض الذين أشركوا كانوا محايدين أو مناصرين للمسلمين. وأن بعض النصارى كانوا معادين.

وقد يستشهد البعض بضرورة معاداة جميع الكافرين بعد تجريد الآية من سياقها في بدايتها ويقتصر على {فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ}. وهو تحريف شنيع لقوله تعالى: قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ. مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ.([٢٦٥])

العقل والثقافة:

من المعلوم أن المصدر الثقافي للتفسير ينطلق من العقل وما يدركه، ويحفظه بصور مختلفة، ثم يسترجعه من الذاكرة أو المسجل كتابة أو صوتا.

وهنا تجدر الإشارة إلي حقيقة هامة، ألا وهي أن القصص التي ترد في القرآن الكريم عن الأقوام السابقة والأنبياء والرسل فإن القرآن هو الحَكَمُ فيها، وليست المصادر الدينية أو التاريخية التي وردت فيها القصص نفسها. فالقرآن كلام الله لفظا ومعنى وقد حفظه الله من التبديل البشري إلا في حدود المأذون به في القراءات المعتمدة المشار إليها في الفصل الثاني من الكتاب.

ومن النصوص القرآنية التي تسهم الثقافة التاريخية في تفسيرها ما جاء من أخبار بعض المعاصرين للنبي، صلى الله عليه وسلم، يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ. سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ. وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ. إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ. وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ. وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ. وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ. وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا

---

[٢٦٥]) البقرة: ٩٧-٩٨.

كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ. وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ. أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ.}(٢٦٦)

وتسهم الثقافة العلمية في تفسير الآيات التي تتحدث عن الحقائق الكونية الموجودة، سواء القابلة للإدراك بوسائل الإدراك الحسية مباشرة أو بالاستعانة بمقويات لها (التلسكوب) أو مكبرات (المجهر) أو الاستنتاج. ومن هذه النصوص قوله تعالى:{أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا. وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا. وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا. وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا. وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا. وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا. وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا. وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا. وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا. لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا. وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا. إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا (٢٦٧)

وتسهم الثقافة العلمية في تفسير قوله تعالي: {أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ. وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ. وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ. وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ}. فالحقائق العلمية تفسر كيف أن الماء مصدر جميع أنواع الحياة، وكيف يتم حفظ الكواكب المختلفة في مسارات ثابتة مستمرة، وذلك بسبب حركة الدوران المتوازنة المنتظمة...(٢٦٨)

وتأتي الثقافة العلمية أيضا لتؤكد أنه لا تعارض بين النصوص التي تفيد أن الأرض كروية أو مسطحة. وذلك في مثل قوله تعالى: {أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا. رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا. وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ **دَحَاهَا}.** وقوله تعالى: { وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ. وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ. وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ **سُطِحَتْ**}؛ وكذلك قوله تعالى: و{وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ. وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ. وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٢٦٩) فمن المعلوم أن الأرض بالنسبة للناظر إليها في الأرض يراها مسطحة وممتدة، ولكن لو نظر إليها من خارج كوكب الأرض لأدرك أنها كروية.

وكذلك يدرك الإنسان بثقافته المستنتجة أن السنة الكونية بالنسبة للأحياء أن الخير والشر يتدافعان بواسطة أنصارهما، ولكن النصر في النهاية للخير. يقول تعالى: {الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ

---

[٢٦٦]) المائدة:٤١- ٥٢.

[٢٦٧]) النبأ:٦- ١٧.

[٢٦٨]) الأنبياء: ٣٠- ٣٣؛ كتب في الإعجاز العلمي للقرآن.

[٢٦٩]) الغاشية: ١٨-٢٠ ؛ النازعات:٢٧- ٣٠ ؛ الانشقاق: ٥.

النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ}.([٢٧٠])

الحس مصدر للتفسير:

يسهم الحس، أي الحواس الخمسة في تفسير بعض الآيات، وذلك لأنها ظواهر يعيشها الإنسان يوميا ويدركها وتفاصيلها بالحس. ومثاله قوله تعالى: {أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا. وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا. وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا. وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا. وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا. وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا. وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا. وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا. وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا. لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا. وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا}.([٢٧١])

ومما يمكن إدراكه بالحس، وإن خالف الحقيقة الشاملة ما جاء في وصف غروب الشمس خلف البحر، في قوله تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا. إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا. فَأَتْبَعَ سَبَبًا. حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ([٢٧٢])

المتشابه:

هناك نصوص في القرآن الكريم يحتار القارئ فيها عند تحكيمه المدلولات اللغوية فيها. وهي من بعض أسرار القرآن التي لم نصل إلى اكتشافها بعد. ومن أمثلة هذه الآيات قوله تعالى: {وإن جاهداك **لتشرك بي ما ليس لك به علم** فلا تطعهما}؛ أو قوله تعالى: {وإن جاهداك على **أن تشرك بي ما ليس لك به علم** فلا تطعهما}.([٢٧٣]) وقد ورد، مثلا في تفسير الجلالين أنه لا مفهوم لشرط "ما ليس لك به علم".

ومن المتشابه قوله تعالى: {ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا، ومن يكرهن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم}.([٢٧٤]) فقد ورد في الجلالين أنه لا مفهوم للشرط "إن أردن تحصنا". ولعل الأرجح أنها كانت تجارة رائجة مقترنة بالإماء، قبل الإسلام، فحرّمها الإسلام بطريقة تدريجية، ثم حرمها نهائيا بتحريم الزنا بصورها المختلفة.

الرأي بدون دليل:

ولعل المثال التالي يمثل التفسير بالرأي بطريقة مؤدبة. وهي تختلف عن الموجود في كتب الفرق الإسلامية المطرفة، مثل الشيعة والصوفية، حيث يقول

---

[٢٧٠]) الحج :٤٠.
[٢٧١]) النبا:٦- ١٦.
[٢٧٢]) الكهف:٨٣- ٨٦.
[٢٧٣]) العنكبوت: ٨؛ سورة لقمان: ١٥.
[٢٧٤]) سورة النور: ٣٣.

المغربي في قوله تعالى: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ يقول أن معنى {الكوثر} هو الخير الكثير.(٢٧٥)

حالات تصادم الآدلة:

هناك نماذج تم استعراضها في الفصل الرابع، ولكن لعل أكثرها إيلاما للمسلم وللمسلمة تصديق بعض العلماء أو افتراض احتمال حدوث حكاية الغرانيق.

أكذوبة حادثة الغرانيق:

ينسب إلى ابن عباس القول بأن النبي صلى الله عليه وسلم، "كان بمكة فقرأ سورة النجم حتى انتهى إلى:{أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى} فجرى على لسانه: "تلك الغرانيق العلا الشفاعة منها ترتجى". قال : فسمع ذلك مشركوا أهل مكة فسروا بذلك فاشتد على رسول الله - فأنزل الله - تبارك وتعالى: {وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته}.(٢٧٦)

والحديث من حيث السند لم يرد إلا في مسند البزار، منقطعا عند سعيد ابن جبير، ومرسلا عند ابن عباس الذي لم يولد بعدُ عند وقوع الحادثة المزعومة،(٢٧٧) ولم يرد الحديث في غيره من كتب الحديث، ولكن في كتب التفسير بدون أسانيد كاملة، ويذكر في كتب التاريخ والأدب.

ومن حيث المتن فإن إحدى الروايات تضم عددا من الأحداث يستحيل على راو واحد أن يحضرها جميعها. فهذه الرواية تقول "بأن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، رأى من قومه كفا عنه. فجلس خاليا فتمنى فقال: ليته لا ينزل عليّ شيء ينفرهم عني. وقارب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قومه ودنا منهم ودنوا منه. فجلس يوما مجلسا في ناد من تلك الأندية حول الكعبة فقرأ عليهم {والنجم إذا هوى} حتى إذا بلغ {أرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى} ألقى الشيطان كلمتين على لسانه: "تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى". فتكلم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بهما، ثم مضى فقرأ السورة كلها وسجد وسجد القوم جميعا ورفع الوليد بن المغيرة ترابا إلى جبهته فسجد عليه وكان شيخا كبيرا لا يقدر على السجود ويقال إن أبا أحيحة سعيد بن العاص أخذ ترابا فسجد عليه رفعه إلى جبهته وكان شيخا كبيرا. فبعض الناس يقول إنما الذي رفع التراب الوليد، وبعضهم يقول أبو أحيحة، وبعضهم يقول كلاهما جميعا فعل ذلك. فرضوا بما تكلم به رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وقالوا قد عرفنا أن الله يحيي ويميت ويخلق ويرزق، ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده، وأما إذ جعلت لها نصيبا فنحن معك. فكبر ذلك على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، من قولهم حتى جلس في البيت. فلما أمسى أتاه جبريل عليه السلام فعرض عليه

---

٢٧٥) الكوثر: ١؛ الرومي ٦٥٣-٧١٨.

٢٧٦) مسند البزار جزء ١١ صفحة٢٩٦- ٢٩٧.

٢٧٧) العرف الشذي جزء ٢ صفحة ٧٠؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء.

السورة فقال جبريل: ما جئتك بهاتين الكلمتين. فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: قلت على الله ما لم يقل فأوحى الله إليه (٢٧٨)

وينسب إلى قتادة قوله قرأ النبي، صلى الله عليه وسلم، فغفى ونعس، فقال: "أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى فإنها ترتجى وإنها الغرانيق العلى"، فوقرت في قلوب المشركين فسجدوا معه أجمعون وأنزل الله {وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي...} (٢٧٩)

وبهذا يظهر أن نصوص القصة مضطربة وعليها ملاحظات متعددة، منها:

أولا - وردت قصة السجود عند قراءة النبي لسورة {والنجم}، ولكن بدون قصة الغرانيق والزيادات الموضوعة في بعض الروايات. ومنها "عن عبد اللهِ رضي الله عنه أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قرَأَ سُورَةَ النّجْمِ فسَجَدَ بها فما بَقِيَ أحَدٌ من القَوْمِ إلا سَجَدَ فأَخَذَ رجُلٌ من القَوْمِ كفًّا من حصًى أو تُرابٍ فرَفَعَهُ إلى وَجهِهِ وقال يَكفِينِي هذا فلَقَدْ رَأَيتُهُ بَعدُ قتِلَ كافِرًا". ومنها "عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم سجَدَ بِالنَّجمِ وسَجَدَ معه المُسْلِمُونَ وَالمُشْرِكُونَ وَالجِنُّ وَالإِنْسُ ورَوَاهُ بن طَهمَانَ عن أيُّوبَ (٢٨٠) و"عن جعْفَرِ بن الْمُطَّلِبِ بن أبي ودَاعَةَ عن أبيه قال قرَأَ رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم بمَكَّةَ سُورةَ النّجْمِ فسَجَدَ وسَجَدَ من عنْدَهُ فرَفَعْتُ رَأْسي وأَبَيْتُ أنْ أسْجُدَ ولم يكُنْ يَوْمَئذٍ أسْلَمَ الْمُطَّلبُ".(٢٨١)

ثانيا – القصة المختلقة تقول بأن الإضافة كانت بعد قوله تعالى: {أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى. وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى}. فنزل قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ. وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢٨٢)

والآيتان ليس فيهما أي إشارة بأن شيئا من هذا قد حدث لتكون الآية تعليقا عليه، ولكن جاء بصيغة تأكيد بأنه لو حصل فإن الله سيفعل كذا وكذا. وهو تعبير يستخدمه البشر، ليعني أنها قضية افتراضية، مثل قولنا "جربني ستجد ما يسرك". وهو يختلف عن القول "سبق أن جربتني فوجدت ما يسرك". وبدون الاطلاع على القصة المختلقة فإن هذا هو أول فهم يخطر في الذهن للآيتين. فهي حالة افتراضية.

ثالثا - يقول ابن تيمية إن العصمة المعلومة بدليل الشرع والعقل والإجماع وهي العصمة في التبليغ،(٢٨٣) أي أن العصمة في التبليغ ثابتة للأنبياء. وقصة الغرانيق المشكوك في صحتها لا تقارع هذه الحقيقة من حيث درجة قوتها. كما أن احتمال خطأ النبي في التبليغ وفي كلام الله تُعدّ تهمة للخالق الذي اختاره رسولا. فالأنبياء معصومون فيما يبلغونه وفي تطبيق ما يعلمونه الناس. ويكفي أن يسأل

---

٢٧٨) الطبقات الكبرى جزء ١ صفحة ٢٠٥.

٢٧٩) معاني القرآن جزء ٤ صفحة ٤٢٦.

٢٨٠) البخاري، صحيح البخاري جزء ١ صفحة ٣٦٤.

٢٨١) النسائي، سنن (المجتبى) جزء ٢ صفحة ١٦٠.

٢٨٢) النجم: ١٩-٢٠؛ الحج:٥٢- ٥٤.

٢٨٣) ابن تيمية، فتاوى، تحقيق الجدي ج٢٩٥:١٠، ٢٨٩؛ وآخرون في عبد الرحيم ص ٢٦١- ٢٧٩.

العاقل نفسه، لو علمت أن هناك احتمالا بأن رسولك سيحرف ما تطلب منه ليبلغه عنك، هل تختاره رسولا؟ والله محيط بكل شيء، فهل يختار من هو غير معصوم في التبليغ؟

ثالثا – إذا نظرنا في روايات قصة الغرانيق في مسند البزار، وفي بعض كتب التفسير سنجد اختلافات، مثل قرأها النبي أمام جمع من المشركين يجلس معهم، ومنها أن قراءة النبي للجزء المحرف كانت في صلاته، حيث غفي ونعس. وفي أخرى كانت وهو في مجلس في ناد من تلك الأندية حول الكعبة. ومرة أن أبا طالب لم يسجد، وفي رواية أن الوليد بن المغيرة رفع ترابا إلى جبهته فسجد عليه، وكان شيخا كبيرا لا يقدر على السجود. ويقال إن أبا أحيحة سعيد بن العاص هو الذي أخذ ترابا فسجد عليه رفعه إلى جبهته وكان شيخا كبيرا. فبعض الناس يقول إنما الذي رفع التراب الوليد وبعضهم يقول أبو أحيحة، وبعضهم يقول كلاهما جميعا، فسجدوا معه أجمعون. (٢٨٤)

رابعا - لو حدث هذا هل المشركون ومن يتعاونون معهم في محاربة الإسلام مغفلون بصورة استثنائية، فلم يستغلوا هذا الحدث لمحاربة الإسلام؟ فالحديث الموضوع يقول بأنه حدث أمام مجموعة من المسلمين والمشركين.

خامسا - وهل غفل عنه أئمة الحديث، مثل ابن الجوزي، في نهاية القرن الخامس فلم ينتبه أنه من الموضوعات التي تنطبق عليها مقاييسه، مثل كون الحديث منسوب إلى ابن عباس الذي لم يكن قد وُلدَ، عند وقوع الحادثة المزعومة. وهذا مع أنه كشف الحديث الذي وضعه المتطرفون من الشيعة حول قوله تعالى: {والنجم إذا هوى} وأنها تعني إمامة علي ابن أبي طالب بعد النبي.

سادسا – ومن السخافة بمكان أن فسّر البعض كلمة "تمنى" في الآية ب "قرأ" و"أمنيته" ب "قراءته"، مستندين إلى بيت من الشعر يسند هذا المعنى. ونسي هؤلاء أن من يتجرأ على اختلاق مثل هذه القصة، لا يعجزه اختلاق عشرات الأبيات ليسند المعنى الشاذ للتمني. وقد وقع بعض مؤلفي المعاجم الحديثة في الفخ فاعتمدوه في معاجمهم. ومن المعلوم أن من يجرؤ على اختلاق "حديث" لا يعجزه اختلاق عشرات الأبيات من الشعر، الذي لا يخضع لمنهج المحدثين في التحقيق، ليسند زعمه بأن تمنى تعني قرأ. وأما إذا احتكمنا إلى لغة القرآن والسنة النبوية سنجد الكلمة ومشتقاتها تعني خاطر أو رغبة تخطر في الذهن، قابلة للتحقق أو يستحيل تحقيقهاالتحقق.(٢٨٥) ويلخص مؤلف فيض الخاطر مدلول تمنى فيقول: "إذا تمنى أحدكم، أي اشتهى حصول أمر مرغوب فيه، تفعّل من الأمنية والتمني إرادة تتعلق بالمستقبل. فإن كان في خير فمحبوب وإلا فمذموم وقيل حديث النفس بما يكون وما لا يكون وهو أعم من الترجي لاختصاصه بالممكن".(٢٨٦) بل إذا احتكمنا إلى الطفل العربي وقلنا له: هل تعني كلمة تمنى قرأ؟ سيسخر تلقائيا من السؤال، وهي الإجابة

---

٢٨٤) معاني القرآن جزء ٤ صفحة ٤٢٦؛ الطبقات الكبرى جزء ١ صفحة ٢٠٥.

٢٨٥) البقرة:٨٠، ١١١؛ النساء: ١٢٣؛ الحج: ٥٢؛ النجم: ٢٤؛ الحديد: ١٤؛ أحمد، مسند ج٢: جزء ٢: ٣٥٧؛ لسان العرب جزء ١٥ صفحة ٢٩٤ ؛ فيض القدير جزء ١ صفحة ٣١٩.

٢٨٦) فيض القدير جزء ١ صفحة ٣١٩.

التي يجيب بها أي عربي، لم يتلوث فهمه للعربية بهذا المعنى المسجل في معاجم اللغة الحديثة المبنية على القصة المزعومة.

تمارين الفصل الخامس:

١ – اختر آية من آيات الأحكام وطبق عليها الخطوات المذكورة في الكتاب كلها.

٢ – اختر أية فيها مفردة أو مصطلح يعتمد تفسيرها على استقراء الاستعمالات القرنية لها، وقم بتفسيرها، مع ذكر الآيات التي تم الاستقراء منها.

٣ – اختر آية يعتمد تفسيرها على المعرفة اللازمة بأوجه الإعراب أو التراكيب النحوية، وقم بتفسيرها.

٤ – اختر آية يعتمد تفسيرها على القرينة التي تتضمنها، وقم بتفسيرها.

٥ - اختر آية يعتمد تفسيرها على سياقها **في آيات أخرى**، وقم بتفسيرها.

٦ - اختر آية يعتمد تفسيرها على سياقها في **مصادر أخرى غير القرآن**، وقم بتفسيرها.

٧ - اختر آية يعتمد تفسيرها على الثقافة العامة، من خارج الكتاب والسنة، وقم بتفسيرها.

٨ - اختر آية يعتمد تفسيرها على الحس، وقم بتفسيرها.

٩ – ما رأيك في قصة حادثة الغرانيق؟ وناقشها بالأدلة العقلية والنقلية.

الفصل السادس

نموذج القضاء والقدر

لقد أثارت مسألة القضاء والقدر مناقشات طويلة عبر القرون وعبر الفرق المتعددة، ولكن المؤمن يعتقد جازما بأن الله خلق كل شيء وهو بكل شيء عليم حتى قبل حدوثه، إذ يقول تعالى: {بديع السماوات والأرض، أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم.} والمؤمن أيضا يعتقد جازما بأن الله فعّال لما يريد، وأن كل شيء يجري تحت سيطرة الله الكاملة ولا يحدث شيء في الكون بدون إذنه ومشيئته. فالله سبحانه وتعال يقول: {إن ربك فعّال لما يريد}. و{وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين}.(٢٨٧)

والمؤمن يعتقد بأن الله قد ميَّز المخلوقات المكلفة بإمكانات تجعلها مسؤولة عن ما تفعله في حدود هذه الإمكانات، ومنها حرية الاختيار. فالله سبحانه وتعالى يقول: {ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها}، ويقول تعالى: {وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر}. كما يعتقد المؤمن بأن الله لا يظلم أحدا، حيث يقول:{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ}.(٢٨٨)

ويهدف هذا النموذج للتفسير إلى استعراض جميع نصوص القرآن الكريم التي وردت فيها كلمتا القضاء والقدر، والخروج بتصور لهما، منفردين ومتداخلين. ولن يتعرض للجوانب الأخرى من الموضوع، مثل الكلمات المرادفة لهما، مثل: أمر، جعل...، ولن يتعرض للأبعاد الأخرى للموضوع، مثل تفاصيل الاختبار والمحاسبة النهائية في الآخرة. وهذا النموذج –عموما- يعتمد على دراسة شاملة لمسألة القضاء والقدر، بعنوان: كشف الغيوم عن القضاء والقدر، فمن يرد التفاصيل فعليه أن يرجع إلى المصدر المذكور.(٢٨٩)

وبعبارة أخرى، فإن المسلم المؤمن يكفيه أن يعتقد جازما صدق ما ورد في هذه الآيات من حقائق، فلا يحتاج بعدها إلى المزيد. ولكن هناك حاجة إلى مواجهة تيار العقلانية المتطرف الذي أصبح سائدا بين أوساط المسلمين وغير المسلمين.

ولعل نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن الخوض في القدر شبيه بالنهي عن كتابة أقواله صلى الله عليه وسلم، حيث كان المنع ضروريا في مرحلة من المراحل، حتى لا يختلط تدوين القرآن الكريم بتدوين الحديث النبوي. ثم رأى العلماء عبر العصور المختلفة بعد انقطاع الوحي أن كتابته أمر ضروري للحفاظ على الدين. ومما يؤكد هذه الحقيقة أن فحول العلماء في العصور المختلفة قد كتبوا في القضاء والقدر، لما رأوه من الضرورة الملحة. وذلك تعزيزا لإيمان المؤمنين ودفعا لخطر جهود المشككين في الإسلام.

---

٢٨٧) الأنعام: ١٠١؛ هود: ١٠٧؛ التكوير: ٢٩.

٢٨٨) الشمس: ٧-٨؛ الكهف: ٢٩؛ فصلت:٤٦.

٢٨٩) إسماعيل، سعيد، كشف الغيوم، وهو منشور في موقع المؤلف www.saeedsieny.net.

فالقضاء والقدر مسألة جوهرية مرتبطة بالتكليف، يحسن عدم تجاوزها عند توفر المعرفة اللازمة. وتنحصر مهمة هذا الفصل -على وجه الخصوص- في توضيح كيف أن العلم المطلق لله سبحانه وتعالى وقدرته المطلقة المهيمنة على كل ما يجري في الكون لا يتعارضان مع محاسبة العبد على القرارات التي أسهم في صناعتها، اختيارا، في حدود مساهمته. فكثيرا ما يحلو للإنسان التذرع بالقضاء والقدر لينغمس في شهواته وليقصر في واجباته.

الخطوات التطبيقية:

تتمثل الخطوات التطبيقية فيما يلي:

١. تصميم جدول من ثلاثة أعمدة : عمود للتصنيف الرئيس، مثلا " قضاء" "قدر" أو المعنى في ظل مصادر التفسير، وعمود لإفراغ النص القرآني، وعمود للتعليق. ويمكن إضافة عمود لأرقام النصوص.

٢. حصر جميع الآيات التي وردت فيها كلمة القضاء، والقدر، وتفريغها في الجدول، حسب ما يتيسر، مثلا حسب ترتيبها في المصحف، في حالة توفر النسخة الإلكترونية. ومن المعلوم أن عملية الحصر تتم بالبحث عن الكلمة، مثل "قدر" أو "قضى".

٣. استنتاج المعنى في سياقه، وإن لزم الأمر يمكن الاستعانة بمعاجم اللغة وكتب التفسير ، ولكن يجب التنبه إلى أن هذه المصادر ليست الحكم عند تعارض مدلولاتها مع استعمالات القرآن الكريم، ثم السنة عالية التوثيق، ثم اللغة دارجة الاستعمال رسميا، أي اللغة الفصحى. ويمكن وضع التوثيق في نفس المستطيل الذي فيه النص القرآني.

٤. إعادة تصنيف النصوص في ضوء مدلولاتها الراجحة، وجعلها في مجموعات ذات مدلولات متشابهة، تميزها عن المجموعة أو المجموعات الأخرى.

٥. صياغة النتائج بطريقة تكشف عن المعاني المتشابهة بين النصوص الواردة في القرآن والمختلفة، بالنسبة لكلمة القضاء، والقدر، وطريقة التداخل بينها، إن وجدت، وبيان مواقعهما في الإطار العام للموضوع وهو علاقة الإنسان بربه، في مستوى دار الاختبار، وفي مستوى دار الحساب والجزاء.

واختصارا للمساحة سوف يتم الاقتصار على عرض الخطوة الأولى، والرابعة، وسيتم عرض نتائج تفسير النصوص في ظل الشروط المحددة في الخطوة الخامسة.

الخطوة الأولى والرابعة:

يمثل الجدول التالي عرضا للخطوة الأولى والخطوة الرابعة، أي حصر مصطلح القضاء والقدر، ولكن كل منهما بصفة مستقلة. وهو التصنيف الذي تم الوصول إليه بعد البحث عن المدلولات المرجحة لكل كلمة في ظل سياقاتها المستعملة فيها.

القضاء:

١.	أمرا كونيا	{إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (آل عمران: ٤٧)
٢.	أمرا كونيا	{إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون}.(البقرة: ١١٧؛ وانظر: فصلت: ١٢) وقد يأتي التعبير عن القضاء الكوني بكلمات أخرى غير كلمة القضاء مثل أمر، أراد،(يس: ٨٢) بعث،(الإسراء: ٥) جعل،(الأنبياء: ٧٣) حكم، (المائدة: ١) كتب،(الأنعام: ٥٩) قدّر.(يونس: ٥)
٣.	أمر شرعيا	وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (الإسراء: ٢٣)
٤.	حدد زمنا	{فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله}.(القصص: ٢٨.وانظر: البقرة:٢٠٠؛ الأحزاب: ٣٧؛ يوسف: ٦٨؛ إبراهيم:٢٢)
٥.	حدد زمنا	{ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ (الأنعام:٢)
٦.	حدد زمنا	{ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} (الأنعام:٦٠)
٧.	حدد زمنا	{هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا مسمى.}(الأنعام: ٢)
٨.	انتهى/ أنهى	فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (سبأ: ١٤)
٩.	انتهى/ أنهى	{فمنهم من قضى نحبه}(الأحزاب: ٢٣)
١٠.	انتهى/ أنهى	{فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ (البقرة: ٢٠٠)
١١.	انتهى/ أنهى	{فوكزه موسى فقضى عليه}(القصص: ١٥؛ الأنعام: ٨؛ وانظر يونس: ٧١)
١٢.	انتهى	{ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون}.(القصص: ١٥؛ الأنعام: ٨؛ وانظر يونس: ٧١)
١٣.	أعلم	{وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا.}(الإسراء: ٤، وانظر ابن كثير، والطبري، والشنقيطي)
١٤.	أعلم	{وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع}.(الحجر: ١٥)

القدر:

١.	بمقدار	{ وخلق كل شيء فقدره تقديرا}(الفرقان: ٢).
٢.	بمقدار	{إنّا كل شيء خلقناه بقدر}(القمر: ٤٩؛ وانظر ابن منظور لمدلولات قدر)
٣.	بمقدار	{وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم.}(الحجر: ٢١)
٤.	بمقدار	{وكل شيء عنده بمقدار}.(الرعد: ٨؛ وانظر ابن تيمية، مجموع ٨: ١٣٣، ٥٣٣-٥٣٥)
٥.	بمقدار	وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام.}(فصلت: ١٠)
٦.	تخمين بشر	{فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ.ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ} (المدثر:١٩-٢٠)
٧.	تخميّن بشر	{إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ} (المدثر: ١٨)
٨.	علمنا	{... إلا امرأته قدرنا إنها لمن الغابرين}(الحجر: ٦٠. وانظر مثلا: الطبري وابن كثير لتفسير الآيتين وكذلك ابن منظور والزبيدي)
٩.	قضى كونيا	{ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى. والذي قدر فهدى} هدى بمعنى أرشد (الأعلى :٢- ٣)
١٠.	قضى كونيا	{هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل...}(يونس: ٥)
١١.	قضى كونيا	{والقمر قدرناه منازل} (يس : ٣٩)
١٢.	قضى كونيا	{وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام.}(فصلت: ١٠)
١٣.	وقت محدد	{ثم جئت على قدر يا موسى}(طه:٤٠)
١٤.	وقت محدد	{فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (٢١) إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ} (المرسلات:٢١- ٢٢)
١٥.	وقت محدد	{وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى} (طه: ٤٠)
١٦.	وقت محدد	{وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ}(القمر: ١٢)

تفسير آيات القضاء والقدر:

سيتم هنا استعراض نتائج استقراء كلمة القضاء بصورة مستقلة، ثم كلمة القدر، ثم التفاعل بينهما ومكانهما في الإطار العام للقضية أي إطار العلاقة بين الخالق والمخلوق، والمسئولية والجزاء، ولاسيما في الحياة لأبدية، دون الدخول في تفاصيل الإطارات.

كلمة القضاء:

يبدو أن كلمة "القضاء" ذات شعب متعددة. فهناك المدلول العام للكلمة ومشتقاتها، وعلاقة هذا المدلول بالنظم التلقائية، وعلاقة هذا المدلول بقدرة الله المطلقة في الخلق وفي تدبير شؤون الكون وفي الهيمنة التامة عليه من جهة، وفعل العبد الذي يحاسب عليه من جهة أخرى.

المدلول العام للقضاء:

وردت كلمة "القضاء" في صيغ زمانية مختلفة، في القرآن الكريم في عدد من المواضع، إذ وردت بصيغة المضارع والماضي والأمر؛ ويمكن حصر مدلولاتها فيما يلي:

١ - الحكم أو الأمر الحتمي التنفيذ أو النتيجة، ومثاله: {إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون}.[٢٩٠]

٢ – تحديد وقت التنفيذ، ومثاله: {هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا مسمى.}[٢٩١] ومثاله: { فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله}.[٢٩٢]

٣ - بمعنى انتهى أو جعله ينتهي، ومثاله: { فمنهم من قضى نحبه}[٢٩٣] ومثاله أيضا: {فوكزه موسى فقضى عليه} وقوله تعالى: {ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون}.[٢٩٤]

٤ - الحكم أو الأمر الشرعي الذي لا خيار في تنفيذه، أي لا يمكن التهاون فيه مطلقا، ومثاله: {وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه}[٢٩٥] فهذا أمر لا يحتمل المخالفة، إذ يقول سبحانه وتعالى: {إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء.}.[٢٩٦]

٥ - قد يلحق بها "قضى إلى" وتعني أعلم في مثل قوله تعالى:{وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا.}[٢٩٧] وفي قوله تعالى:{وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع}.[٢٩٨]

---

[٢٩٠] البقرة: ١١٧؛ وانظر: فصلت: ١٢.
[٢٩١] الأنعام: ٢.
[٢٩٢] القصص: ٢٨.وانظر: البقرة:٢٠٠؛ الأحزاب: ٣٧؛ يوسف: ٦٨؛ إبراهيم:٢٢.
[٢٩٣] الأحزاب: ٢٣.
[٢٩٤] القصص: ١٥؛ الأنعام: ٨؛ وانظر يونس: ٧١.
[٢٩٥] الإسراء: ٢٣.
[٢٩٦] النساء: ٤٨، ١١٦.
[٢٩٧] الإسراء: ٤، وانظر ابن كثير، والطبري، والشنقيطي.
[٢٩٨] الحجر: ١٥.

ولم تخرج مدلولاتها في الأحاديث النبوية عن هذه المدلولات، ومثاله قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لما قضى الله الخلق كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي.".([٢٩٩]) ومثاله أيضا ما سبق إيراده عند الحديث عن مصدر الكلمتين: القضاء والقدر.

ولم تخرج المدلولات الواردة في معاجم اللغة العربية عن هذه المدلولات أيضا.([٣٠٠])

ويلاحظ من المدلولات السابقة عموما أن كلمة "القضاء" تنحصر في معنى واحد وهو **الحكم حتمي التنفيذ**، أو السبب ذو النتيجة الحتمية (السنة الكونية) أو شبه الحتمية أو أوصله إلى مقره كما في إيصال الخبر إلى مستقبله.

ويميز ابن تيمية وتلميذه ابن القيم([٣٠١]) بين مدلولين لكلمة القضاء ومرادفاتها، هما:

١- الأمر الشرعي، كما في قوله تعالى: {وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه}([٣٠٢]) وهذا المعنى أيضا يأتي بكلمات أخرى، تعبر عن القضاء أو الأمر الكوني.([٣٠٣]) ونتيجة الأمر الشرعي، وإن لم تكن حتمية، فإنها شبه حتمية. وذلك لأنه أمر وإن كان في إمكان العبد مخالفته بإذن من الله، إلا إن الانصياع له شيء حتمي شرعا لكي يضمن العبد دخول الجنة. وذلك لقوله تعالى: {إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء.}([٣٠٤])

٢ - الأمر الكوني، كما في قوله تعالى: {إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول لـه كن فيكون}؛ وقد يأتي التعبير عن القضاء الكوني بكلمات أخرى غير كلمة القضاء مثل أمر، أراد، بعث، جعل، حكم، كتب، قدّر.([٣٠٥]) ولا يمكن للإنسان مخالفة الأمر الكوني سواء ما يأخذ منها هيئة السنن الكونية (القوانين الطبيعية) أو الأمر المباشر. ويلاحظ أن بعض هذه الكلمات ترد في بعض الآيات بمدلولات يتبادر إلى الذهن أنها تعني الجبر، ولكن هذه الآيات يجب أن تُفهم في سياقاتها،([٣٠٦]) ومن خلال الآيات التي تؤكد أن الله قد زوّد العبد بحرية الاختيار.([٣٠٧])

والأمر الكوني هو المعنيّ به في هذا الفصل وهو نوعان:

١ - أمر رباني مباشر حتمي النتيجة ويتمثل في قوله تعالى: {كن فيكون}.([٣٠٨])

٢ - أوامر ربانية كونية تتمثل في السنن الكونية التي تتألف من أسباب ونتائج حتمية يتفاعل بعضها مع بعض. ولكل سبب في السُّنة الكونية نتيجة حتمية. وقد أشار

---

[٢٩٩]) البخاري: بدء الخلق، ما جاء في قوله تعالى: وهو الذي يبدأ الخلق.

[٣٠٠]) ابن منظور: باب قضى؛ أنيس: باب قضى؛ دار الشروق: باب قضى.

[٣٠١]) ابن تيمية، مجموع ج٨: ١٨٧-١٩٠؛ ابن القيم، شفاء ص ٢٨٠-٢٨٣.

[٣٠٢]) الإسراء: ٢٣.

[٣٠٣]) انظر مثلا: البقرة: ١٨٥؛ الأعراف: ٢٨؛ الجمعة: ٢؛ الأنبياء: ٧٣؛ الممتحنة:٣؛ البقرة: ١٨٣.

[٣٠٤]) النساء: ٤٨، ١١٦؛ يلاحظ أن كلمة "قضى" لم ترد في أمر شرعي غير هذه.

[٣٠٥]) النحل: ٤٠؛ يس: ٨٢؛ الإسراء: ٥؛ الأنبياء: ٧٣ ؛ المائدة: ١؛ الأنعام: ٥٩ ؛ يونس: ٥.

[٣٠٦]) انظر أنواع العقوبة الدنيوية لمن يبالغ في الإصرار على الضلال.

[٣٠٧]) انظر حرية الاختيار وأدلتها. والمحمود، القضاء ص ٢١٧-٢٤٣.

[٣٠٨]) انظر الآيات: البقرة: ١١٧، آل عمران: ٤٧، النحل: ٤٠، مريم: ٣٥، يس:٨٢، غافر: ٦٨.

القرآن الكريم والأحاديث النبوية إلى بعضها. ومن السنن الكونية قوله تعالى: {ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم}.(٣٠٩) ومن السنن الكونية أن صلة الرحم تطيل العمر.(٣١٠) ومن السنن الكونية المتعلقة بالإنسان واختياراته أن فسوق مترفي القوم يؤدي إلى تدميرهم، كما في قوله تعالى: {وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا.}(٣١١) والمقصود ب"أمرنا" أي حدث سبب الهلاك وهو فسوق المترفين. فالسنة الكونية هنا هي الطبيعة البشرية التي تؤكد أن مترفي القوم أسبق إلى الفسوق (سبب) والأغلبية أميل إلى التقصير في واجب الأمر بالمعروف (سبب آخر) والنتيجة هي هلاك تلك الأمة. والأمثلة كثيرة في قصص الأنبياء ومترفي أقوامهم.(٣١٢) فهذه سنة كونية يمكن لإبليس وأعوانه محاولة تسخيرها للتسبب في هلاك بعض الأقوام. وهو يشبه قولنا في المستوى البشري: إذا أردنا فتح القفل أدرنا المفتاح إلى اليمين، وإذا أردنا إغلاق القفل أدرنا المفتاح إلى اليسار. فهذا سبب مع نتيجته، ويمكن لأي أحد أن يحرك السبب ليحصل على النتيجة المقررة.

النظم التي تعمل تلقائيا(الأتوماتيكية):

تقوم السنة الكونية التي تتكون من سبب ونتيجة حتمية محددة بوظيفة ذات أهمية بالغة. فالسنة الكونية هي الوحدة الأساسية لبناء أي نظام يعمل تلقائيا، يمكن إدراك أجزائه غير المحسوسة ويمكن التنبؤ بنتائج حركته المستقبلية. ويؤكد ابن تيمية حقيقة استناد الكون على السنن الكونية بعبارة أخرى، حيث يقول: "فليس في الدنيا والآخرة شيء إلا بسبب، والله خالق الأسباب والمسببات."(٣١٣)

ولتوضيح المقصود من هذه الحقيقة، نأخذ أبسط نظام تلقائي يتكون من وحدة واحدة، هي الساعة الأوتوماتيكية (التي تعمل تلقائيا) بدون الشد على "الزمبرك" أو "السستة" (تعشية الساعة) يوميا، وبدون بطارية. هذه الساعة تعمل تلقائيا لأنها مزودة بزمبركين، عندما ينفرط أحدهما بالتدريج يشد على الآخر بالتدريج. فعملية انفراط الزمبرك الأول سبب لعملية شد الزمبرك الثاني. والاثنان يتبادلان هذه الوظيفة بطريقة تلقائية متتابعة لينتج عن ذلك نظام حركي تلقائي متكامل. وعملية الانفراط تقوم بوظائف أخرى متعددة مثل تحريك ترس عقارب الساعة، وتحريك ترس عقرب الدقائق، وتحريك ترس عقرب الثواني، وتحريك ترس اليوم، وتحريك ترس التاريخ. وهكذا يتكون لدينا نظام تلقائي يقوم بوظائف ذاتية متعددة دون الحاجة إلى مساعدة من عوامل خارجية.

وما دامت الساعة تعمل فأنت تدرك، بدون أن تفتح الساعة وتنظر داخلها، أن أحد الزمبركين ينفرط بالتدريج والآخر يُشد عليه بالتدريج، وهذه عملية إدراك لشيء

---

(٣٠٩) الأنفال: ٥٣؛ وانظر الرعد: ١١.
(٣١٠) ابن تيمية، مجموع ٨: ٥١٧.
(٣١١) الإسراء: ١٦؛ وانظر تفسير الآية مثلا في الطبري وابن كثير.
(٣١٢) انظر مثلا النجار. وانظر للتعليق على الآية سيد قطب، ظلال ج٤: ٢٢١٧.
(٣١٣) ابن تيمية، مجموع ج٨: ٧٠.

غير محسوس. وأنت تستطيع التنبؤ بأن عقرب الساعة الذي يشير إلى الساعة الواحدة سيشير بعد فترة زمنية إلى الساعة الثانية...إلخ وهذه عملية إدراك لشيء مستقبلي.

كما لاحظنا، فإن الساعة في المثال السابق ليست سوى نظام بدائي جدا. أما الكون فهو يتكون من شبكة ضخمة لا يعلم بضخامتها وأسرارها إلا الله خالقها. وقد اكتشف الإنسان كثيرا من هذه السنن الكونيـة بدراساته الاستقرائية، وبالتالي اكتشف بعض هذه النظم التلقائية التي تُسيِر أجزاء محدودة من هذا الكون. وتنحصر معظم هذه الاكتشافات في عالم الجماد والنبات. أما في عالم الحيوان والإنسان والجن... فلم يصل إلى اكتشاف صور متكاملة للسنن الكونية التي تتحكم فيها، إلا في حدود التكوين العضوي للحيوانات والإنس. أما التكوين الروحي والفكري والنفسي فلا يزال يكتنفه الكثير من الغموض. وحتى في مجال العلوم الطبيعية لا يزال هناك الكثير مما لم يكتشفه الإنسان بعد.([٣١٤]) ومن هذه التي لم يكتشفها تلك السنن الكونية التي تَمكَّن بها أحد رجال سليمان عليه السلام من نقل عرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين في لمح البصر.([٣١٥])

والفرق بين قدرة خالق شبكة الأنظمة التي تُسيِر الكون كله وتوجد الأشـياء الأخرى وبين مخترع نظام الساعة الأتوماتيكية، أن خالق السنن الكونية يبقى مهيمنا على هذه الشبكة التلقائية وعلى كل شيء يمكن أن يؤثر عليها، وأما مخترع الساعة الأتوماتيكية فإنه يفقد السيطرة عليها بعد تصميمها وصناعتها. فقد تتعطل الساعة بسبب يخرج عن سيطرة صانعها، سواء أكان السبب معروفا لديه أم مجهولا. والفرق الآخر أن صـانع الساعة إنما تمكّن من صناعة الساعة بما منحه الله من قدرات ويصنعها بتمكين من الله وفي هيئة ليست سوى هيئة من الهيئات التي خلقها الله وجعلها ممكنة.

وتؤثر السنن الكونية بعضها على نتائج بعض. فلو ألقيت بحجر إلى الأعلى بعيدا عن الجاذبية على سمت قدمك فإن النتيجة الحتمية هي سقوط الحجر على قدمك، ما لم تتدخل سنة كونية، تدفع الحجر بعيدا -أثناء سقوطه- أو تحرك قدمك من مكانه.

ولعل هذه الحقيقة تفسر قول الرسول صلى الله عليه وسلم "لا يرد القضـاء إلا الدعاء."([٣١٦]) فالدعاء لجوء إلى الله الذي خلق السنن الكونية كلها (أسبابها ونتائجها الحتمية). وبعبارة أخرى، يعد الدعاء لجوءًا إلى القضاء المباشر أو الأمر الكوني المباشر المتمثل في قوله عز وجل: {إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون}([٣١٧]) فمن خلق السنن الكونية قادر على تعطيل أو تغيير النتيجة الحتمية للسنة الكونية بتسخير سنة أو سنن كونية أخرى متى شاء وكيف شاء.([٣١٨]) ويؤكد هذه الحقيقة -أيضا- ما أخبر عنه رسول رب العالمين من قصة الثلاثة الذين دخلوا

---

[٣١٤]) انظرا مثلا: ابن تيمية، مجموع ج٨: ٦٨-٧٠، ١٧٢، ١٩٦، ٤٨٦، ٥٢٠-٥٤١؛ وابن القيم، شفاء ص ١٨٥-١٨٩؛ صيني، قواعد ص ٣٧-٥٩.

[٣١٥]) انظر النمل: ٣٨-٤٠، وانظر قطب، في ظلال ج١٩: ص ٢٦٤١-٢٦٤٢،

[٣١٦]) الترمذي، القدر، ما جاء.

[٣١٧]) يس: ٨٢.

[٣١٨]) انظر ابن تيمية، مجموع ج٨: ١٦٧-١٧٠؛ والأشقر ٨٤-٨٦.

مغارة فسدّ مدخلها حجر كبير، لا يستطيعون تحريكه. فلجأوا إلى الله بالدعاء فانفرجت الصخرة شيئا فشيئا مع دعاء كل واحد منهم حتى تمكّنوا من الخروج.[٣١٩] ومن خلق هذه السنن الكونية قادر على إبطال مفعولها في أي وقت شاء وكيف شاء، كما أبطل مفعول النار التي أوقدها قوم إبراهيم عليه السلام لإحراقه، إذ يقول تعالى: { قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم. وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين.}[٣٢٠]

والسنن الكونية مختلفة من حيث القوة، ومتفاوتة من حيث شمولية التأثير. فالنار يمكنها تبخير الماء؛ ولكن الماء يمكنه إطفاء النار.[٣٢١] وعلى الرغم من أهمية الحرارة ومصادرها فإن الله جعل الماء عصب الحياة كلها، حيث يقول تعالى: {وجعلنا من الماء كل شيء حيّ}.[٣٢٢]

وقد تتألف السنة الكونية من عدد من الأسباب تؤدي إلى نتيجة حتمية واحدة. وقد تتكون السنة الكونية من سلسلة من السنن الكونية الجزئية (أسباب ونتائج متتابعة) تؤدي إلى نتيجة حتمية محددة في النهاية. وبعبارة أخرى. فالنتيجة الحتمية لإحدى السنن الكونية قد تكون سببا في السنة الكونية الأخرى. ومثاله كون الأب نتيجة للجد، والأب سبب في وجود الحفيد.

ومن الأسباب جميع القرارات التي قد يتخذها المخلوق المكلف في حياته الدنيوية ولكل قرار نتيجته المحددة التي خلقها الله وأحاط بها علما.

وقد خلق الله سبحانه وتعالى هذا الكون بما فيه من شبكة عظيمة محكمة ومتقنة من السنن الكونية تسيره بطريقة تلقائية، حيث يقول تعالى: {إنّا كل شيء خلقناه بقدر}[٣٢٣] و{وكل شيء عنده بمقدار}.[٣٢٤] وتتفاعل هذه السنن الكونية فينتج عن هذا التفاعل ما ندركه وما لا ندركه من الجماد، ومظاهر الحياة الأخرى مثل: النبات والحيوان والإنسان والجن والملائكة... وتتفاعل هذه السنن الكونية فتتغير أشكال الجمادات بشكل مطرد أو غير مطرد حسب إدراكنا القاصر، وتتنقل الأشياء الحية من مرحلة النمو الأولى لتنتهي بالفناء.[٣٢٥]

وهذا واضح من مظاهر الحياة حولنا. فالشجرة تبدأ ببذرة، يتم سقيها بالماء ووضعها في بيئة مناسبة، وتتعرض للهواء بما فيه من غازات متنوعة، وتتعرض للحرارة والأشعة المختلفة من خلال تعرضها للشمس... فتنمو إلى أن تصبح شجرة ضخمة. والأعشاب تخضر مع توفر الماء في الربيع وأسباب الحياة الأخرى، وتزدهر... ثم يأتيها الشتاء أو الصيف فتذوي وتجف... ولاشك أن كل هذا إنما يحدث بمشيئة من خلق هذه السنن الكونية.

---

[٣١٩] انظر النووي، باب إخلاص النية. وانظر الصالح، رياض الصالحين ج١: ٤٨-٥١.
[٣٢٠] الأنبياء: ٦٩.
[٣٢١] أنظر مثلا: ابن القيم، شفاء ص ١٨٥، السعدي، العقيدة ص ١٦٧-١٧٠ صيني، قواعد ص ٣٧- ٥٨.
[٣٢٢] الأنبياء: ٣٠.
[٣٢٣] القمر: ٤٩؛ وانظر ابن منظور لمدلولات قدر .
[٣٢٤] الرعد: ٨؛ وانظر ابن تيمية، مجموع ٨: ١٣٣، ٥٣٣-٥٣٥.
[٣٢٥] انظر مثلا: ابن القيم ص ١٨٨-١٨٩؛ وصيني، قواعد ص ٣٧-٥٩.

وكل شيء سواء أكان سببا في سنة كونية أم نتيجة هو من صنع الله: المخلوقات المكلفة، والحيوانات والنباتات والجمادات... والمواد والقدرات البشرية المختلفة التي يتكون منها الإنسان: الروحية والفكرية والعاطفية والعضوية، كلها من خلق الله. وحتى حرية الاختيار التي يستخدمها الإنسان للاختيار مما خيره الله فيها (الأشياء المـادية، والقدرات، والسنن الكونية) هي من صنع الله... ([٣٢٦]) فالمخلوق المكلف عندما يتخير سنة كونية أو مجموعة منها، فهو إنما يتخير سببا أو مجموعة من الأسباب ذات نتائج حتمية، خلقها الله.

وبهذا فإن الله عز وجل يخلق بواسطة الأمر المباشر، ويخلق بواسطة شبكة الأنظمة التلقائية المؤسسة على شبكة من السنن الكونية التي خلقها. وبهما يبدع الخالق المزيد من المخلوقات ويدبر شئون الكون كله.

خلق الرب وفعل العبد:

إن الحقائق السابقة تؤكد أن الله فعال لما يريد، وقادر على أن يفعل ما يشـاء متى شاء، وكيف شاء. فهو سبحانه وتعالى يختص برحمته من يشاء وليس في ذلك ظلم لأحد، وقادر على أن يهدي من يشاء، وقادر على أن يضل من يشـاء.([٣٢٧]) ولكن هذه القدرة المطلقة والهيمنة الكاملة على ما يجري في الكون لا تقتضي أنه سيظلم أحدا فهو ليس بظلام للعبيد.([٣٢٨])

فالله هو خالق الكون وما فيه من جمادات ونباتات وحيوانات ومخلوقات مكلفة وحركاتها وسكناتها، والسنن الكونية التي تحكمها وتسيرها بطريقة تلقائية، وجميع الصور المحتملة لاستخداماتها، خلقها وأوجدها من العدم. والله هو الذي خلق ما تتميّز به المخلوقات المكلفة من عقل وهداية، وحرية اختيار. فهو الذي خلق كل شيء بما في ذلك ما يعملونه حيث يقول تعالى: {أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء.}([٣٢٩]) وقوله تعالى على لسان إبراهيم وهو يحاج قومه: { ... قال أتعبدون ماتنحتون. والله خلقكم وما تعملون}.([٣٣٠])

فكل شيء وكل حدث، وكل فعل صغير أو كبير للعبد هو من خلق الله سبحانه وتعالى. فالله هو الذي خلق للعبد الأعضاء والقدرة على تحريكها بطرق مختلفة، والقدرة على تسخيرها لأغراض مختلفة. والله هو الذي خلق للعبد مجموعة من التكوينات العاطفية: الفرح والحزن والغضب ... والله هو الذي خلق للإنسان القدرة على التفكير، والقدرة على التعبير عن مشاعره وأفكاره. وبعبارة أخرى فإن المخلوق نفسه وجميع قدراته من خلق الله. فالأمر كما ورد في قول الإمام أبي حنيفة: "فلما كان الفاعل مخلوقا فأفعاله أولى أن تكون مخلوقة."([٣٣١])

---

[٣٢٦]) ابن القيم ص ١٤٦؛ السعدي، العقيدة ص ١٥١-١٥٢؛ البخاري، خلق أفعال العباد: أفعال العباد.

[٣٢٧]) جميع آيات المشيئة تندرج تحت هذا المعنى. وانظر مثلا الآيات: البقرة: ١٠٥، ٢٢٠، ٢٤٧، ٢٥٣، ٢٧؛ وانظر ابن تيمية، مجموع ٨: ٤٩٩-٥٠٠.

[٣٢٨]) أنظر مثلا: النساء: ٤٠؛ يونس: ٤٤؛ الكهف: ٤٩؛ آا عمران: ١٨٢؛ الأنفال:٥١؛ الحج:١٠

[٣٢٩]) الأنعام: ١٠١؛ وانظر الفرقان: ٢.

[٣٣٠]) الصافات: ٩٥-٩٦؛ بعض المفسرين ذهبوا إلى أن المقصود "بما تعملون" هي الأصنام التي ينحتونها فقط؛ وانظر لهذا التفسير مثلا ابن عثيمين، مجموع ص ١٩٣-١٩٥.

[٣٣١]) أبو حنيفة ص ٤٥.

ولعل المثال الذي ضربه "دسوقي" يوضح طبيعة مساهمة الإنسان في الأفعال التي تنسب إليه. فالإنسان في مثاله يشبه الصيدلي أو الكيماوي الذي ينتقي عددا من المواد الكيماوية الجاهزة، ويأخذ منها مقادير محددة، ثم يمزجها فينتج منها دواء. ويغير مقادير المواد نفسها ويخلطها فتنتج سمًا.([٣٣٢]) فالله خالق هذه المواد الكيماوية وخالق السنن الكونية (القوانين الطبيعية) التي تحدد العناصر والكميات (الأسباب) التي تنتج الدواء أو السم (النتائج الحتمية). بل هو الخالق أيضا للصيدلي وقدراته ومعلوماته...

وبعبارة أخرى، أعطى الله المخلوق المكلف القدرة (الجسمية والعقلية والمعرفة وحرية الاختيار...) على أن يصنع من هذه المواد التي خلقها الله أشياء، قد تُعد خيرا أو شرا، في ضوء التشريعات الربانية وفي ضوء الفطرة التي فطر الله المخلوقات عليها.

والإنسان عندما يصنع هذه الأشياء، لا يخلق أشياء من العدم أو يبتكر أفعالا لم يخلقها الله، ولكن **يختار** تنفيذ أشياء خلقها الله، تتراوح بين أشياء يحبها الله من طرف ويبغضها الله من الطرف الآخر. وذلك لحكمٍ كثيرة، منها منح الإنسان فرصة كافية للاختيار. ولعل المثال التالي على المستوى البشري قد يوضح كيف يكون الله خالقا لكل شيء والإنسان فاعلا لبعض الأشياء ويكون مسؤولا عنها.

قد يستخدم المدرس الذي يريد اختبار طلابه الأسئلة ذات الإجابات الاختيارية فيضع عددا من الإجابات لكل سؤال. وحتى يعطي فرصة كافية للاختيار وللتمييز بين الدرجات المتفاوتة للاجتهاد وللاستفادة من الدروس، يجعل الإجابات تتراوح بين الإجابات الخاطئة تماما والإجابات الصائبة تماما، كما في الرسم المبين التالي.

إجابات صائبة تماما |---|---|---|---|---| إجابات خاطئة تماما

فالمدرس وضع الاحتمالات المختلفة للإجابة عن السؤال، وهو يحب بعض الاحتمالات (الإجابات) ويجيز بعض الاحتمالات، ويبغض بعضها الآخر. والطالب سيجيب حسب اجتهاده واستفادته من الدروس. وقد يختار الإجابة الخاطئة، فينسب إليه الخطأ. وهو الذي يستحق صفة "المخطئ" لأنه هو المسؤول عن هذا الاختيار الخاطئ.([٣٣٣]) وأما المدرس فلا يلحقه أي لوم لأنه وضع بعض الإجابات الخاطئة بين الإجابات الاختيارية. بل يستحق الثناء لأنه أحسن في إعداد الاختبار وأتقنه.([٣٣٤])

فالاختبار الجيد يجب أن يتضمن جميع الاحتمالات التي تقع بين الضدين. فبالليل نعرف حقيقة النهار والدرجات المتفاوتة بينهما، وبالمرض نعرف حقيقة الصحة...، وبالفقر نعرف حقيقة الغنى...، وبالفشل نعرف حقيقة النجاح...، وبالألم نعرف حقيقة المتعة بالعافية.

ويتضح من المثال السابق أن الخير والشر وما بينهما من احتمالات مخلوقات لله سبحانه وتعالى، خلقها وأعطى العبد فرصة كافية لممارسة صلاحياته باعتباره

---

[٣٣٢] الدسوقي ص ٢٧٥.

[٣٣٣] انظر مثلا ابن تيمية، مجموع ج٨: ١٢٣.

[٣٣٤] يهدف هذا المثال إلى إثبات الفرق بين خالق الشر وفاعله المتصف به؛ وانظر تكملة المثال تحت عنوان "حرية الاختيار".

خليفة في الأرض (آدم وأتباعه) أو باعتباره حزبا معارضا (إبليس وأعوانه). ويحب الله ما كان خيرا في شرعه أو بالفطرة التي فطر مخلوقاته عليها، أو يجيز ما جعله مباحا. ويحرم الله ما كان شرا في شرعه أو بالفطرة التي فطر مخلوقاته عليها، أو يكرهه. والعبد قد يختار الخير أو الشر، ليفعله ويتصف به. ولعل هذا يفسر قوله تعالى: { وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله، وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك. قل كل من عند الله.}([٣٣٥]) وقوله تعالى: {ونفس وما سواها. فألهمها فجورها وتقواها}([٣٣٦]) وقوله تعالى: {أوَ لمّا أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنّى هذا، قل هو من عند أنفسكم. إن الله على كل شيء قدير}.([٣٣٧])

فالآية الأولى تؤكد أن كل شيء من خلق الله ولن يستطيع الإنسان خلق شيء من العدم. والآية الثانية تؤكد حرية الاختيار للإنسان واستطاعته فعل الخير أو فعل الشر. وتؤكد الآية الثالثة بأنه لما كان الله يكره الشر فإن المخلوق المكلف إذا اختار فعل الشر مع وجود الخيار الآخر، فإنه هو المسؤول عن هذا الشر.

والحقيقة، حتى إبليس- أصل الشر والغواية- كان من الجن المؤمنين ولكن فشل في الامتحان برفضه الامتثال لأمر ربه، واختار طواعية أن يتصف بالشر وأن يصر على الرفض ويعقد العزم على غواية المخلوقات المكلفة، حتى تحرم من الجنة كما اختار لنفسه الحرمان منها.([٣٣٨])

الخير والشر:

يلاحظ عموما أن المعيار الحقيقي الذي يميز الخير عن الشر ودرجاتهما المتفاوتة هو التشريعات الربانية. ولكن يلاحظ أيضا أن الخير والشر في حالات كثيرة أمور نسبية فما يعتبر خيرا في حالات يعتبر شرا في حالات أخرى.([٣٣٩]) فالقتل اعتداء يعتبر شرا، وأما دفاعا عن النفس فيعتبر خيرا. وما يعتبر شرا بالنسبة لمخلوق قد يعتبر خيرا لمخلوق آخر؛ فالمرض -في الظاهر- شر للمريض وأقربائه، وهو مصدر رزق للطبيب ومن يعمل في المستشفيات...

كلمة القـدر:

عند مراجعة النصوص القرآنية وما يسندها من مصادر التفسير الأخرى، مثل الأحاديث النبوية ومعاجم اللغة العربية، نجد معاني متعددة لكلمة القدر ومشتقاتها. ومن هذه المدلولات التي تعنينا، بعد استبعاد مشتقات كلمة "قدِرَ"(استطاع)، مثل القدرة، وقادر، وقدير، سنجدها تعني: القضاء الرباني الكوني الذي يعبر عنه بالأمر "كن فيكون"، خلق الأشياء بمقادير منتظمة، وعلم الله بما سيحدث، ثم جاءت صفة لنوع من التفكير البشري، أي يفحص الواقع، ويتخيل قرارا ويتوقع نتيجة

---

[٣٣٥]) النساء: ٧٨.

[٣٣٦]) الشمس: ٧-٨. وانظر اللإنسان: ٢.

[٣٣٧]) آل عمران: ١٦٥؛ وانظر ابن القيم ص ٢٨-٢٩.

[٣٣٨]) ابن تيمية، مجموع ج٨: ١٢٢-١٢٣، ٢٧٥-٢٧٧، ٢٠٤-٢٣٤؛ ٣٨٧- ٤٠٥، ج١٤: ٢٧- ٢٨؛ ابن القيم، شفاء ص ٥٢-٦٤، ٨٩؛ دسوقي ج١: ١٣٠-١٣٥، ٢٧٢-٣٠٠.

[٣٣٩]) ابن تيمية، مجموع ١٤: ٢١.

ظنية،(خمَّن، يخمن) وذلك في مقابل العلم الرباني اليقيني بما حدث، ويحدث، وسيحدث، والمحتمل حدوثه.[٣٤٠]

ويلاحظ أن كثيرا من مدلولات كلمة "القدر" ومشتقاتها في معاجم اللغة متأثرة بشرح المفسرين لها في سياقاتها التي وردت بها في القرآن الكريم. لهذا اختار بعض المفسرين مدلول "علمنا" في قوله تعالى:{...إلا امرأته قدرنا إنها لمن الغابرين}، وذلك بدلا من "حكمنا" الذي يفيد الجبر، في مدلوله الظاهر، أو التقدير بمعنى "التخمين" المناسب للبشر.

ويلاحظ من الرجوع إلى معاجم اللغة والاستعمالات الدارجة لكلمة "القدر" أن هذه الكلمة على وجه العموم وفي الظاهر يغلب عليها معنى "الجبر". بيد أن المتتبع لمدلول هذه الكلمة في كتابات علماء العقيدة المستمد من مقابلة النصوص بعضها ببعض والتوفيق بينها، يجد أن المكونات الأساسية لهذه الكلمة تعني أن الله علم ما سيجري في هذا الكون وأمر القلم بكتابة ذلك في اللوح المحفوظ.[٣٤١]

وعموما يلاحظ أن القارئ عند مراجعة الآيات وثيقة الصلة ب"القدر" في سياق موضوعنا، سيجد مدلولين:

١ - مدلول يطابق مدلول القضاء بمعنى الأمر الرباني النافذ أو السنة الكونية (السبب والنتيجة الحتمية). ومن هذه الآيات قوله تعالى: {هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدّره منازل...}، وقوله تعالى: {وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم.}، وقوله تعالى: {وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدّر فيها أقواتها في أربعة أيام.} وقوله تعالى: {وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر.}، وقوله تعالى: {وخلق كل شيء فقدّره تقديرا}[٣٤٢].

٢ - مدلول يعني تحديد واقع الشيء: عناصره وهيأته وزمانه ومكان وقوعه وكيفية حدوثه...، أي علم الله بالأشياء والإحاطة بواقعها وتسجيل ذلك العلم أو كتابته في اللوح المحفوظ. وكما يقول أبو حنيفة "ولكن كتبه بالوصف لا بالحكم".[٣٤٣] وهذا المدلول ربما كان مشتقا من "قاس الشيء أو حدد مقداره أو وقته"[٣٤٤] كما في قوله تعالى: {... إلا امرأته قدرنا إنها لمن الغابرين}[٣٤٥] ولعل هذا المدلول هو نفسه المقصود في قوله صلى الله عليه وسلم: "فإذا غُمّ عليكم فأقدروا له"[٣٤٦] وعندما يقول أحدنا للآخر: كم تقدر سعر هذا الكتاب؟ أو بكم تقدر تكاليف طباعة عشرة آلاف نسخة من هذا الكتاب؟ وذلك مع الفرق الجذري وهو أن تقدير المخلوق تقدير خرص وتخمين، وتقدير الله تقدير علم يقيني.

---

[٣٤٠] الحجر: ٦٠. وانظر مثلا: الطبري وابن كثير لتفسير الآيتين وكذلك ابن منظور والزبيدي.

[٣٤١] انظر مثلا: ابن تيمية، مجموع ج٣: ١٤٨-١٤٩؛ ابن القيم، شفاء ص ٦-٢٤.

[٣٤٢] أبو يونس: ٥؛ الفرقان: ٢.؛ الحجر: ٢١ ؛ القمر: ١٢؛ فصلت: ١٠؛

[٣٤٣] أبو حنيفة، الفقه ص ٣٩؛ وانظر ابن تيمية ج٨: ٢٨٠، العسقلاني، طبعة جامعة الإمام ج١: ١١٨؛ وعبد الوهاب ص ٥٧؛ والأشقر ص ٢٥.

[٣٤٤] أنظر لهذه المدلولات من مدلولات كلمة"قدر" في الزبيدي وأنيس.

[٣٤٥] الحجر: ٦٠. وانظر مثلا: الطبري وابن كثير لتفسير الآيتين وكذلك ابن منظور والزبيدي.

[٣٤٦] البخاري: الصوم، إذا رأيتم الهلال.

وإلى هذا العلم اليقيني المسجل قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة([٣٤٧]) تشير النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الكثيرة. ومن هذه النصوص قوله تعالى: {ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها، إن ذلك على الله يسير.}([٣٤٨]) وقوله تعالى: {إن الله لا يخفي عليه شيء في الأرض ولا في السماء}.([٣٤٩])كما ورد في السنة النبوية قوله صلى الله عليه وسلم: "ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار، وإلا كتبت شقية أو سعيدة..."([٣٥٠]) وسئل النبي صلى الله عليه وسلم: "أعُلِمَ (أو أيعرف) أهل الجنة من أهل النار؟ فقال: نعم. قيل: ففيم يعمل العاملون؟ قال: كل مُيّسر لما خُلق له."([٣٥١])

من الطبيعي أن تكون هناك صعوبة في فهم العلم المطلق لله سبحانه وتعالى واستحالة الإحاطة الكاملة بحقيقته. وذلك لأن **علم المخلوقات** ومنها المخلوق المكلف محدود بقيود أساسية منها قيد الزمان وقيد المكان وقيد الحواس المحدودة. وذلك بخلاف **علم الله** الذي لا تقيده هذه القيود. وفيما يلي نستعرض هذه القيود واحدة فواحدة ليتضح المقصود.

قيد الزمان:

عندما نقول إن علم الإنسان مقيد بقيد الزمان فإننا نقصد أن الإنسان يدرك الأشياء مجزأة على أجزاء صغيرة، ولكي يدرك الصورة الكاملة للأشياء أو الأحداث يحتاج إلى فترة زمنية قد تطول أو تقصر حسب حجم الشيء الذي يريد إدراكه أو الحدث. فمثلا لو أراد أن يعرف شكل قطعة من الورق (الحجم، والسماكة، واللون...) حتى لو كانت قطعة صغيرة فإنه يحتاج إلى فحص كل وجه بشكل مستقل. وبعبارة أخرى، يحتاج إلى فترة زمنية ولاتكفيه النظرة الواحدة. وفي الوقت الذي يلقي فيه النظرة على الوجه الثاني، فإن معلوماته عن الوجه الذي فحصه أولا، تصبح معلومات تاريخية، قابلة للتشويه أو للنسيان. وعموما يمكن التمييز بين أربعة أنواع من العلم للمخلوقات:

١ - علم اكتسبه في الماضي وهو عرضة للتشويه أو للنسيان.

٢ - علم يكتسبه في حاضره وهو أكثر علم المخلوق وضوحا عنده.

٣ - علم سيكتسبه في المستقبل عن شيء سيوجد في المستقبل، ويبقى غيبيا حتى يأتي المستقبل فيصبح حاضرا أو واقعا.

٤ - تخيلات لمجموعة من الأشياء محتملة الحدوث، لا يمكن حدوثها جميعا في وقت واحد، (أن يكون الإنسان الواحد واقفا وجالسا في نفس الوقت)، أو تخيلات لأشياء لا يمكن حدوثها لتخلف بعض شروط حدوثها. ومثال ذلك احتمال أن يكتب

---

[٣٤٧]) مسلم: القدر، حجاج آدم؛ وانظر تعليق صديقي (مترجم صحيح مسلم).

[٣٤٨]) الحديد: ٢٢؛وانظر: هود: ٦؛ الحج: ٧٠؛يس: ١٢؛وتعليق ابن القيم، شفاء ص ٤٠.

[٣٤٩]) آل عمران: ٥.

[٣٥٠]) مسلم: القدر، كيفية الخلق.

[٣٥١]) البخاري: القدر، جف القلم؛ وانظر مسلم والترمذي، القدر.

إنسان محدد في وقت محدد رسالة، دون أن يكون لديه ما يكتب به (مثل القلم) أو ما يكتب عليه (مثل الورق).

ومثال الأنواع الأربعة أنك مثلا ربما تتذكر ماذا قرأ الإمام في صلاة الفجر قبل يوم أو يومين ولكن لا تتذكر ماذا قرأ في صلاة الفجر قبل أسبوع أو أسبوعين، وبالتأكيد تعرف ما يقرؤه الإمام وأنت تحضر صلاة الفجر معه، ولكن بالتأكيد لا تدري ما سيقرؤه الإمام في الصلاة التالية. وإن مات الإمام قبل أن يحين وقتها - فبالتأكيد- لا تعرف ما يحتمل أن يقرؤه لو لم يمت.

أما علم الله سبحانه وتعالى فهو علم مطلق لا يقيده قيد الزمان، فالله هو خالق الزمان. لهذا كل شيء عنده **حاضر** وعلمه بالأشياء علم يقيني، أي ليس هناك ما يمكن اعتباره غيبا بالنسبة لعلمه سبحانه وتعالى.

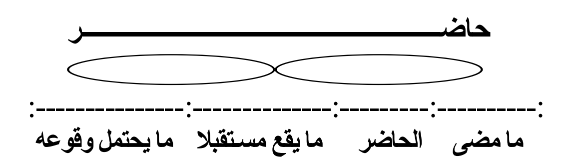
نعم قد يستطيع المخلوق التنبؤ بما سيأتي به المستقبل في حالة وجود نظام متكامل منتظم، يتألف من أسباب ونتائج حتمية ومرتبة بطريقة دقيقة ثابتة، وذلك في حالة الإحاطة الدقيقة بهذا النظام.

ولتتضح الصورة، افترض أنك لاحظت من كثرة صلاتك خلف إمام أحد المساجد أنه يتبع نظاما دقيقا. لقد لاحظت أن الإمام يقرأ سورا محددة في صلاة المغرب والعشاء والفجر من كل يوم من أيام الأسبوع. وبمعرفتك لهذا النظام الذي يتبعه الإمام أصبح في إمكانك تحديد (تقدير) ما قرأه الإمام في اليوم المحدد وإن لم تحضر الصلاة معه، حيث يمكنك القول بأن الإمام قد قرأ سورة كذا بالأمس مثلا (ماضي). وإن حضرت الصلاة معه فأنت تعرف ما يقرؤه الإمام في حضورك (حاضر). وتستطيع أن تقول بأن الإمام سيقرأ سورة كذا، غدا (المستقبل). وحتى لو توفي الإمام قبل أن يأتي يوم غد فإنه يمكنك التنبؤ بما يحتمل أن يقرأه الإمام لو بقي حيا.

وفي إمكانك تسجيل هذه المعلومات وحفظها لنفسك أو أن تطلع الآخرين عليها كلها أو على جزء منها، دفعة واحدة أو مجزأة. ولكن علمك هذا غير يقيني إلا بالنسبة للصلاة التي تحضرها. ونلاحظ في هذا المثال أن علم المخلوقات مقيد بقيد الزمان (الماضي والحاضر والمستقبل المؤكد أو المحتمل) وقد تستطيع التحرر من هذا القيد -نسبيا- لوجود نظام دقيق محدد يتكون من أسباب (حلول وقت صلاة المغرب يوم الاثنين مثلا) ونتائج حتمية (قراءة سورة الانشراح في الركعة الأولى مثلا). ولكن المصلي في هذا المثال لا يسيطر على هذا النظام ولا على من عمل هذا النظام، وذلك لأن الإمام قد يغير نظامه هذا في أي لحظة.

ومن آثار قيد الزمان أن المعلومة المحددة قد تكون علما يقينيا عند أحدنا، وفي الوقت نفسه، تكون معلومة غيبية عند الآخر. فنتائج الامتحان -مثلا- عند المدرس الذي قام بتصحيح الإجابات تعد علما يقينيا، أما بالنسبة للطالب أو بالنسبة لأي شخص آخر لم يطلع على النتائج، تعد علما غيبيا. وفي أفضل الحالات قد تكون معلومة تقريبية متوقعة غير مؤكدة. فعلم الله مطلق وعلم المخلوق مقيد.

ولعل الشكل التالي يوضح الفرق بين العلم المطلق الذي لا يقيده قيد الزمان ولا بداية له ولا نهاية، ويمكن التعبير عنه بالدائرة، وعلم المخلوق الذي يقيده قيد الزمان وله بداية ونهاية، ويمكن التعبير عنه بالخط المستقيم.



وبعبارة أخرى فإنه بالنسبة لعلم الله لا وجود لما نسميه بالماضي أو المستقبل أو المحتمل، فكل الأحداث بالنسبة لعلمه سبحانه وتعالى حاضرة.

قيد المكان:

من الموجودات ما هو في نطاق إدراكنا الحسي، يمكن أن ندركه بحواسنا الخمس وامتداداتها (وسائل التقنية الحديثة أو الطرق الروحية وما يندرج تحت الحاسة السادسة). ومن الموجودات ما هو خارج عن نطاق إدراكنا الحسي (أي هو غيبي). فالناظر من مكان مرتفع -مثلا- يرى ما لا يراه الناظر من موقع منخفض. فبعض الأشياء التي يدركها الأول وأصبحت جزءا من علمه تعتبر غيبيات بالنسبة للآخر وغير موجودة. وكذلك الواقف عند ملتقى شارعين متعامدين يرى ما لا يراه الواقف في أحد الشارعين بعيدا عن نقطة التقائهما. فالشارعان وما فيهما بالنسبة للأول يعتبر علما محسوسا، أما بالنسبة للآخر فأحد الشوارع وما فيه يُعد من الغيبيات.

أما بالنسبة لعلم الله فلا يقيده قيد المكان أو الموقع، فليس هناك أشياء بعيدة أو مختفية وراء أشياء أخرى. بل كل شيء **حاضر**، فعلمه مطلق لا بداية له ولانهاية.

قيد الوسائل المحدودة للإدراك:

حواس الإدراك عند الإنسان محدودة، حتى إن بعض الحيوانات والحشرات لديها حواس أقوى من حواسه. فحدة نظر القطط في الظلام معروفة مثلا، وكذلك حدة حاسة الشم عند الكلاب لا تخفى على أحد.

وفي المقابل، فإن علم الله لا يقيده قيد الحواس المحدودة. فهو السميع البصير العليم وصفاته جميعها مطلقة. وعلمه مطلق حيث يقول تعالى: {وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه؛ وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين.}([٣٥٢])

ومن هنا جاء الاعتقاد بأنه "لا ينفع الحذر من وقوع القدر" لأن القدر هو تسجيل رباني دقيق مائة في المائة لما يجري في الواقع. وذلك بصرف النظر عن كون هذا الواقع بالنسبة للمخلوقات أشياء حدثت في الماضي أو تحدث حاليا أو ستحدث في المستقبل أو أنها أحداث محتملة الوقوع.

---

[٣٥٢]) يونس: ٦١.

ومثال اللوح المحفوظ في المستوى البشري أن يقوم شخص بتسجيل ما يجري في الواقع مما يدركه إدراكا كاملا بحواسه الخمس، ويسجله بدقة تامة، أي بنسبة مائة في المائة. فهل يختلف ما يجري في الواقع عن ما قام بتسجيله؟ سيكون هناك تطابق كامل ما دام الإدراك كاملا والتسجيل تاما.

فالقدر هو تسجيل لكل شيء يقع في الكون، من علم الله الذي لا يقيده قيد الزمان أو المكان أو الحواس المحدودة للمعرفة، أو كما عبر عنه ابن تيمية بقوله: "...تقدم علمه وكتابته وقضاؤه بما سيصير إليه العباد من السعادة والشقاوة، كما تقدم علمه وكتابته لغير ذلك من أحوال العباد وغيرهم"([٣٥٣])، "وجميع الأسباب قد تقدم علم الله بها وكتابته لها، وتقديره إياها، وقضاؤه بها، كما تقدم ربط ذلك بالمسببات."([٣٥٤])

ويميز ابن القيم بين خمسة من أنواع التقدير: كتابة تقادير الخلائق قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وتقدير أمور العباد، وتقدير مستقبل الجنين، وتقدير ليلة القدر، والتقدير اليومي.([٣٥٥])

وعن العلاقة بين هذه التقديرات يقول بأن" كل واحد من هذه التقادير كالتفصيل من التقدير السابق.([٣٥٦]) ولكن لعل ما قاله ابن تيمية أرجح وهو أن ما سوى التقدير الأول المكتوب في اللوح المحفوظ ليس إلا عملية إحاطة للملائكة المكلفين بشؤون العباد مما يخصهم منها.([٣٥٧]) ولهذا فإن هذه التقديرات الأخيرة قد تتغير كما ورد في قوله تعالى: {يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب}([٣٥٨])

ولقد كشف القرآن الكريم والسنة النبوية عن بعض هذه الغيبيات المستقبلية مثل مصير الأنبياء في الآخرة، ومصير أبي لهب وامرأته([٣٥٩]) ومصير العشرة المبشرين بالجنة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.([٣٦٠])

وبهذا يتضح أن "الكتابة" في هذه النصوص تعني تسجيل واقع الأشياء أو وصفها مرتبطة بالعلم الرباني المطلق. وهي تختلف عن "الكتابة" في سياق النصوص التي تتحدث عن الإرادة الكونية. وبهذا يتضح أن القدر بما فيه من خير وشر لا يتعارض مع قدرة المخلوق المكلف على الاختيار. فهناك فرق بين أن يعلم الله ما سيفعله العبد بالضبط سلفا ويسجل ذلك، وبين أن يجبره على ما يفعله. ويعجب ابن تيمية من قوم يحتجون بالقدر عندما يعصون الله فيما أمرهم؛ ويرفضون القدر عندما يقع عليهم اعتداء من الآخرين. فهم يحرصون على معاقبة المعتدي والانتقام منه؛ ولا يعذرونهم بالقدر كما يعذرون أنفسهم به.([٣٦١])

---

[٣٥٣]) ابن تيمية، مجموع فتاوى ج٨: ٢٧٤ ، وانظر الصفحات ٢٧٢-٢٩٦.

[٣٥٤]) ابن تيمية، مجموع فتاوى ج٨: ٢٧٧.

[٣٥٥]) ابن القيم، شفاء ص ٧-٢٤.

[٣٥٦]) ابن القيم ص ٢٤.

[٣٥٧]) ابن تيمية، مجموع ج٨: ٣٩٩، ج١٤: ٤٨٨-٤٩٢.

[٣٥٨]) الرعد: ٣٩؛ وانظر ابن تيمية، مجموع ج٨: ٥١٧، ٥٤٠؛ والأشقر ص ٦٧.

[٣٥٩]) وانظر المسد: ١-٥.

[٣٦٠]) ابن الأثير ج٨: ٥٦٢-٥٦٦.

[٣٦١]) ابن تيمية، مجموع ج٨: ١٠٧؛ ٢٤٨-٢٥٠.

وأما ما ورد من قول آدم عليه السلام لموسى عليه السلام:"يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده، أتلومني على أمر قدره الله علَيّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة."([٣٦٢]) فهو من نوع المعاتبة بالأسلوب المماثل. فكلاهما يعرفان حقيقة القدر. وقد يكون أيضا من قبيل التصبر على ما وقع منه وأدرك خطأه فيما بعد، وليس من قبل الاحتجاج بالقدر لإعفاء النفس من المسئولية أو للاستمرار في فعل المعصية. فقد اعترف آدم بذنبه وتاب منه، إذ يقول تعالى على لسانه ولسان حواء: {قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.}([٣٦٣]) والتصبر بالقدر عند وقوع المصيبة جائز، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف. وفي كل خير. احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز. وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا ولكن قل: قدّر الله، وما شاء فعل. فإن لو تفتح عمل الشيطان."([٣٦٤])

وفي جميع الأحوال، لا أحد يعلم ما هو مسجل في اللوح المحفوظ. فعلى المخلوقات المكلفة أن تجتهد في حسن استغلال ما أنعم الله عليها من إمكانات وقدرات ومنها العقل وحرية الاختيار، وفي ضوء الهدى الرباني. فالمحاسبة إنما تكون على ما يبذله المخلوق المكلف من الجهد في ضوء إمكاناته، وليس على ما ينجزه من عمل.

العلاقة بين الكلمتين:

اختلف العلماء في العلاقة بين القضاء والقدر. فهناك من فرّق بينهما، مع إثبات نوع من العلاقة بينهما([٣٦٥]) ومثاله نقلا عن "لسان العرب يقول الزهري: "القضاء في اللغة على وجوه مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه، وكل ما أحكم عملَه أو أتم أو ختم أو أدى أداء أو أوجب أو أعلم أو أنفذ أو أمضى فقد قضى. ... ومنه القضاء المقرون بالقدر، والمراد بالقدر التقدير، وبالقضاء الخلق."([٣٦٦]) وقد يعتبرهما البعض كلمات مترادفة.([٣٦٧])

وبمراجعة النصوص القرآنية التي تم الاستشهاد بها عند الحديث عن القضاء نجد تداخلا بين مدلول كلمة "القضاء" وبعض استعمالات كلمة "القدر"، حيث ورد مدلول القضاء ببعض مشتقات كلمة "القدر".([٣٦٨]) ولكن عند مراجعة قوله، صلى الله عليه وسلم: "لا يرد القضاء إلا الدعاء"،([٣٦٩]) وقوله: "فلو شيء يَسبق القضاء لسبقته العين"([٣٧٠])، يتأكد لدينا وجود فرق بين "القضاء" و"القدر" الذي ورد في

---

[٣٦٢]) البخاري: القدر، تحاج آدم موسى.

[٣٦٣]) الأعراف: ٢٣.

[٣٦٤]) مسلم: القدر، في الأمر بالقوة؛ وانظر ابن تيمية، مجموع ج٨: ١٧٧-١٧٨؛ ابن القيم ص ١٨.

[٣٦٥]) درويش ص ٢٦-٤٠.

[٣٦٦]) ابن منظور: باب قضي.

[٣٦٧]) انظر الترمذي، القدر، يعنون لحديث "لايرد القضاء إلا الدعاء" ب"لايرد القدر..."؛ المحمود ص ٢٩.

[٣٦٨]) القمر: ٤٩؛ الرعد: ٨؛ وانظر الحواشي: ٧٣-٧٧.

[٣٦٩]) الترمذي: أبواب القدر، باب ٦؛ وقد اعتبره حسنا غريبا وصحح ابن حبان والحاكم إسناده وانظر المباركفوري ج٦: ٢٩٠.

[٣٧٠]) ابن قيم الجوزية، الطب النبوي ونسبه إلى النسائي والترمذي وورد في الترمذي بلفظ "القدر" في أبواب

قولـه، صلى الله عليه وسلم، عند إجابته عن سـؤال جبريل عليه السلام عن الإيمان وهي "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر؛ وتؤمن بالقدر خيره وشـره."([٣٧١]). فالمقصود بالقدر في هذا الحديث ما تم تسجيله في الأزل من علم الله، وعلمه ثابت لا يتغير. وعلم الله مطلق ولا تخفى عليه خافية ولا يقيد علمه قيد المكان أو قيد الزمان أو قيد الحـواس المحدودة. **فكل شيء وكل حدث يوجد في أي مكان أو زمان بالنسبة لعلمه حاضر**. والعلم أيضا ليس شيئا ينزل أو يصدر فيَسبق أو يُسبق. وهذا بخلاف القضاء أو الحكم ونتيجته الحتمية فقد يرد الدعاء النتيجة الحتمية للسنة الكونية، ويَسبق أو يُمكن أن يقال عنه أنه يحتمل أن يُسبق.

الخلاصة والخاتمة

يتضح مما سبق من المباحث أن القضاء هو الأمر الرباني المباشر النافذ حتمًا، وهو أيضا السنن الكونية التي خلقها الله، أي السبب والنتيجة الحتمية. ومن السنن الكونية تتكون شبكة عظيمة محكمة من الأنظمة التلقائية (الأتوماتيكية) التي تسير هذا الكون بمشيئة الله. فالله سبحانه وتعالى أوجد الكون ويخلق ما فيه ويسيره بقوله كن فيكون (الأمر المباشر) وبالسنن الكونية أو النظم التلقائية التي خلقها. ولا يقع شيء في هذا الكون إلا بإذنه ومشيئته، فهو القاهر فوق مخلوقاته.

أما القدر فإنه العلم الرباني المطلق الذي لا يقيده قيد الزمان أو المكان أو الحواس المحدودة، وكل شيء بالنسبة لهذا العلم المطلق حاضر من حيث الزمان أو المكان والإحاطة التامة به. وقد أمر الله القلم بأن يسجل ما كان وما سـيكون من هذا العلم المطلق في اللوح المحفوظ. فلا يقع شيء إلا كما تم تسجيله تسجيل وصف، لا تسجيل حكم. ولكن لا أحد سوى الله، سبحانه وتعالى، يعلم بما هو مكتوب.

وبهذا يتضح أن الإيمان بالقضاء والقدر لا يتعارض مع الإيمان بأن الجن والإنس مسؤولون عن الطريقة التي يسخرون بها ما أنعم الله به عليهما من نعم لا تُعد ولا تحصى. وترتكز هذه المسئولية وهذا التكليف بشكل أساس على نعمة العقل، والهداية، وحرية الاختيار بين الأسباب ذات النتائج الحتمية أو ما نسميه بالسنن الكونية. ولكن يلاحظ أن هذه الحرية التي أنعم الله بها على المخلوق المكلف ليست مطلقة. فهي مقيدة بمشيئة الخالق المهيمنة عليها هيمنة مطلقة. فالله هو الذي خلـق الجن والإنس وجميع المخلوقات وهو الذي منحها النعم التي تستمتع بها وتستثمرها للحصول على السعادة في الدنيا والآخرة، ولاسيما في الآخرة. وهو سبحانه وتعالى قادر على تجريد المخلوقات المكلفة منها متى شاء. وهو الذي خلق الأشياء التي يختار منها، ولا يمكنه الاختيار منها إلا بإذنه تعالى.

ومن الطبيعي أن يترتب على هذا التكليف العادل وجود اختبار متقن. لهذا كانت الحياة الدنيا التي ننعم بها دارًا للاختبار، والآخرة داراً للجزاء. وليست درجات الفرح والحزن المختلفة ودرجات المتعة والألم سوى وسائل هذا الامتحان. فالاختبار المتقن يمكنه تحديد جميع الحالات التي تتراوح بين النجاح الباهر والفشل الذريع.

القدر؛ وانظر "إن الله لم يقض قضاء إلا كان خيرا له." أحمد: ج٣: ١١٧، ١٨٤.

[٣٧١]) مسلم: الايمان، بيان الايمان.

وليست النعم والابتلاءات إلا عملات صعبة يجب أن نحسن استثمارها في الدنيا المؤقتة لنجني ثمارها العظيمة في الحياة الأبدية.

وتتمثل صعوبة هذا الاختبار في أن النعيم المؤقت قد يتعارض مع النعيم الأبدي، وأن طرق الحصول على النعيم المؤقت محاطة بالمغريات والشهوات، وأما طرق الحصول على النعيم الأبدي فمحفوفة بالمكاره. وعلى المخلوق المكلف أن يضحي أحيانا بنعيم الدنيا المؤقت ليفوز بنعيم الآخرة الأبدي، وأن يتغلب على شهواته ويصبر على المكاره حتى يكون من الفائزين في هذا الاختبار.

كما اتضح لنا أن الله عفو رحيم في محاسبته للمخلوق المكلف، يمهله ويمنحه الفرص الكثيرة للتوبة وللرجوع إلى الطريق السوي، ولكن لا يهمله. فقد يغفر الذنوب الكبيرة للمخلوق المكلف ما لم يشرك به أحدا في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته ويموت على ذلك؛ وقد يبدل سيئاته حسنات. ولكن لاضمان لأحد، فعلى المخلوق المكلف أن يبذل قصارى جهده لينجو من النار ويفوز بالجنة في الحياة الأبدية. وما هو مكتوب في اللوح المحفوظ لا يعلمه إلا الله، فعلى الجن والإنس أن يبذلوا قصارى جهدهم واستطاعتهم، فعليه ستكون محاسبتهم.

ومكافآت الآخرة عظيمة ففي الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. وعقاب الآخرة شديد لمن يضيع جميع فرص النجاح، ويتجاهل بغرور جميع الإرشادات، وكل وسائل التنبيه والتذكير. فأهون أهل النار عذابا هو عذاب من توضع تحت قدميه جمرة فيغلي منها دماغه.

اللهم اجعلنا من المستحقين لجنتك وأجرنا من عذابك وارزقنا التوفيق والإخلاص في النية وفي القول وفي العمل. آمين.

تمارين الفصل السادس:

١ - اختر موضوعا، مثل متى يحاسب الإنسان على كفره، واجمع الآيات ذات العلاقة، وقم بتفسيرها، معتمدا على معرفتك باللغة العربية، ومستعينا بمصادر التفسير الأخرى. واكتب بحثا متكاملا في الموضوع.

٢ – اختر موضوعا، المشيئة الربانية ومحاسبة العبد في الآخرة وطريقة الحساب، واجمع الآيات المتعلقة بالموضوع، وقم بتفسيرها، معتمدا على معرفتك باللغة العربية، ومستعينا بمصادر التفسير الأخرى. واكتب بحثا متكاملا في الموضوع.

٣ – اختر أي موضوع في العقيدة، واجمع الآيات المتعلقة بالموضوع، وقم بتفسيرها، معتمدا على معرفتك باللغة العربية، ومستعينا بمصادر التفسير الأخرى. واكتب بحثا متكاملا في الموضوع.

الفصل السابع

نموذج الجهاد والقتال

لقد أثارت مسألة الجهاد والقتال جدلا طويلا بعد جيل الصحابة، رضوان الله تعالى عليهم، وذلك لقول كثير من العلماء بأن الجهاد بمعنى القتال نوعان: جهاد طلب، أي مبادرة الكافرين بالقتال والغزو لرفضهم الإسلام، وجهاد دفع أو دفاع عن الإسلام والمسلمين. ويؤيدهم في ذلك كثير من المعاصرين. وأيضا من أقوال السلف التي يؤيدها بعض المتأخرين، بطريقة ما، أن الجهاد مندوب بعد فتح مكة. وهو فرض كفاية، ليس فرض عين مثل أركان الإسلام، وأنه جهاد تطوع إلا أن يستنفر الإمام أحدا، أو أن تكون البداية من غير المسلمين. وهناك من يقول بأنه مندوب عندما يكون جهاد طلب فقط، أي قتال من يرفض الإسلام، ويبادر الإسلام والمسلمين بالعداوة.

ومن الطرف الآخر، يرى البعض بأن الله قد ميَّز المخلوقات المكلفة بإمكانات تجعلها مسؤولة عن ما تفعله، في حدود نصيبها من العقل المميز ، والهداية الربانية، وحرية الاختيار. فالله سبحانه وتعالى يقول: {ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها}، ويقول:{وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا... إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا}.([٣٧٢])

ويهدف هذا الفصل إلى استعراض جميع نصوص القرآن الكريم التي وردت فيها كلمتا الجهاد والقتال، والخروج بتصور لهما، منفردين ومتداخلين. ولن يتعرض للجوانب الأخرى من الموضوع، مثل الكلمات المرادفة لهما، مثل الولاء والبراء، والروابط الإنسانية. وهذا النموذج –عموما- يعتمد على دراسة شاملة لمسألة العلاقة بين المسلمين وغيرهم، بعناوين مختلفة، وأحدثها بعنوان: المبادئ الإسلامية للتعامل عبر الأديان، فمن يرد التفاصيل فعليه أن يرجع إلى المصدر المذكور.([٣٧٣])

الخطوات التطبيقية:

تتمثل الخطوات التطبيقية فيما يلي:

١. تصميم جدول من ثلاثة أعمدة: عمود للتصنيف الرئيس، مثل "الجهاد" أو القتال" أو المعنى في ظل مصادر التفسير، وعمود لإفراغ النص القرآني، وعمود للتعليق. ويمكن إضافة عمود لترقيم الآيات.

٢. حصر جميع الآيات التي وردت فيها كلمة الجهاد، والقتال وتفريغها في الجدول، حسب ما يتيسر، مثلا حسب ترتيبها في المصحف، في حالة توفر نسخة إلكترونية، ويتم الحصر بالبحث عن كلمة، "جاهد" أو "قاتل" ومشتقاتهما.

٣. استنتاج معاني الكلمتين في ظل سياق استعمالهما، وإذا لزم الأمر يمكن الاستعانة بمعاجم اللغة وكتب التفسير، ولكن يجب التنبه إلى أن هذه المصادر

---

[٣٧٢]) الشمس: ٧-٨؛ الكهف: ٢٩-٣١.

[٣٧٣]) صيني، المبادئ الإسلامية للتعامل عبر الأديان، وهو منشور في الموقع www.saeedsieny.net

ليست الحَكَم عند تعارض مدلولاتها مع استعمالات القرآن الكريم، ثم السنة عالية التوثيق، ثم اللغة دارجة الاستعمال، ولاسيما المستعملة في الكتابات والمؤلفات الرسمية. ونظرا لأن مصطلحي الجهاد والقتال هما من مرتكزات كثير من الأحكام الشرعية فلابد من الرجوع إلى طريقة التعامل معهما في كتاب منهج الأبحاث الشرعية للمؤلف.[٣٧٤] وأما في هذا الكتاب فسيتم الاقتصار على التفسير الضروري، وإن كان العرض سيشمل النقاش بين الآراء المختلفة حول مدلولهما.

٤. إعادة تصنيف النصوص في ضوء مدلولاتها الراجحة، وجعلها في مجموعات ذات مدلولات متشابهة، تميزها عن المجموعة أو المجموعات الأخرى.

٥. صياغة النتائج بطريقة تكشف عن المعاني المتشابهة بين الآيات الواردة في القرآن والمختلفة، بالنسبة لكلمتي الجهاد، والقتال. وطريقة التداخل بينها، إن وجدت، وبيان مواقعهما في الإطار العام للموضوع وهو علاقة المسلم بأخيه غير المسلم، في دار الاختبار (صالة الامتحان).

واختصارا للمساحة سوف يتم الاقتصار على عرض الخطوة الأولى، والرابعة، وتوجز النتيجة في ظل الشروط المحددة في الخطوة الخامسة.

الخطوة الأولى والرابعة:

سيتم عرض الخطوة الأولى وهي الجدول والخطوة الرابعة، وهو التصنيف الذي تم الوصول إليه بعد البحث عن المدلولات المرجحة لكل كلمة في ظل سياقاتها المستعملة فيها. ويلاحظ أنه للتداخل الموجود بين الجهاد والقتال في بعض الآيات فقد تم دمجهما معا، والاعتماد في التصنيف على كونه: أمر جهاد أو قتال فئة محددة، أو حث، تأنيب على التقصير، جهاد دفع، جهاد عام يشمل كافة أنواع الجهاد، أي القتال وغير القتال.

مصطلحي الجهاد والقتال:

١.	أمر حالة محددة	{إِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (الحجرات: ٩-١٠)	
٢.	أمر محدد	{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ. يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (التوبة:٧٣- ٧٤)	
٣.	أمر	{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ	

[٣٧٤]) صيني، منهج الأبحاث الشرعية (أصول الفقه في خطوات وهو منشور في الموقع www.saeedsieny.net

	محدد	(التحريم: ٩)	
.٤	أمر محدد	{إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله ... و**قاتلوهم** حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فإن الله بما يعملون بصير.}(الأنفال: ٣٦-٣٩)	
.٥	أمر محدد	{اقتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (٢٩) وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٣٠) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١) يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (التوبة:٢٩- ٣٢)	
.٦	أمر محدد	{فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآَتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥) وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ (٦) كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٧) كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ (٨) اشْتَرَوْا بِآَيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩) لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ (١٠) فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآَتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١١) وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ (١٢) أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣) قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ (التوبة:٥- ١٤)	
.٧	أمر محدد	{ياَ أيهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٢٣) وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آَمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ (التوبة:١٢٣- ١٢٥)	
.٨	حث	{أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٦) مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ (١٧) ...أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٩) الَّذِينَ آَمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (التوبة: ٢٠)... انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة:٤١)	
.٩	حث	{أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (١٤٢) وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (آل عمران: ١٤٣)	
.١٠	حث	{إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (البقر: ٢١٨)	
.١١	حث	{إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آَوَوْا	

		وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ () وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ (٧٣) وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آَوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٧٤) وَالَّذِينَ آَمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧٥) (الأنفال: ٧٢-٧٥)	
.١٢	حث	{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آَمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (الحجرات: ١٥)	
.١٣	حث	{لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (النساء: ٩٥)	
.١٤	حث	{لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨٨) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (التوبة: ٨٩)	
.١٥	حث	{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ (٦٨) وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (العنكبوت: ٦٩)	
.١٦	حث	{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (المائدة: ٥٤)	
.١٧	حث	{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (الصف: ١١)	
.١٨	حث	{وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٤٤) مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٤٥) أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (البقرة: ٢٤٦)	
.١٩	حث	{إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآَنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (التوبة: ١١١)	
.٢٠	حث	{إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ} (الصف: ٤)	
.٢١	حث	{فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآَخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (٧٤) وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا (٧٥) الَّذِينَ آَمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا (النساء: ٧٦)	
.٢٢	حث	{قَدْ كَانَ لَكُمْ آَيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ (آل عمران: ١٣)	

٢٣.	حث بالتأنيب	{فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (التوبة: ٨١)	
٢٤.	حث بالتأنيب	{وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ. رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (التوبة:٨٦- ٨٧)	
٢٥.	حث بالتأنيب	{وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ (آل عمران: ١٦٧)	
٢٦.	دفع	{أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٠٨) لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ. ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (التوبة:١٠٩- ١١٠)	
٢٧.	دفع	{وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ (٣٢) إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (المائدة: ٣٥)	
٢٨.	دفع	{واقتلوهم حيث ثقفتموهم، وأخرجوهم من حيث أخرجوكم، والفتنة أشد من القتل}(البقرة: ١٩١)	
٢٩.	دفع	{إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (التوبة: ٣٦)	
٣٠.	دفع	{أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ.}.(الحج: ٣٩-٤٠)	
٣١.	دفع	{إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ. إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (التوبة:٣٦- ٣٧)	
٣٢.	دفع	{لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ. إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (الممتحنة:٨- ٩) }(الممتحنة: ٨؛ وانظر الطريقي ص ٢٥؛ وسيد قطب، في ظلال ج٦:٣٥٤٤؛ والدويش ج٢: ٦٢، ٦٥- ٦٧)	
٣٣.	دفع	{فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا (النساء: ٨٤)	
٣٤.	دفع	{وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا	

		وَلَا نَصِيرًا (٨٩) إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا (٩٠) سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا (النساء: ٩١)
٣٥.	دفع	{وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠) وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (١٩١) فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٩٢) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ (١٩٣) الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (البقرة: ١٩٠- ١٩٤) ويقول الطريقي(الطريقي، الإستعانة ص ١٠٤-١٠٥)
٣٦.	دفع	{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (البقرة: ٢١٧)
٣٧.	عام	{وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ (الحج: ٧٨)
٣٨.	عام	{إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ (٤) وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا (٥١) فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا (الفرقان: ٥٢)
٣٩.	عام	{وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (لقمان: ١٥)
٤٠.	عام	{**وجاهدهم** به جهادا كبيرا}(الفرقان: ٥٢) قبل نزول الأمر بالقتال في مكة
٤١.	عام	{وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ (محمد: ٣١)
٤٢.	عام	{وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٦) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (العنكبوت: ٨) (العنكبوت:٦- ٨)

نتيجة دراسة المصطلحين:

يقول تعالى: {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين}([٣٧٥]) وبهذا يقرر الله سبحانه وتعالى أن الإسلام دين لجميع المخلوقات المكلفة، إذ لم يقل "للمسلمين". وتؤكد الآية أن محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة لجميع المخلوقات يرشدهم إلى

[٣٧٥]) الأنبياء: ١٠٧؛ وانظر تعليق ابن تيمية على هذه الآية مجموع ج١: ٣٠٥-٣٠٦.

الفلاح في الدنيا والآخرة. ولكن هل الإسلام رحمة لمن يختاره فقط أو لابد أن نكره المخلوقات المكلفة عليه؟

إن من يراجع آيات القرآن الكريم بتأمل، دون تجاهل لسياقاتها الطبيعية، يجد أن هناك قواعد عامة يمكن التعرف عليها، سوف نناقشها تحت العناوين التالية: القائلون بجهاد الطلب وقتال من يسلم، القائلون بنسخ القاعدة العامة، تساؤلات حول الحجة الرئيسة، المخرج من هذه التساؤلات، الأدلة الأخرى للمعارضين، الجهاد لضمان حرية الدعوة، المخلوقات المكلفة بالنسبة للإسلام.

الجهاد والقتال نوعان:

هناك من يقول بأن هناك نوعان من الجهاد: ١) جهاد الطلب، وهو وجوب أو إباحة قتال من يرفض الإسلام دينا، ووجوب قتال الحكومات التي تمنع الدعوة إلى الإسلام. ٢) جهاد دفع شر المعادين للإسلام أو المسلمين من أجل دينهم.

وتستدل الفئة الأولى بعدد من الآيات، وسيتم مناقشة أبرزها في ظل آيات الجهاد والقتال وما يسندها من الأدلة من المصادر الأخرى للتفسير.

أولا - قوله تعالى{واقتلوهم حيث ثقفتموهم}([٣٧٦]) ومدلول هذه الآية واضح من سياقها المتمثل في الآية السابقة لها وفي تكملتها. فالله سبحانه وتعالى يقول: {وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا، إن الله لا يحب المعتدين. واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل، ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه، فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين.} فالآية تخص المقاتلين من الكافرين في جميع الأحوال، ولكن عند المسجد الحرام ينبغي الكف (مؤقتا) إلا أن يبدأ الكافرون بالقتال، فحينئذ ليس لهم إلا القتل. وبهذا ينتفي التعارض مع آية القتال التي تستثني أهل الكتاب من الكـافرين بدفع الجزية.

ثانيا - قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين}([٣٧٧]) وتكفي قراءة الآيات التالية لها إلى آخر سورة التوبة ليعرف القارئ أنها تخص المنافقين الذين كانوا يعيشون مع المسلمين ويجاورونهم ويكيدون لهم ليل نهار.

ثالثا - قوله تعالى: {وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين.}([٣٧٨]) يقول الطريقي([٣٧٩]) في مناقشته لهذه الآية بأن "تفسير الفتنة بالشرك يعني الأمر بإزالة الشرك بالكلية وهذا محال، لأنه خلاف مقتضى الحكمة الإلهية، التي اقتضت بقاء الخير والشر إلى يوم الدين، ومن جملة الشر: الشرك والكفر فإن زوالهما غير ممكن." وأسند تفنيده هذا بقوله "إن نصوص الكتاب الكريم تفيد أن الأكثرية من الناس غير مؤمنين..." و "أن الإسلام يقر كثيرا من الطوائف والأمم على دينها إذا دخلت في عهد مع المسلمين. وهذا يعني بقاء

---

[٣٧٦]) البقرة: ١٩١.
[٣٧٧]) التوبة: ١٢٣.
[٣٧٨]) البقرة: ١٩٣.
[٣٧٩]) الطريقي، الإستعانة ص ١٠٤-١٠٥.

الكفر."(٣٨٠) ويضاف إلى ذلك أن تفسير الآية بمعنى حتى تكون كلمة الله هي العليا، حرفيا، فيه إكراه.

وينبه السرياني أيضا إلى أن هذا التفسير "يقتضي طلب الكفار بالقتال وإن جنحوا إلى السلم".(٣٨١) ورضوا بدفع الجزية، فيتعارض مع الآيات التي تنص على عدم مقاتلة هؤلاء صراحة وهي من الأحكام المجمع عليها. ويضيف السرياني بأن تفسير "الفتنة" والضمير في "قاتلوهم" والمقصود بالانتهاء مختلف فيه بين العلماء. فالفتنة قد تعني الكفر، أو ابتلاء المؤمن حتى يرجع عن دينه، أو القتال في الحرم. وأما الضمير في "قاتلوهم" فقد يعني المشركين فقط، أو الكافرين مع استثناء أهل الكتاب، أو الذين يقاتلون في الحرم. وأما "الانتهاء" فقد يعني ترك الكفر والدخول في الإسلام، أو ترك القتال وأخذ وضع الذمي بالنسبة لأهل الكتاب، أو ترك القتال فحسب،(٣٨٢) أي أن الاستدلال بهذه الآية يبقى ظنيا.

والحقيقة، إن المدقق في الآية ومثيلتها وفي سياقيهما في سورة البقرة والأنفال يدرك تلقائيا أن هذه الآية تؤكد أن القتال إنما يكون لمن يحاربون الله ورسوله والمسلمين. فمعنى الآية في سورة البقرة يبدأ من قوله تعالى: {وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا... وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين.}(٣٨٣) وتؤكد الآية على التوقف عن مقاتلتهم إذا انتهوا. وتبدأ الآية الأخرى في سورة الأنفال بقوله تعالى: {إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله ... وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فإن الله بما يعملون بصير.}(٣٨٤)

رابعا - قوله تعالى {أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير}.(٣٨٥) فالآية صريحة بأن هذا القتال هو ضد الظالمين، ردًا لظلم سبق منهم ولإخراجهم المظلومين من ديارهم. وتعززها الآية التي تليها مباشرة، حيث تصف نوع الظلم بقوله تعالى: {الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله..}.

الجهاد لضمان حرية الدعوة:

يقول تعالى: {...والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا، وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق.} ويقول تعالى:{أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا، وإن الله على نصرهم لقدير}، ويقول تعالى: {واقتلوهم حيث ثقفتموهم، وأخرجوهم من حيث أخرجوكم، والفتنة أشد

---

(٣٨٠) الطريقي ص ١١٥؛ وانظر قول ابن عمر أن القضاء على الفتنة لا تعني خضوع جميع الناس للإسلام في العسقلاني ج٨: ١٦٠- ١٦١.

(٣٨١) السرياني ص ١٢٠-١٢١.

(٣٨٢) السرياني ص ١٢١.

(٣٨٣) البقرة: ١٩٠-١٩٣.

(٣٨٤) الأنفال: ٣٦-٣٩.

(٣٨٥) الحج: ٣٩-٤٠.

من القتل}. ويقول تعالى:{ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله، فان انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين}([٣٨٦])

يحتج القائلون بالصيغة المرققة لجهاد الطلب بالآيات السابقة، حيث يقول أبو زهرة بأن من بواعث الجهاد: "...أن يعتدي الملوك على عقيدة من تحت سلطانهم ممن اختاروا الإسلام دينا فيرهقوهم في عقيدتهم الدينية. وإن الدعوة الإسلامية نور لا يحجب، فلا بد أن تفتح الأبواب له، وقد وقف الحكام له بالمرصاد يمنعون أن يصل إلى رعاياهم، فكان لا بد من القتال **لإزالة الحجزات التي تمنع النور أن يصل ولمنع الاضطهاد أن يقع** حتى لا تكون فتنة في الدين."([٣٨٧]) ويلاحظ أن قول أبي زهرة، ومن يؤيده "ولمنع اضطهاد أن يقع" يؤيده قوله الله تعالى الذي ينص على النصرة المشروطة بأن لا تكون ضد قوم بينهم وبين المسلمين ميثاق. ولكن "إزالة الحجزات التي تمنع" أي التي تمنع الدعوة إلى الإسلام لم يورد عليها أبو زهرة دليلا، ولم أجد لها دليلا مباشرا فيما قرأت. ومن يراجع الأدلة التي ساقها أبو زهرة واستشهد بها الزحيلي وغيره([٣٨٨]) يلاحظ ما يلي:

١ - الأدلة تفيد بأن الجهاد (بمعنى القتال) مشروع للرد على اعتداء قد وقع من غير المسلمين ابتداءًا أو بخيانة لعهد مبرم أو لاعتداء حتمي الوقوع. وهذا لا خلاف فيه.

٢ - الأدلة لا تفيد بأن على المسلمين أن يقاتلوا ابتداء لضمان حرية الدعوة إلى الإسلام، سواء كانت الحواجز حكومات أو أفراداً. واستدلال الزحيلي وغيره بالأمر بالقتال حتى يكون الدين كله لله يرد عليه ما ورد في التعليق على الآية.([٣٨٩])

وقول أبو زهرة والزحيلي ومؤيديهم يفترض أن معظم الناس -إن لم يكن كلهم- سيسلمون إذا لم تقف الحكومات عقبة في طريق وصول الدعوة إليهم. وهو بخلاف الواقع الذي عرفناه عبر العصور المختلفة والذي يؤكده القرآن الكريم في قوله تعالى: {وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين}([٣٩٠]) وفي قوله تعالى: {إن في ذلك لآية وما أكثرهم مؤمنين}.([٣٩١]) وتجيء هذه الآيات عقب قصص أنبياء الله: يوسف، وموسى، وإبراهيم ونوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب عليهم السلام. وذلك تقريرا لحقيقة كونية وعزاءًا للنبي، صلى الله عليه وسلم.

وليس في الكتاب والسنة ما يؤيد هذا القول. بل هناك دليل على أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قبل شرط قريش بدخول مكة دون دعوة أحد إلى الإسلام.([٣٩٢]) كما يحكمها كون الحكومة المانعة للدعوة تمثل شعبها تمثيلا صادقا أو لا تمثله...

([٣٨٦])الأنفال: ٧٢؛ الحج: ٣٩؛ البقرة: ١٩١- ١٩٣.

([٣٨٧]) أبو زهرة، العلاقات ص ٥٠؛ الزحيلي، العلاقات ص ٣١؛ وانظر أبو زهرة، العلاقات ص ٤٩-٥٠.

([٣٨٨]) أنظر مثلا: علي ص٤٣-٤٨؛ ضميرية ص ١٢٩؛ عواد ص ٣١-٣٦؛ الدقس ص ١٥٥؛ وهبة ص ٣٥-٤٤؛ الصعيدي ص ٣٣.

([٣٨٩]) انظر مبحث "الأدلة الأخرى".

([٣٩٠]) يوسف: ١٠٣؛ وانظر الطريقي، الاستعانة ص ١٠٤-١٠٥.

([٣٩١]) الشعراء: ٨، انظر الآية نفسها تتكرر في ٦٧، ١٠٣، ١٢١، ١٣٩، ١٥٨، ١٧٤، ١٩٠.

([٣٩٢]) البخاري: الجزية، الموادعة.

وبهذا يتضح من النقاش السابق أن السبب الموجب للجهاد يقتصر على وقوع الاعتداء الفعلي على المسلمين وإن كانوا يعيشون في دولة أخرى، أو لأن الأعداء يتجهزون للاعتداء على المسلمين، أو لابتداء الآخرين بمحاربة الإسلام والمسلمين بالأساليب المختلفة. وبهذا نخرج بتصنيف للمخلوقات المكلفة مغاير للتصنيف الذي قال به ابن القيم.

أما بالنسبة للإسلام فالأصل فيه هو الحياد، ولكن لا يمنع الإسلام من نصرة غير المسلمين أو الدولة غير الإسلامية المظلومة من قبل دولة غير إسلامية أخرى وقد يحث عليها. بيد أن الأمر محكوم بالظروف، مثل المعاهدات والموازنة بين المصلحة والمخاطر.([٣٩٣])

وقد يتصور المسلم المتحمس أن في هذا القول تمييعا للجهاد، ولكن من يتأمل في ماضينا القريب وحاضرنا يجد أن المسلمين ما يزالون يتعرضون لأشكال الظلم المختلفة جماعات وفرادى. فأين المجاهدون من المسلمين لرفع ظلم واقع بالمسلمين، قبل استعداء المحايدين من غير المسلمين بدون أدلة كافية؟ وهل الجهاد مقتصر على القتال بالسلاح. إن الجهاد لا يقتصر على خوض المعركة التي ينتهي فيها الخاسر بالوضع في معسكرات للأسرى. ولكن الجهاد يشمل كل ما يدفع عن الإسلام وأهله الظلم، ومنه الجهاد بفن التعامل الدبلوماسي وبفن العلاقات العامة. ومن الجهاد خوض معركة علم الكفاية اللازم لتحرير المسلمين من أغلال الاستعمار الفكري والمادي. فأين الذين يبذلون الجهد والوقت والمال بسخاء وبإخلاص لتحصيل العلم والمهارات اللازمة للحصول على الاستقلال النسبي ولتعليمه ولتنميته. وذلك بدلا من ضياع هذه المصادر الشحيحة أو الوفيرة التي أنعم الله بها علينا بدون تعب في الحصول على مزيد من المتع الدنيوية التي ينتجها غير المسلمين والسعي وراء المكاسب المادية والمعنوية السريعة المؤقتة.

ومن جهة أخرى إن الجهاد لا يقتصر على جهاد الكافرين بالقتال ولكن الجهاد أنواع ودرجات. ويقول ابن القيم "ولما كان جهاد أعداء الله في الخارج فرعا على جهاد العبد نفسه في ذات الله، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم "المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله..." كان جهاد النفس مقدما على جهاد العدو في الخارج وأصلا له. فإنه ما لم يجاهد نفسه أولا لتفعل ما أمرت به وتترك ما نهيت عنه ويحاربها في الله لن يمكنه جهاد عدوه في الخارج."([٣٩٤])

ولو تأملنا في حالة السلام والحرب لوجدنا أن حالة السلام هي التي تحقق الخير للبشرية جمعاء، حتى من منظور الإسلام. فصلح الحديبية بشروطه وملابساته كان خيرا للإسلام من حالة الحرب مع قريش، كما يؤكد ذلك جُل الذين علقوا على هذا الصلح.([٣٩٥])

---

[٣٩٣]) انظر مثلا الطريقي ص ٢٤٣-٢٥٤ وما سبق إيراده.

[٣٩٤]) ابن القيم، زاد ج ٣: ٦ وانظر الصفحات ٥-٩.

[٣٩٥]) انظر مثلا: ابن القيم، زاد ج٣: ٣٠٩-٣١٠؛ والندوي ص ٢٨٠-٢٨٣؛ مولوي ص ٢٣-٣١.

القائلون بنسخ القاعدة العامة:

تتركز أدلة القائلين **بنسخ** هذه القاعدة العامة في آيتين هما ([٣٩٦]): الآية الخامسة من سورة التوبة والتي تسمى آية السيف، والآية التاسعة والعشرين التي تسمى آية القتال، وذلك باعتبارهما عامتين وناسختين لما يتعارض معهما من نصوص وأفعال للرسول صلى الله عليه وسلم، وليستا خاصتين بفئة لها صفاتها المحددة. والآية الخامسة هي قوله تعالى: { فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد. فإن تابوا وأقاموا الصلاة وءاتوا الزكاة فخلوا سبيلهم، إن الله غفور رحيم.}([٣٩٧]) وأما الآية التاسعة والعشرون فهي قوله تعالى: {قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون}.([٣٩٨])

تساؤلات حول الحجة الرئيسة:

هناك عدد من التساؤلات والملاحظات على الحجة الرئيسة للقول بالنسخ تستحق التأمل. وتتمثل الحجة الرئيسة في اعتبار هاتين الآيتين ذواتي مدلول عام، ينسخ كل ما يتعارض معهما وليس خاصًّا، ومن هذه التساؤلات والملاحظات ما يلي:([٣٩٩])

أولا - من يراجع كتب التفاسير والكتابات المتخصصة في علم الناسخ والمنسوخ لا يجد دليلا نقليا واحدا قطعي الدلالة (من الكتاب والسنة) يشير إلى أن الآيتين عامتان وناسختان لمئات النصوص التي جاءت قبلها في الكتاب وفي السنة الفعلية. فالترجيح إذاً عند القائلين بالنسخ كان بدليل عقلي. ومادام الأمر كذلك فما الدليل العقلي البارز؟ هل هو كون الآيات نزلت عقب الآيات الكثيرة والتطبيقات الفعلية الكثيرة التي أرست أسس القاعدة العامة؟ وهل يكفي أن تكون الآية متأخرة في النزول لأن تكون عامة وناسخة لما قبلها، دون النظر في الاعتبارات الأخرى مثل احتمال عدم التعارض أصلا؟

ثانيا - هناك من يقول بأن آية السيف نفسها منسوخة، إذ يقول ابن الجوزي بأن الأقوال في آية السيف ثلاثة: أحدها: أن حكم الأسرى كان وجوب قتلهم ثم نُسخ بقوله تعالى: { فإما منًّا بعد، وإما فداء}.([٤٠٠]) قاله الحسن، وعطاء والضحاك... والثاني: بالعكس، إذ يقول بأن الحكم كان في الأسرى أنه لا يجوز قتلهم صبرا، وإنما يجوز المن والفداء فنسختها آية السيف. والثالث: أن الآيتين محكمتان...([٤٠١]) وما دام

---

[٣٩٦] انظر مثلا ابن الجوزي، المصفى ص ١٩-٦٠.

[٣٩٧] وانظر التوبة: ١-٤.

[٣٩٨] التوبة: ٢٩.

([٣٩٩]) وانظر الصعيدي ص ٢٥-٥٢، والزحيلي، آثار ص ١٠٦-١٢٤.

([٤٠٠]) محمد: ٤.

([٤٠١]) الملباري، ص ٣٥٩-٣٦٠. وانظر لاختلاف العلماء في المسألة والنسخ عموما: النحاس ص ٢٦٧-٢٧٣؛ السيوطي ص ٢: ٢٠-٢٧؛ القيسي٣٠٧-٣٢٢؛ مصطفى، إذ يقول أن المنسوخ فقط ثلاث مواضع في القرآن الكريم.

الأمر كذلك، فلماذا لا نمعن النظر في الاحتمال الآخر وهو كون الآيتين خاصتين ومستثنيتين من القاعدة العامة؟

ثالثا - هناك اختلاف بين العلماء حول كون الأصل في الإسلام السلم أو الأصل فيه الحرب، أي أن المقاتلة تجب لمجرد الكفر أو لأجل محاربة الآخرين للإسلام. ويقول الطريقي بأن جمهور علماء السلف ذهبوا إلى أن الأصل في الإسلام الحرب، ودلل على قوله هذا باقتباسات من المذهب الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي. ولكن يضيف بأن عددا من العلماء المحدثين ذهبوا إلى أن الأصل هو السلم، والمقاتلة دفاعية لا هجومية. ومن هؤلاء: محمد رشيد رضا، وأبو زهرة، والخلاف، والسباعي، وآل محمود والزحيلي.(٤٠٢) ويضاف إليهم القرضاوي والسرياني والطريقي(٤٠٣) فأين الصواب؟

رابعا - اعتبار آية السيف وآية القتال عامتين من حيث الدلالة يتعارض تماما مع قوله تعالى: {لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها، والله سميع عليم. الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات. أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون}.(٤٠٤) وقد جاءت هذه الآية بصيغة الإخبار عن حقيقة عامة أو خبر محض. وما دام هذا الخبر رباني المصدر فهو راسخ، جاء عقب آية الكرسي التي تقرر حقيقة لا يأتيها النسخ بتاتا وهي صفات الخالق سبحانه وتعالى. وتلتها آيات تقرر أيضا حقائق عامة ثابتة، لا تقبل النسخ وهي حقيقة المؤمنين وكون الله هو وليهم، وحقيقة الكافرين وكون أولياءهم الطاغوت. أما آية السيف وآية القتال فقد وردتا بصيغة الأمر في سياق يصف أشياء تحتمل أن تكون حقائق عامة وتحتمل أن تكون وصفا لحالات خاصة مقيدة بصفات محددة أو بالزمان أو المكان أو بهما جميعا.

فأي الآيات أولى باعتبارها القاعدة العامة التي تحكم ما سواها ويتم الاستثناء منها، ولاسيما أن علماء الناسخ والمنسوخ ومنهم ابن الجوزي يقرر بأن "النسخ يقع في الأمر والنهي دون الخبر الخاص المحض والاستثناء ليس بنسخ ولا تخصيص. وأجاز من لا يعتد بخلافه وقوع النسخ في الخبر المحض وسمى الاستثناء والتخصيص نسخا والفقهاء على خلافه"؟(٤٠٥)

خامسا – أقوال بعض الفقهاء في حكم الكافر يمكن فهمها على وجهين متناقضين. ومن الأمثلة التي تعكس ذلك قول ابن تيمية: "وإذا كان أصل القتال المشروع هو الجهاد، ومقصوده هو أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، **فمن امتنع من هذا قوتل** باتفاق المسلمين. وأما من لم يكن من أهل الممانعة والمقاتلة، كالنساء والصبيان، والراهب والشيخ الكبير، والأعمى، والزمنى ونحوهم فلا يقتل عند جمهور العلماء إلا أن يقاتل بقوله أو فعله، وإن كان بعضهم يرى إباحة

(٤٠٢) الطريقي ص ٩٧-١٢٧؛ السرياني.
(٤٠٣) السرياني؛ الطريقي ص ١٢٧.
(٤٠٤) البقرة: ٢٥٦-٢٥٧.
(٤٠٥) ابن الجوزي، المصفى ص ١٢؛ وانظر ابن الجوزي، نواسخ القرآن ص ٩٣؛ فرحات ص ٢٥-٢٦.

قتل الجميع لمجرد الكفر، إلا النساء والصبيان، لكونهم مالاً للمسلمين. والأول هو الصواب. لأن القتال لمن يقاتلنا، إذا أردنا إظهار دين الله، كما قال تعالى: {وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا، إن الله لا يحب المعتدين} ...([٤٠٦]) ويستطرد قائلا في الصفحة التالية: "وذلك أن الله تعالى أباح من قتل النفوس كل ما يحتاج إليه في صلاح الخلق، كما قال تعالى: {والفتنة أشد من القتل}([٤٠٧])... فمن لم يمنع المسلمين من إقامة دين الله لم تكن مضرة كفره إلا على نفسه..." ولكن يقول ابن تيمية أيضا في الصفحة نفسها: "**ولهذا أوجبت الشريعة قتال الكفار**، ولم توجب قتل المقدور عليهم منهم. بل إذا أُسر الرجل منهم في القتال أو غير القتال... فإنه يفعل فيه الإمام الأصلح من قتله أو استعباده أو المن عليه أو مفاداته بمال أو نفس، عند أكثر الفقهاء، كما دل عليه الكتاب والسنة وإن كان من الفقهاء من يرى المن عليه ومفاداته منسوخا. **فأما أهل الكتاب والمجوس فيقاتلون حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون**."

يؤكد هذا القول وجود الاختلاف في الحكم على الكافر من جهة، ومن جهة أخرى فإن قول ابن تيمية هذا يُفهم على وجهين: ١) وجود الإكراه في الدين، ولاسيما إذا نظرنا إلى عباراته: "فمن امتنع من هذا قوتل" و"أوجبت الشريعة قتال الكفار". ولعله ينطلق في هذا من قوله تعالى: {فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين...} و "فأما أهل الكتاب..." انطلاقا من قوله تعالى: {قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون}.([٤٠٨]) ٢) لا إكراه في الدين، وذلك إذا نظرنا في بقية كلامه السابق.

ويلاحظ في الجملة أن هناك غموضا في هذا القول الذي قد يرجح الحرب على السلم ولاسيما في ضوء ما ورد في كتاب اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم. وقد فهمه البعض على أنه يرجح السلم ومن هؤلاء الطريقي والزحيلي.([٤٠٩]) ويضيف الزحيلي بأن ابن تيمية قال في تعليقه على آية "لا إكراه في الدين" إن: "جمهور السلف على أنها ليست منسوخة ولا مخصوصة، وإنما النص عام فلا نكره أحدا على الدين، والقتال لمن حاربنا، فإن أسلم عصم ماله ودمه، وإذا لم يكن من أهل القتال لا نقتله، ولا يقدر أحد قط أن ينقل أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أكره أحدا على الإسلام، لا ممتنعا ولا مقدورا عليه. ولا فائدة في إسلام مثل هذا، لكن من أسلم قبل منه ظاهر الإسلام."([٤١٠])

([٤٠٦]) ابن تيمية، مجموع ج٢٨: ٣٥٤؛ وانظر ابن تيمية، السياسة ص ١١٧-١٢٨.

([٤٠٧]) البقرة: ١٩١.

([٤٠٨]) التوبة: ٥، ٢٩.

([٤٠٩]) انظر مثلا الطريقي ص ١٢٦-١٢٧؛ وانظر الزحيلي، آثار ص ٨٢.

([٤١٠]) الزحيلي، آثار، ص ٨٢ ويوثقه برسالة القتال ص ١٢٣-١٢٥ ووجدت رسالة باسم "قاعدة في قتال الكفار..." لابن تيمية ملحقة برسالة عن الجهاد لآل محمود، قد تضمنت معاني مماثلة (آل محمود ج٢: ١١٧-١١٨، ١٢٠-١٢١). كما وثق الزحيلي النص المنقول بالسياسة الشرعية لابن تيمية ص ١٢٣. ولم أجد فيه سوى النص الأول الذي تم التعليق عليه.

سادسا - هناك نصوص بنى عليها الفقهاء -في جميع العصور- قولهم بإعفاء بعض الفئات من القتل والجزية، منهم الصبيان والمرأة والمجنون، والشيخ الفاني، والراهب المنعزل في صومعته، والفلاحون الذين لا يقاتلون، إلا في بعض الحالات الاستثنائية.(٤١١) وعمل الخلفاء من بعد الرسول، صلى الله عليه وسلم، بهذا الاستثناء وكذلك أفتى به فقهاء الأمة عبر العصور المختلفة. كما أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أثناء خلافته، لم يكره مملوكه على الإسلام عندما استدل بقوله تعالى: {لا إكراه في الدين} بل إنه أعتقه قبل أن يسلم.(٤١٢) فلماذا أُعفي هؤلاء من القتل أو الجزية؟ أ لأنهم ليسوا كفارا أم لأنهم غير مكلفين؟ طبعا. ليس هذا ولا ذاك. ولكن لأنهم لا يحاربون في الأصل. فلماذا لم تنسخ آية السيف وآية القتال هذه الاستثناءات ما دامت دلالتهما عامة؟

وأجاز علماء المسلمين -عبر العصور وإلى يومنا هذا- زواج المسلم بالكتابية بشروطها. فلماذا لم تنسخ آية القتال هذا الزواج، ولاسيما مع اعتقاد البعض بأن من أوثق دعائم العقيدة الإسلامية بغض الكافرين ومعاداتهم(٤١٣)، ومع إثبات الله المودة والرحمة بين الزوجين بالفطرة؟(٤١٤)

سابعا - لقد أورد ابن الجوزي في كتابه "المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ" اثنتين وثمانين آية تنسخها آية السيف وثلاث آيات تنسخها الآية التاسعة والعشرون. وهذا يعني أن ما ورد في غير **المصفى** أكثر من هذا. ويفند ابن الجوزي القول بنسخ أكثر من خمسين آية منها. ولكن طريقته في التفنيد ليست هي التخصيص لمدلول الآيتين، بل إيراد مدلولات بديلة للآيات المُدّعى نسخها. ولاشك أن كثيرا من المدلولات البديلة التي جاء بها ابن الجوزي قوية، وإن كان كثير منها ليس بأقوى من تلك التي يأخذ بها القائلون بالنسخ.

والسؤال لماذا نجدّ في البحث عن مدلولات بديلة لآيات متضافرة على معنى واحد، تؤكد القاعدة العامة، وذلك بدلا من إعادة النظر في فهمنا للآيتين وحدهما؟ أي الخيارين أكثر معقولية وقبولا؟ الحرص على البحث عن مدلولات بديلة لأكثر من ثمانين آية والعديد من السنن الفعلية والقولية المكية والمدنية، تشمل جل فترة الرسالة، أو أن نعيد النظر في فهمنا للآيتين المذكورتين؟ لقد تمكن ابن الجوزي من إيجاد معاني بديلة لخمسين آية فقط، لا تتعارض مع الآيتين فماذا عن بقية الآيات التي تتعارض مع الآيتين حسب فهم القائلين بالنسخ؟

ثامنا - تفيد آية السيف -حسب رأي القائلين بالنسخ- بأن المشركين ليس لهم إلا القتل -في الأصل- إلا أن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وهي أعمال ظاهرة. ويؤكد ابن الجوزي بأن الإيمان أمر قلبي لا يمكن أن نكره الناس عليه، وذلك في معرض رفضه القول بنسخ آية السيف لقوله تعالى: {أفأنت تكره الناس حتى يكونوا

(٤١١) ابن تيمية، مجموع ج٢٨: ٣٥٤؛ ابن القيم، أحكام ص ٤٢-٥١.
(٤١٢) العلواني ص ٩٩؛ وابن كثير، تفسير.
(٤١٣) العلياني، ٣٥٠.
(٤١٤) الروم: ٢١.

مؤمنين}.([٤١٥]) والمعروف أن أصل وجود المنافقين هو خوفهم الوهمي أو الحقيقي من إظهار الكفر. فأظهروا الانتماء إلى الإسلام وأخفوا كفرهم مضافا إليه كراهيتهم للإسلام وحقدهم على المسلمين والتآمر عليهم في الخفاء؟ وإكراه الناس على الإسلام يؤدي حتما إلى انتشار ظاهرة النفاق. فهل يحتمل أن تشجع أي آية قرآنية أو حديث نبوي زيادة أعداد المنافقين في المجتمع الإسلامي، ليفت في عضده من الداخل، ولاسيما أن العدو المُبطِن للعداوة أشد خطرا من العدو الظاهر المُعلِن عداوته.

تاسعا - لا يشك أحد ممن يؤمن بأي دين رباني (سماوي) أن حرية الاختيار عنصر أساس من عناصر الحياة الدنيا، ولولاها لم يكن التكليف ولم تكن هناك حاجة إلى أنبياء ورسل وهدى رباني، ولم تكن هناك حاجة إلى البعث أو الحساب يوم الدين، ولم تكن هناك حاجة إلى جنة ونار وخلود فيهما. ولما منح الله إبليس المهلة والفرصة لإغواء من يطيعه من العباد. ولو كان قتال الكافرين واجبا لمجرد كفرهم لما منح الله لإبليس تلك المهملة والفرصة؛ والله قادر على حرمانه منها. والقاعدة العامة متسقة مع هذه الحقيقة التي لا تنكر. أما القول بأنه: إما الإسلام، أو القتل في الأصل، أو القول إما الإسلام أو جزية يدفعها المخلوق المكلف وهو صاغر، وإما مُحارَب من المسلمين، ولا خيار رابع له فإنه يتعارض مع التكليف ومستلزماته.([٤١٦]) وهو نوع من الإكراه واضح إن لم يكن عينه. فما المخرج من هذا التعارض بين الحرية التي أجازها الله لإبليس في فترة الامتحان (الحياة الدنيا) وما ندعيه من الإنكار لهذه الحرية؟

عاشرا- تصنيف غير المسلمين يحتاج إلى مزيد من الوضوح، حتى بالنسبة لعهد الرسول، صلى الله عليه وسلم، وعند نزول الآيتين السابقتين. ولعل تقسيم ابن القيم -الذي يؤيده فيه سيد قطب والغضبان([٤١٧]) يعكس هذه الحقيقة. يقول ابن القيم: "فاستقر أمر الكفار معه بعد نزول براءة على ثلاثة أقسام: محاربين له، وأهل عهد، وأهل ذمة. ثم آلت حال أهل العهد والصلح إلى الإسلام. فصاروا قسمين: محاربين، وأهل ذمة، والمحاربون له خائفون منه. فصار أهل الأرض معه ثلاثة أقسام: مسلم مؤمن به، **ومسالم له آمن**، وخائف محارب".([٤١٨])

والواضح أن ابن القيم إنما يصنف فقط أولئك الذين علموا بالإسلام وتعاملوا مع المسلمين أو علموا عن قوتهم. وهناك الكثير ممن لم يعلم شيئا عن الإسلام حتى في العصر الحاضر. فما حكم من لم يعرف عن الإسلام شيئا ولم يتعامل مع المسلمين أو يعرفهم أو ليس له أي موقف؟ هناك من لا دين له، ولا موقف له تجاه أي دين ويرى حرية الأديان، ما دام لا ينتج عنها اصطدام. ولا يرى مانعا في أن يتعاون الأفراد المختلفون في الديانة في كثير من شؤون الحياة، أو أن تتعاون الدول ذات الديانات المختلفة، فيما يحقق لهم مصالح مشتركة كثيرة، وتحترم كل دولة ديانة الأخرى وتراثها الفكري والحضاري. وهذا التعاون بين الدول يكثر في صورة

([٤١٥]) ابن الجوزي، المصفى ص ٣٨ والآية يونس: ٩٩.
([٤١٦]) إسماعيل، كشف الغيوم عن القضاء والقدر.
([٤١٧]) سيد قطب، في ظلال ص ١٥٧٨-١٥٧٩؛ الغضبان ص ٢٠-٢١.
([٤١٨]) ابن القيم، زاد، ج٣: ١٦٠.

الاتفاقيات الثنائية الدولية. ففي أي صنف يقع هؤلاء؟ وهذا النوع من التعاون موجود في الواقع حتى بين الملتزمين من المسيحيين والمسلمين من مواطني الدولة الواحدة، وهي أكثر بروزا بين المسلمين والدول ذات الاتجاه العلماني المعتدل؟

فهذا التصنيف فيه غموض ولاسيما صنف "مسالم له آمن". هل المقصود به جماعة مستقلة بذاتها، توادع المسلمين على أن لا يكون بينهم حرب ولا إعانة للأعداء، أم المقصود جماعة تدفع للمسلمين خراجا أو جزية؟ فإذا كان المقصود الأخير فهذا يفيد أن ابن القيم يتجه إلى أن الإسلام أصله الحرب. وهو بخلاف ما فهمه بعض العلماء من قوله هذا وأقواله الأخرى التي لا تخرج عن هذا المعنى.([٤١٩]) ويؤكد ابن القيم موقفه هذا بقوله أيضا: "... ثم لما نزلت براءة سنة ثمان أمره بقتال جميع من لم يسلم من العرب: من قاتله، أو كف عن قتاله إلا من عاهده، ولم ينقض من عهده شيئا، فأمره أن يفي له بعهده... ثم أمره بقتال أهل الكتاب كلهم حتى يسلموا أو يعطوا الجزية."([٤٢٠]) ويؤكد موقفه هذا أيضا قوله: "إن القتال كان محرما، ثم مأذونا به، ثم مأمورا به لمن بدأهم بالقتال، ثم مأمورا به لجميع المشركين إما فرض عين على أحد القولين، أو فرض كفاية على المشهور."([٤٢١]) ويقول ابن القيم في مقدمة كتابه هداية الحيارى: "والسيف إنما جاء منفذا للحجة، مقوما للمعاند، وحدا للجاحد." وفي موضوع آخر يقول" "فدين الإسلام قام بالكتاب الهادي، ونفذه السيف الناصر."([٤٢٢])

ولكن مما يثير الحيرة أن ابن القيم يقول في الكتاب نفسه: "فلما بعث الله رسوله استجاب له ولخلفائه من بعده أهل هذه الأديان [اليهودية والنصرانية والمجوسية والصابئة والمشركون] طوعا واختيارا، ولم يكره أحدا على الدين، وإنما كان يقاتل من يحاربه، وأما من سالمه وهادنه فلم يقاتله، ولم يكرهه على الدخول في دينه، امتثالا لأمر ربه سبحانه وتعالى حيث يقول: {لا إكراه في الدين قد تبيّن الرشد من الغي}.([٤٢٣]) وهذا نفي في معنى النهي أي لا تكرهوا أحدا على الدين..."([٤٢٤])

حادي عشر - هل صحيح ما يقوله بعض أعداء الإسلام: إن الإسلام انتشر بالسيف؟ أو أن الإسلام تمسكن مدة عشرين سنة وعندما تمكّن كشّر عن أنيابه؟ إن هذا الادعاء، سيجد له أساسا إذا قلنا بأن الإسلام لم ينتقل من مرحلة الصبر والتسامح مع المعتدين إلى مرحلة الدفاع وصد الاعتداء ومعاقبته فحسب، وإنما انتقل إلى مرحلة الهجوم على الكافرين -حتى المحايدين أو المناصرين للمسلمين- ابتداء.

ثاني عشر - إن الواقع يؤكد أن غير المسلمين ينقسمون إلى محايدين ومناصرين للمسلمين أو معادين.([٤٢٥]) والمسلمون إما غالبون لغيرهم أو مساوون لهم أو مغلوبون. فإذا قلنا بأن التشريعات الإسلامية انتهت إلى حيث إما أن يسلم غير

([٤١٩]) ابن القيم، أحكام ص ١٧-١٨؛ مثلا: الطريقي ١٢٦-١٢٧؛ الزحيلي، آثار ص ١١٠.

([٤٢٠]) ابن القيم، زاد ج٥: ٩٠-٩١.

([٤٢١]) ابن القيم، زاد ج٣: ٧١؛ وقد فهم الزحيلي، آثار ص ١١٠ هذا القول بأنه يتجه إلى السلم.

([٤٢٢]) ابن القيم، هداية، تحقيق الحاج ص ٢٣٢، ٢٣٣.

([٤٢٣]) البقرة: ٢٥٦.

([٤٢٤]) ابن القيم، هداية الحيارى، تحقيق الحاج ص ٢٣٧.

([٤٢٥]) انظر مبحث "مؤيدون للمسلمين ومحايدون" في الفصل الثاني.

المسلمين أو يستحقون عداوة المسلمين فإن هذا سيعني أحد احتمالين. أحدهما، **أن الله يُشرع مكافأة حياد غير المسلمين ومناصرتهم للمسلمين بالعداوة، أي مقابلة الحسنة بالسيئة**. فهل يعقل هذا والله سبحانه وتعالى يقول في الحديث القدسي: " يا عبادي. إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما."(٤٢٦) والآخر، أن **الله لم يُشرع شيئا لحالة حياد** غير المسلمين ومناصرتهم المسلمين. فإما أن يعيش المسلم قاهرا لغيره أو مقهورا. فهل يُعقل هذا والله سبحانه وتعالى يقول: {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا.}؟ وقد جاءت هذه الآية في سياق مجموعة من الأحكام.(٤٢٧) وهل يعقل أن الله الحكيم يشرع قانونا دوليا يسند الأقوياء المتسلطين على الضعفاء المسالمين؟

ثالث عشر - هناك من العلماء من قيد "المشركين" في الآية الأولى من سورة براءة بالمشركين الذين نقضوا العهد وظاهروا على المسلمين. ويذكر الطريقي من هؤلاء: الزمخشري والبيضاوي والنسفي.(٤٢٨) ويؤكد ابن تيمية هذا الرأي بقوله إن الآية مرتبطة بما قبلها، أي أن البراءة كانت إلى المعاهدين الذين لهم عهد مطلق غير مؤقت أو كان مطلقا ولم يوفوا بموجبه، بل نقضوه. ويقول ابن القيم في تعليقه على آية السيف بأن "البراءة خاصة بالمعاهدين كما قال تعالى: {براءة من الله ورسوله إلى **الذين عاهدتم** من المشركين} ولم يقل (إلى جميع المشركين)".(٤٢٩)

وهكذا فإن القاعدة التي تستند إليها آيتا السيف والقتال تشير بوضوح إلى التجربة المريرة التي مر بها الإسلام مع معظم المشركين في شبه الجزيرة العربية ومع اليهود الذين يعيشون في شمال غرب الجزيرة العربية وبعض النصارى ونقضهم العهود. وبعبارة أخرى فإن الآيتين تخصان هؤلاء الذين سبقت منهم محاربة الإسلام ولا يزالون يحاربونه، أو هم مذبذبون ليس لهم موقف ثابت وواضح، حتى مع وجود معاهدات معهم. وهو احتمال قوي فلماذا رجّح الكثير الاحتمال الآخر وهو كون الآيتين عامتين، مع أن الاحتمال الأخير ليس عليه دليل قطعي الدلالة من الكتاب أو السنة؟

المخرج من هذه التساؤلات:

إن الحل الذي يخرجنا من دوامة هذه التساؤلات هو ترجيحنا لاحتمال أن آية السيف وآية القتال آيتان خاصتان بالمشركين وأهل الكتاب الذين تعامل معهم الرسول صلى الله عليه وسلم وورد وصفهم في سورة براءة، وكل من تنطبق عليه الصفات نفسها في كل زمان ومكان.(٤٣٠) وبالمراجعة الدقيقة للنصوص ولسياقاتها يجد

---

(٤٢٦) مسلم: البر والصلة، تحريم الظلم.

(٤٢٧) المائدة: ٣.

(٤٢٨) الطريقي ص ١١٥؛ وانظر قول ابن عمر أن القضاء على الفتنة لا يعني خضوع جميع الناس للإسلام في العسقلاني ج٨: ١٦٠-١٦١.

(٤٢٩) آل محمود، مجموعة رسائل ص ١٢١ ابن القيم، أحكام أهل ص ٤٨٧.

(٤٣٠) يلاحظ أن هناك فرقا بين القول بأن هذه الآية نزلت في حالة خاصة محددة وانتهت مثل قوله تعالى: {فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا، إنكم رضيتم بالقعود أول مرة...}(التوبة: ٨٣) وبين القول بأن هذه الآية نزلت في حالة لها

الإنسان أن الأرجح أن الآية خاصة بالمعاهدين الذين نقضوا عهودهم **فقط**، سواء كان العهد مقيدا بمدة محددة أو مطلقة. ومن يتأمل فقط في الآيات الثلاث عشرة الأولى من سورة التوبة تظهر له هذه الحقيقة جلية. فالآية الرابعة تصفهم -في معرض وصف المستثنين- بأنهم **ينقضون العهد** ويظاهرون على المسلمين. وتصفهم الآيات الثامنة إلى العاشرة بأنهم اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا ويصدون عن سبيله **ولا يرقبون في المؤمين إلاً ولا ذمة**.(٤٣١) وتصفهم الآية الثانية عشرة بأنهم **ينكثون أيمانهم** ويطعنون في دين المسلمين. ويقول تعالى في الآية الثالثة عشرة: {ألا تقاتلون قوما **نكثوا أيمانهم** وهموا بإخراج الرسول وهم بدؤوكم أول مرة...} وكما هو واضح، فإن جميع الآيات السابقة أجمعت على صفة واحدة هي نقضهم للعهود. فهؤلاء هم الذين يستحقون نبذ عهودهم إليهم بعد الأشهر الأربعة. وتزيد الاستثناءات الصريحة هذه الحقيقة جلاء، إذ يقول تعالى في الاستثناء الأول: {إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم **لم ينقصوكم شيئا** ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم، إن الله يحب المتقين.}، ويقول تعالى في الاستثناء الثاني: {كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام **فما استقاموا لكم** فاستقيموا لهم، إن الله يحب المتقين.}، فالاستثناء الأول يخص من لهم عهد محدد والاستثناء الثاني يخص من لهم عهد مفتوح. وبهذا ورد التأكيد على صفة نقض العهد سبع مرات في ثلاث عشرة آية فقط. فهل هناك وضوح أكثر من هذا؟ فالمتأمل في السورة يجد ما يلي:

١ - هناك تشريعات لا تتعارض مع شيء مما نزل قبل هذه الآية، أو شيء فعله الرسول، صلى الله عليه وسلم، أو قاله أو أقره، وتتمثل في قوله تعالى: {يا أيها الذين ءامنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا...} ويفصِّله الإعلان الذي نادى به علي ابن أبي طالب، رضي الله عنه، بأمر من الرسول، صلى الله عليه وسلم، وهو "أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان."(٤٣٢) فأصل قدسية المسجد الحرام مستمدة من الله ورسالاته، وعلى المشركين أن يقدسوا المسجد الحرام حسب شريعة الله أو يدَعوه. وأصل تشريع الحج من عند الله، فعلى المشركين أن يؤدوه كما يريد الله أو لا يؤدوه.

٢ - تخيير المشركين بين القتل والإسلام، وورد هذا المعنى في آية السيف أي في قوله تعالى: {فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد، فإن تابوا وأقاموا الصلاة وءاتوا الزكاة فخلوا سبيلهم، إن الله غفور رحيم}. ومع هذا الحكم جاءت أوصاف الذين ينطبق عليهم هذا الحكم. ومن أوصافهم ما جاء في قوله تعالى: { كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلاّ ولا ذمة، يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون. اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله، إنهم ساء ما كانوا يعملون. لا يرقبون

شروطها التي قد تتكرر بشروطها، مثل عدم الصلاة على جنازة المعروف بنفاقه في الآية التالية لهذه الآية.

(٤٣١) "لا يرقبو... إلا ولا ذمة "وردت في الآية الثامنة وفي العاشرة أيضا.

(٤٣٢)التوبة: ٤، ٧، ٢٨؛ البخاري: التفسير، وأذان من الله.

في مؤمن إلاّ ولا ذمة وأولئك هم المعتدون}([٤٣٣]) وقوله تعالى: {وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتـهون. ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة...}([٤٣٤]) وتؤكد الآية السادسة والثلاثون من السورة نفسها أن قتال المسلمين للكافرين ليس ابتداء، ولكن معاملة بالمثل وذلك في قوله تعالى: {وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة، واعلموا أن الله مع المتقين}.

ويلاحظ هنا التأكيد على أنهم يظهرون ما لا يبطنون، ويصدون عن سبيل الله، ويتعدون حدود الله، ويغدرون بالمؤمنين، ويطعنون في الدين، وهم الذين بدءوا بالاعتداء... و**لم يورد الله تعالى الكفر سببا مستقلا**.

ويلاحظ أن الآية تأمر بقتلهم وأخذهم وحصرهم وليس بـ "قتالهم".

٣ ـ تخيير أهل الكتاب بين الإسلام، أو المقاتلة أو دفع الجزية، وذلك في الآية التاسعة والعشرين من السورة نفسها، في قوله تعالى: { قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون}. ومع هذه الخيارات جاءت أوصافهم في قوله تعالى: { وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله، ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل، قاتلهم الله، أنى يؤفكون. اتخـذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاَ واحداَ، لا إله إلا هو، سبحانه عما يشركون. يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلاّ أن يتم نوره ولو كره الكافرون.}([٤٣٥]) وهنا نلاحظ مرة أخرى أن سبب المقاتلة والتقييد بالخيارات الثلاث ليس فساد عقيدتهم فحسب، ولكن لعملهم على إطفاء نور الله، مستخدمين في ذلك كل الوسائل عدوانا وظلما.

٤ ـ أمر بجهاد الكافرين والمنافقين في قوله تعالى: {يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم، ومأواهم جهنم وبئس المصير}. وجاء وصفهم في عدد من الآيات. ومن هذه الآيات وصف حقيقة المنافقين أعداء للإسلام متخفين في ثياب الإسلام؛ فهم يُصلُّون وينفقون في الظاهر ولكن ليحاربوا الإسلام في الخفاء. وذلك في قوله تعالى: { وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون}. وقوله تعالى: {لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون. ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني، ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين. إن تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون}.([٤٣٦]) ومن الأعراب أيضا منافقون، يقول سبحانه وتعالى عنهم: {الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله، والله عليم حكيم.

([٤٣٣]) التوبة: ٨-١٠.

([٤٣٤]) التوبة: ١٢-١٣.

([٤٣٥]) التوبة: ٣٠-٣٣.

([٤٣٦]) التوبة: ٤٨-٥٠؛ وانظر الآيات: ٧٤-٧٦، ٧٩، ٨٦-٨٧، ٩٦.

ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر، عليهم دائرة السوء، والله سميع عليم}.([٤٣٧])

ويلاحظ أن الحكم بالنسبة للمشركين الذين يعادون الإسلام جاء-في الأصل- **بقتلهم**، وأما بالنسبة لأهل الكتاب فجاء **بمقاتلتهم** (وجود احتمال الحياة والحرية مع دفع الجزية)، وأما بالنسبة للمنافقين والكافرين عموما فجاء الأمر **بجهادهم**. ومن الواضح أن الجهاد أكثر شمولية من المقاتلة لأنه قد يقتصر على الحرب الكلامية (الحرب الباردة) وقد يشتمل على التدابير الوقائية مثل استخدام الحد الأقصى من التسامح كما فعل الرسول، صلى الله عليه وسلم، مع عبد الله ابن أبي ابن سلول الذي أثار فتنة في وقت استراحة الجيش فلم يعاقبه، ولكن أمر بالرحيل لينشغل الناس بالمسير عن الحديث فيما قد يشعل نار الفتنة.([٤٣٨]) ويؤكد هذا المعنى آل محمود حيث يقول بأن الله سبحانه وتعالى أمر المؤمنين بالجهاد في السور المكية قبل أن يفرض القتال في قوله تعالى: {وجاهدهم به جهادا كبيرا}([٤٣٩]) أي بالقرآن الكريم. واستشهد بقول النبي صلى الله عليه وسلم: "المجاهد من جاهد نفسه" وبقوله عليه الصلاة والسلام أيضا "أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر." و"جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم."([٤٤٠]) وأما القتل فهو أكثر تحديدا من المقاتلة؛ فهو يعني إما الإسلام أو السيف. وهذه الأحكام سارية المفعول على كل من تنطبق عليه هذه الصفات إلى يوم الدين.

وهكذا فإن الآيتين لا تتعارضان مع أدلة القاعدة العامة. وهي أن الإسلام دين سلم وليس دين حرب، ولكنه يدعو إلى مواجهة العدو البادئ بالعداوة بالمثل ودون تهاون والعمل على ردعه، ودون اعتداء لقوله تعالى: {وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا}.([٤٤١])

خلاصة المقصود بالجهاد والقتال ؟

من الواضح أن جهاد الطلب في صورته الأصلية أو المرققة يتعارض مع المدلول الصحيح لكلمة "جاهد، يجاهد" فالمجاهدة هي رَدّة فعل لشيء يسبقه، ويتفاعل معه بصورة مستمرة، مثل قاوم يقاوم، وليس هاجم يهاجم ابتداء. وحتى إذا قلنا بأن القتال هو ردة فعل لرفض الطرف الآخر الاقتناع بما أدعوه إليه فإن هذا القول يتعارض مع العدالة الربانية والبشرية. ويكفي أن يضع الإنسان نفسه في مكان المدعو ليدرك خطأ هذا الفهم وخطره.

([٤٣٧]) التوبة: ٧٣، التوبة: ٩٧-٩٨، ٥٤. ولكن من الأعراب من هم أخيار وانظر الآية ٩٩.

([٤٣٨]) ابن هشام ج٣: ٨٢-٨٤. وانظر ابن القيم في تعريفه للجهاد حيث يشمل الحجة والبيان والتبليغ، وجهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الكفار وجهاد المنافقين.، زاد المعاد ج٣: ٥-١٢.

([٤٣٩]) الفرقان: ٥٢.

([٤٤٠]) آل محمود، مجموعة ج٢: ١٩-٢٠. والأحاديث كلها موجودة في مسند أحمد: الأول من رواية فضالة بن عبيد في مسند الأنصار، والثاني من رواية أبي سعيد الخدري، والثالث من رواية أنس وكلاهما في مسند المكثرين.

([٤٤١]) البقرة: ١٩٠؛ وانظر التوبة: ٣٦.

ويتعارض هذا الفهم مع العقل والفطرة، فعندما قال أحد قادة رجال الدين من غير المسلمين بأن الإسلام انتشر بالسيف، أي بمبادرة الكافرين بالقتال لكفرهم احتج علماء المسلمين ومسئولوهم وعامتهم على هذه التهمة بطريقة تلقائية. وإذا سألنا واضع الاختبار: هل تجيز للمراقب على الاختبار أن يرغم الطلاب على الإجابات الصحيحة؟ ستكون الإجابة الحتمية المنطقية: **لا**.

وفوق كل ذلك، فإن هذا الفهم للجهاد يتعارض مع النصوص القرآنية العديدة، الصريحة وقطعية الدلالة، مثل قوله تعالى: {لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ}، ولا محاسبة إلا بعد الممات وانتهاء فترة الاختبار.(٤٤٢) ويتعارض مع جميع الآيات العديدة الصريحة التي تؤكد أن مهمة الرسول تنحصر في البلاغ، مثل قوله تعالى: {فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ}.(٤٤٣) بل إن رب العالمين يعاتب نبيه على جزعه على عدم استجابة الكافرين لدعوته، فيقول تعالى، مخاطبا نبيه الكريم: {وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ}.(٤٤٤) وما جاء في هذه الآيات القرآنية لا تقبل النسخ لأنها حقائق مطلقة نتلقاها من الله علام الغيوب.

ويتعارض هذا الفهم مع نصوص السنة الكثيرة، ومنها ما رواه عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أنه قُدِم على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بسبي، فإذا امرأة من السبي تبتغي ولدها إذ وجدت صبيا في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا رسول الله: "أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار". قلنا: لا والله وهي تقدر على أن لا تطرحه. فقال رسول الله: "لله أرحم بعباده من هذه بولدها."(٤٤٥)

ويتعارض مع حرص النبي عليه الصلاة والسلام حتى على إسلام الأجيال البشرية التي لم تولد بعد. فعندما قال له مَلَكُ الْجِبَال:" يا محمد... إن شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عليهم الْأَخْشَبَيْنِ (الجبلين)، قال النبي صلى الله عليه وسلم: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ الله من أَصْلَابِهِمْ من يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شيئا".(٤٤٦)

فإذا كانت هذه هي رحمة الله بعباده وحرص نبيه على إسلام حتى الأجيال التي لم تولد بعد، هل يمكن أن يأمر الإسلام بقتال من لا يقبل الإسلام، ليعجل في موته، فيحرمه من فرصة الإسلام المتأخر؟ وبما أنه من المعلوم أن القوي هو الذي يقدر على فرض معتقداته وفلسفته على الآخرين، هل يمكن للحكيم العليم، أن يشرع قانونا دوليا يوفِّر المبررات الشرعية لتسلط الأقوياء على الضعفاء المسالمين لإرغامهم على معتقداتهم وفلسفاتهم؟

---

(٤٤٢) سورة البقرة: ٢٥٦، ١٦١.

(٤٤٣) سورة الشورى: ٤٨.

(٤٤٤) سورة يونس: ٩٩.

(٤٤٥) البخاري: الأدب، من ترك صبية؛ مسلم: سقوط الذنوب، سعة رحمة الله.

(٤٤٦) البخاري: بدء الخلق، إذا قال.

تمارين الفصل السابع:

١- اختر موضوع يتعلق بأنواع العلاقة البشرية، ومنها العلاقة عبر الأديان، وطريقة تفاعلها، واجمع الآيات ذات العلاقة. وقم بتفسيرها، معتمدا على معرفتك باللغة العربية، ومستعينا بمصادر التفسير الأخرى. واكتب بحثا متكاملا في الموضوع

٢ – اجمع الآيات التي ورد فيها مصطلحا الولاء والبراء، وقم بتفسيرها، معتمدا على لغتك العربية، ومستعينا بمصادر التفسير الأخرى. واكتب بحثا متكاملا في الموضوع.

٣ - اختر أي موضوع في طبيعة العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين من الناحية الشرعية، واجمع الآيات المتعلقة بالموضوع، وقم بتفسيرها، معتمدا على معرفتك باللغة العربية، ومستعينا بمصادر التفسير الأخرى. واكتب بحثا متكاملا في الموضوع.

الفصل الثامن

أساليب الإقناع في القرآن الكريم

ليس هناك خلاف في كون الإقناع يعتمد على عدد من العوامل مثل الصفات الإيجابية والسلبية للقائم بالاتصال والوسيلة التي تنقل الرسالة (المصدر الثانوي) والجمهور المستقبل، والرسالة. ولكن الرسالة هي الأداة الرئيسـة التي يعتمد عليها في إحداث أثر في آراء الآخرين ومشاعرهم وسلوكهم.(٤٤٧)

ولعل من أهم عناصر الرسالة الإقناعية بعد المضمون هو الأسلوب الذي يعالج به المضمون ويُقدّم به. ولا فرق في ذلك بين أن تكون عملية الاتصال الإقناعية هي للدعوة أو الدعاية أو الإعلان، أو لتأسيس علاقات طيبة.

والقرآن الكريم من أغنى المصادر بمثل هذه الأساليب التي ينبغي أن يتعرف عليها الإعلامي المتخصص في الرسائل الإقناعية.

وهناك جهود كثيرة قام بها علماء الإسلام عبر العصور المختلفة للكشف عن أساليب الإقناع في القرآن الكريم. ولعل من أقدمها هي الجهود المتفرقة التي تضمنتها كتب التفسير. ثم تليها الجهود التي خصصت مؤلفات مستقلة، تعتني بعلوم القرآن الكريم وفنونه، أو التي خصصت مؤلفا بأكمله لموضوع الإقناع في القرآن الكريم.

وكان من أقدم تلك الجهود البارزة ما وضعه ابن الحنبلي المولود في منتصف القرن السادس(٤٤٨). وقد جعل المؤلف كتابه في قسمين رئيسيين: قسم صنفه حسب موضوعات الجدل، وقسم آخر حسب أشكال الجدل. وتضمن الجزء الثاني من أنواع الجدل: سؤال المنع، والنقض، والقول بالموجب، والمعارضة، والترجيح، والمفهوم، و ذم التقليد والمقلدين، والتجوز، والمباكتة والتشنيع، والتخصيص بالذكر لا يدل على الاختصاص في الحكم.

وأضاف السيوطي(٤٤٩) إلى هذه الانواع عددا آخر مستندا إلى أقيسة المنطق، فكان منها: قياس الإعادة على الابتداء وعلى ماهو أعظم منه وقياس المنع. كما أورد من أشكال الجدل عند الأصوليين السبر والتقسيم، والتسليم، والأسجال، والانتقال، والمناقضة، ومجاراة الخصم.

واستفاد الألمعي من نوعين مما أورده بن الحنبلي وكل ما أورده السيوطي ثم أضاف إليه عددا آخر من أشكال الجدل. وكانت إضافته تتمثل فيما يلي:

الأقيسة الإضمارية، والقصص القرآني، ومطالبة الخصم بتصحيح دعواه، والاستدلال على الخصم بإظهار مكابرته، وإبطال دعوى الخصم بإثبات النقيض، والاستدلال بوجود الأثر على وجود المؤثر، وبيان أن حجة الخصم هي ضده، وإلزام الخصم بالمشاهد المحسوس، وأن قول الخصم مما ينكره هو بنفسه.(٤٥٠)

---

٤٤٧) Andersen, p. 137.

٤٤٨) ابن الحنبلي.

٤٤٩) جلال الدين السيوطي، ص 135-136.

٤٥٠) الألمعي، مناهج. ص 67-85.

ويلاحظ على الجهود المتصلة بموضوع الدراسة أنها قد اقتصرت على الأساليب العقلية التي تخاطب العقل أكثر من مخاطبتها للعاطفة، هذا مع أن الأساليب العاطفية ذات أهمية.([٤٥١]) ويؤكد عرجون([٤٥٢]) وجود مثل هذه الأساليب في القرآن متمثلة في الترغيب والترهيب والوعد والوعيد، كما يؤكد الألمعي هذه الحقيقة بقوله ان "القرآن الكريم في جداله يخاطب العقل والوجدان".([٤٥٣])

وفي معرض الحديث عن الأخبار في سورة الأنعام أشار الشنقيطي إلى عشرة من الأساليب وضرب لها أمثلة كان منها اثنتان تقعان ضمن الأسلوب العاطفي. تتضمن إحداهما استعطافا والأخرى تهديدا.([٤٥٤])

ولعل السبب في التركيز على الأدلة العقلية يعود إلى تقدم علم المنطق وعلم الأصول اللذين مهدا لمثل هذا النوع من الدراسات. ولعلنا نجد في بعض الدراسات التي عنيت بالبحث في الأشكال الاتصالية بين البشر قاعدة نرتكز عليها في تناول الأساليب العاطفية، ولا سيما التجريبية منها.

لقد قام المعنيون بالرسائل الإقناعية بدراسات كثيرة شملت أساليب الإقناع بأنواعها المختلفة. وكان منها الدراسات التي تميل إلى التفسير العاطفي والوظيفي لطريقة تعامل الجمهور مع الرسالة. وتقول النظريات العاطفية أن الإنسان يتعامل مع المضمونات التي يستقبلها بالطريقة التي تحقق له الاستقرار النفسي. أما النظريات الوظيفية فتشير إلى أن الإنسان يتجاوب مع ما يستقبله من معلومات بالطريقة التي تتفق مع احتياجاته ومصالحه الشخصية.[٤٥٥]()

ويلاحظ أن النظرية الأخيرة في حقيقتها تتصل بالمضمون في الدرجة الأولى؛ ولا تتصل بالأسلوب إلا من حيث قدرة الأسلوب في إبراز تلك المصلحة. وهي في هذه الحالة تندرج تحت الأساليب العاطفية، غالبا.

ويؤكد "لارسون" Larson([٤٥٦]) أنه مما يقرب مصدر المعلومات إلى المستقبل هو أن يوحي الأسلوب بأن المصدر يشترك مع المستقبل في كثير من الصفات، أو يشاركه بعض آرائه ومواقفه.([٤٥٧]) كما وجدت دراسة أخرى أن من الاحتياجات الأساسية للإنسان: حب التملك، والحاجة إلى الحب، والشعور بالأمن والأمان.([٤٥٨]) فهو يميل إلى التأثر بالرسالة التي تحقق له ذلك أو تؤمله فيها. كما أن التهديد قد يدفعه إلى الاقتناع عمليا وذهنيا.([٤٥٩]) بيد أنه من حيث درجة التهديد وأثره فان الدراسات التجريبية لم تحل المسألة بعد. فهناك من يقول بأن درجة الخوف

---

[٤٥١]) Anderson op. cit pp. 103-58.

[٤٥٢]) عرجون، ص 283-289.

[٤٥٣]) الألمعي، مناهج ص 422.

[٤٥٤]) الشنقيطي، وظيفة الأخبار، ص 71-73.

[٤٥٥]) Tan, pp 167-168

[٤٥٦]) Larson, p. 101

[٤٥٧]) Zimbardo p 20.

[٤٥٨]) Maslow.

[٤٥٩]) McGuire, p. 213.

العالية تجعل الشخص أكثر طواعية وهناك من يقول بأن الدرجة المتوسطة أكثر فعالية.

ووجد "باكارد" Packard([٤٦٠]) أيضا أن من الاحتياجات البشرية تقدير الآخرين له، وإعجابهم به، وحيازة نوع من السلطة، والشعور بأن له جذور ينتمي اليها.

ويبدوا واضحا من هذه الدراسات أن أساليب الإقناع لا تقتصر على الأساليب العقلية، بل تشمل الأساليب العاطفية. وعند الحديث عن أساليب الإقناع في القرآن الكريم لابد من مراعاة هذه الحقيقة لنخرج بصورة أكثر شمولية.

مشكلة الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى التأكد من تنوع الأساليب الإقناعية في القرآن الكريم، والى القاء نظرة شاملة على هذه الأساليب.

وليس من الأهداف الرئيسة لهذه الدراسة متابعة الأشكال الجدلية في الجهود السابقة لا من حيث الإضافة إليها أو من حيث نقدها لبيان تداخلاتها، أو تعدد مسميات النوع الواحد منها.

كما أنه ليس من أهداف هذه الدراسة حصر جميع الأساليب التي وردت في القرآن الكريم.

منهج الدراسة:

تنحصر السمات العامة لهذه الدراسة في النقاط التالية:

1 - الاقتصار على نموذج واحد من هذه الأساليب أو عدد محدود.

2 - الاستفادة من التصنيفات التي توحي بها الدراسات السابقة مجتمعة، ومنها الدراسات المقننة التجريبية.

3 - الإشارة إلى أوجه الاتفاق بين التصنيفات السابقة المتصلة بالقرآن، متى كان ذلك مناسبا. وقد يستفيد الباحث من تلك الدراسات، إما بتسمياتها القديمة او بتسميات جديدة. كما أن الباحث سيعمل على تبسيط عناوين التصنيفات إما عند تسميتها أو بشرحها إن تعذر الأول.

4 - نظرا للإتقان الذي ينفرد به القرآن الكريم في استخدامه للأساليب المختلفة فان القارئ سيلاحظ أن العبارة القصيرة الواحدة في القرآن قد تتضمن أكثر من أسلوب ممزوج بإتقان لا يبارى، بحيث يندرج المثال الواحد تحت أكثر من أسلوب.

5 - ويلاحظ أن هذه الأساليب إما أنها وردت في صيغة أمر محدد أو ورد استعمالها في القرآن أو ورد ذكرها في القرآن، رواية.

6 - تجدر الإشارة هنا إلى أن ما ورد في هذا البحث لا يشمل الأساليب الإقناعية التي وردت في القرآن كلها. وليست هذه المحاولة هي الأولى للكشف عن الأسلوب الإقناعي في القرآن وليست هي الأخيرة. بيد أنها محاولة متواضعة للربط

---

[٤٦٠] Packard.

بين جهود علماء المسلمين الأولين لكشف النقاب عن أساليب الإقناع في القرآن الكريم وبين الجهود العلمية الحديثة في دراسة أساليب الإقناع بصفة عامة.

7 - لعله لا يغيب عن بال اللبيب أن أي دراسة أو محاولة للكشف عن عظمة القرآن الكريم من حيث المعاني التي تضمنها، أو الأساليب التي وردت فيه، أو ورد ذكرها فيه إنما هي جهود بشرية اجتهادية. فان كانت هذه الجهود قاصرة فذلك طبيعي، ولن يؤثر ذلك على كمال القرآن الكريم، كلام رب العالمين.

نتيجة الدراسة:

عند استعراض الأساليب القرآنية وجد الباحث أن أساليب الإقناع في القرآن يمكن تقسيمها إلى الأساليب العقلية والعاطفية، ولكن أيضا يمكن تقسيم كل واحدة من هذه إلى قسمين: قولية، وعملية. إضافة إلى ذلك وجد أن هناك أساليب عقلية أو عاطفية ولكن تعتمد على قدرات ربانية متفردة، فجعلها في صنف ثالث.

وبهذا سيتم تقسيم النماذج القرآنية إلى الأصناف الرئيسة التالية: الأساليب العقلية، والعاطفية، والفريدة.

الأساليب العقلية:

المقصود بالأساليب العقلية هي تلك الأساليب التي يغلب عليها مخاطبة عقل الإنسان وهي تنقسم إلى قسمين: أساسيين: القولية والعملية.

العقلية القولية:

ومن نماذجها ما يلي:

1 - الفطرة السليمة: عندما يستند البرهان إلى الفطرة السليمة البسيطة بحيث يفهمها كل المستويات العقلية فان البرهان يأتي قويا ويتسم بالديمومة. وأغلب أدلة إثبات وحدانية الله من هذا القبيل. ومن أمثلة ذلك قول الله تعالى: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ}[٤٦١] وقوله تعالى:{مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ}. [٤٦٢]

ويقول عز وجل عن لسان حال إبراهيم: { إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (٤٢.)}[٤٦٣] وهو أسلوب رقيق يمتزج فيه الأسلوب العقلي مع العاطفي الذي يليق بين الابن وأبيه.

ولكن عندما يكون الأمر بينه وبين النمرود المتكبر فان الله تعالى يروي لنا القصة كما يلي: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي

---

[٤٦١]) الأنبياء: 22.
[٤٦٢]) المؤمنون: 91.
[٤٦٣]) مريم: 42.

بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}.([٤٦٤])

2 - الاستنتاج القياسي: هذا النوع نجده كثيرا في القران الكريم ويستند إلى مقدمة أو مسلمة تقود إلى نتيجة حتمية. فالمنطق هنا يقول: ان الذي استطاع عمل ما هو أصعب لا يعجزه عمل ما هو أسهل فيستدل بالعام على الخاص. ومثاله الاجابة على المتشكك في يوم البعث إذ يقول تعالى:{وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ. قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيم. الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ. أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ.}.([٤٦٥])

وقوله تعالى: { وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}.([٤٦٦])

ولإ ثبات أن خلق المسيح بدون أب لم يجعله أهلا لأن يعبد ولم يعبد آدم الذي لم يكن له أب ولا أم يقول تعالى: { إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}.([٤٦٧])

3 - الاستنتاج الاستقرائي: في هذا الأسلوب تشير فيه مجموعة من الحقائق الجزئية الواقعية تلقائيا إلى حقيقة عامة. وفي النموذج التالي نجد حقيقة وجود الله وخلقه لهذا الكون صارخة في قوله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ. فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ. وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}.([٤٦٨])

4 - التشبيه: يهدف هذا الأسلوب إلى تجسيد الأشياء المعنوية حتى تظهر حقيقتها وتتضح خطورتها وهو أسلوب يتكرر كثيرا في القرآن الكريم.

والتشبيه قد يكون بأشياء واقعية موجودة وقد يكون بأحداث واقعية، وقد يكون بأحداث افتراضية.

ومن أمثلة الأشياء الواقعية ممزوجة بالمقارنة بين الضدين قوله تعالى: {أم تر كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ. تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ. وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ}.([٤٦٩])

---

[٤٦٤]) البقـرة: 258.

[٤٦٥]) يسن: 78-81.

[٤٦٦]) الــروم: 27.

[٤٦٧]) آل عمران: 59.

[٤٦٨]) الأنـعـام: 95-99.

[٤٦٩]) ابراهيم: 24-26.

ومن أمثلة الأحداث الواقعية قوله تعالى: {كالتي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}.(٤٧٠) وكذلك قوله تعالى: { لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ}.(٤٧١) وقوله تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ}.(٤٧٢)

وفي بعض الظروف تكون الأمثلة الافتراضية أنسب من غيرها للإقناع وتجعل الصورة أكثر وضوحا والفروق أكثر جلاء كما نلاحظ في المثال الآتي في قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ}.(٤٧٣)

5 - تقديم وجهتي النظر: قد لا يسمح الوقت دائما باللجوء إلى تقديم وجهتي النظر المتضاربتين لتتضح الحقيقة ويظهر الراجح من المرجوح عليه كما يسميه ابن الحنبلي.(٤٧٤) ولكن هذا الأسلوب المنطقي قد أثبت فعاليته بين من يعتزون بقدرتهم على التفكير المنصف ونضجهم العقلي.(٤٧٥) ومن النماذج القرآنية لهذا الأسلوب في القرآن الكريم قوله تعالى عن الخمر والميسر والعلة في تحريمها: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا...}(٤٧٦)، وقوله تعالى:{ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا}.(٤٧٧)

6 - المقدمات التاريخية: وترتبط هذه المقدمات بجوهر الرسالة، إذ تمتلئ قصصها بالمدلولات التي تجعل الرسالة تنزل هينة على قلب المستقبل لها. ومن الأمثلة القرآنية على ذلك سورة العنكبوت حيث تبدأ الرسالة الإقناعية بالحديث عن قصة قوم نوح وإبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب وشعيب وصالح وموسى وهارون. ثم نجد الآية إحدى وأربعين تقرر أنه بدون الإيمان بوحدانية الله تعالى لا فلاح إذ يقول تعالى : { مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١)}.(٤٧٨)

---

٤٧٠) النحل: 91-92.
٤٧١) الرعد: 14.
٤٧٢) ابراهيم: 18.
٤٧٣) الحج: 73.
٤٧٤) ابن الحنبلي ص 120.
٤٧٥) Hovland
٤٧٦) البـقرة: 219.
٤٧٧) النساء: 104.
٤٧٨) العنكبوت: 41.

7 - التساؤلات: وقد أورد السيوطي([٤٧٩]) نماذج لها تحت عنوان قياس الإعادة على الابتداء وأورد الألمعي أمثلة لها بعنوان استفهام تقريري.([٤٨٠]) في هذا الأسلوب تتتابع الأدلة والأسئلة التقريرية لتشير تلقائيا إلى نتيجة محددة. ولعل أبرز مثال لهذا الأسلوب نجده في سورة الرحمن حيث تبدأ بقوله تعالى: { الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤) الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (٥) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (٦) وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (٧) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (٨) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (٩) وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ (١٠) فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ (١١) وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ (١٢) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٣).}

وتستمر السورة تعدد آلاء الله (عظائم خلقه) ويتكرر السؤال التقريري احدى وثلاثين مرة. ثم تنتهي السورة بنتيجة حتمية هي أن الخالق الذي يستحق الحمد والإجلال هو الله: { تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٧٨) }.([٤٨١])

وقد يستوجب بعض الخصوم شيئا من الشدة فتأتي الأسئلة التقريعية لتبين لهم حقيقة أنفسهم ومثال ذلك قوله تعالى: { أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ (٣٠) قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ (٣١) أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٣٢) أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٣) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (٣٤) أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥.}

وتستمر الآيات على هذا النسق ويأتي السؤال أخيرا ليقرر وحدانية الله تعالى: { أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٣.}([٤٨٢])

8 - موقع الدليل: البرهان قد يأتي في المقدمة أو المؤخرة أو في الوسط ولكل وضع من الأوضاع ميزة. وجميع هذه الأوضاع مستعملة في القرآن الكريم ولكن في الغالب يعتمد تقدير الوضع على أين يبدأ القارئ في القراءة وأين ينتهي.

ولو اعتبرنا وصف ما يحدث في اليوم الآخر كبرهان نجد أن الرسالة تأتي في النهاية في قوله تعالى: { وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ. قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ. وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ. وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ. فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ. فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ. وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ. وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ. وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآَخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}.([٤٨٣])

---

[٤٧٩]) السيوطي، مرجع سابق ص 135.

[٤٨٠]) الالمعي، مرجع سابق ص 69.

[٤٨١]) الرحمن: 1-78.

[٤٨٢]) الطــور: 30-43.

[٤٨٣]) القصـص: 62-70.

وفي هذه الآية نجد البرهان يأتي بعد الرسالة المقصودة وهي وحدانية الله وتفرده بالعلو والعظمة. يقول تعالى: { اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ}.([٤٨٤])

وفي آية أخرى نجد جوهر الرسالة وهو أن الله هو المتصرف في الكون يأتي بين برهانين. يقول تعالى:{ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}.([٤٨٥])

9 - التسليم الافتراضي: هنا يُظهر صاحب الحق لصاحب الباطل أنه على استعداد لأن يفترض بأن دعواه متساوية مع دعوى الخصم من حيث احتمال الخطأ والصواب، فلعل الخصم ينظر نظرة جادة ومدققة بعيدا عن التحيزات الشخصية تجاه الموضوع.

و قد يأتي هذا التسليم الافتراضي في صيغة رقيقة، ومثال ذلك في قوله تعالى: { وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ}.([٤٨٦])

وقوله تعالى على لسان أحد الأنبياء: { قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ}. ويعلق عليه ابن الحنبلي "ولا هداية لآبائهم وإنما ذكر ذلك توطئة لاستماعهم وتلطفا في الدعاية إلى هدايته".([٤٨٧])

وقد يأخذ هذا الأسلوب صيغة التحدي اللين ومثال ذلك في قوله تعالى مرشدا نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}.([٤٨٨])

وقد يأخذ هذا التسليم الافتراضي صيغة التحدي السافر لإنهاء نقاش عقيم لا فائدة فيه مع خصم مراوغ عنيد ولكن ليؤثر على آخرين. ومثال ذلك قوله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم:{فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ}.([٤٨٩])

العقلية العملية:

إن الأسلوب العقلي لا يقتصر على الأسلوب القولي كما رأينا في المثال السابق. فقد يأتي في صيغة عملية. ومن أمثلة ذلك:

---

[٤٨٤]) البقـرة: 255.

[٤٨٥]) الأنعـام: 12.

[٤٨٦]) غـافر: 28.

[٤٨٧]) الزخرف: 24؛ ابن الحنبلي، 125.

[٤٨٨]) سبا: 24.

[٤٨٩]) آل عمران: 61.

1 - دليل مفحم: في الآية التالية يأخذ الحوار بين نبي الله إبراهيم عليه السلام وقومه صبغة عملية ليثبت بأن الآلهة التي يعبدونها لا تملك الدفاع حتى عن نفسها: { وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ. فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ. قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ. قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ. قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ. قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ. قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ. فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ. ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ}.([٤٩٠])

2 - العقد والحل: طريقة الحل التدريجي للمشكلة هي واحدة من الأساليب العقلية وقد يسميه علماء الأصول بالسبر والتقسيم حيث تكون هناك مشكلة وتكون هناك احتمالات متعددة لحلها. فيتم اختبار كل احتمال على حدة حتى يتم التوصل إلى الاحتمال المرجح. ولعل أبرز مثال لهذا الأسلوب العملي هو قصة إبراهيم عليه السلام وهو يتظاهر بالبحث أو يبحث عن ربه إذ يقول تعالى: {فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ. فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ. فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ. إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}.([٤٩١])

3 - تحدي ثقافي: وعندما يكون الخصم ممن يعتز بميزة ثقافية معينة فالدليل يأتي في صيغة تحدي ثقافي ونجد هذا واضحا في تحدي قريش بالإتيان بمثل القرآن ولو بسورة مثله، إذ يقول تعالى: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}.([٤٩٢])

الأساليب العاطفية:

ويتسم هذا الأسلوب بأنه يخاطب المشاعر والوجدان أكثر مما يخاطب العقل. ويتمثل في الثناء والإنكار، والخوف والأمل، والعقوبة والمكافأة. ولعل من المناسب هنا التقديم لهذا الأسلوب بما قاله المودودي عن الدوافع التي تجعل المسلم يقوم بتطبيق أوامر الله.

يقول المودودي ([٤٩٣]): "نظرا لأن التشريعات الإسلامية هي قوانين إلهية فإنها تفرض نفسها للتطبيق، دون الاعتماد كلية على المراقبة الخارجية فالمؤمن يجد سعادة في إرضاء الله...لهذا فان الدافع الذي يقود المؤمن إلى تطبيق القواعد الأخلاقية هو شعوره بالواجب وحبه للحق وبغضه للباطل ابتغاء مرضاة الله."

---

[٤٩٠]) الأنبياء: 57-65.

[٤٩١]) الأنعام: 76-79.

[٤٩٢]) يونس: 38.

[٤٩٣]) al Mauduudii, pp. 30-31.

وفي كتاب آخر(٤٩٤) يوضح المودودي .المعنى المقصود برضى الله فيقول ان رضا الله يتمثل في اجتياز الامتحان العسير يوم القيامة، وفي السعادة في هذه الدنيا والسعادة في الدار الآخرة خاصة وفي النجاة من العقاب الأبدي.

وما ينطبق على المسلم من حيث أثر الدوافع النفسية، المتمثلة في إشباع الحاجات الشخصية أو الحرمان منها، والرغبة في المكافأة والرهبة من العقوبة ينطبق على بني البشر جميعا. فكل إنسان لديه ما يكرهه ولديه ما يحبه؛ وعنده ما يعتبره مكافأة وعنده ما يعتبره عقوبة.

ويمكن تقسيم هذه الأساليب إلى نوعين أيضا: قولية وعملية.

العاطفية القولية:

ومن نماذجها ما يلي:

1 - المديح: وهي مكافأة يستحقها الإنسان لعمل يقوم به أو لالتزام يوفي بشروطه. وكثيرا ما يأخذ الثناء في القرآن الكريم صيغة النعت العام بالمرغوب فيه مثل: هم مسلمون، المتقين، لقوم يعلمون، قوم عابدين، قوم يعقلون، قوم يتفكرون، قوم يذكرون، لقوم يؤمنون.(٤٩٥)

كما يأتي الثناء أحيانا محددا للصفة الممدوحة كقوله تعالى: {... فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ}، وقوله تعالى:{ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}.(٤٩٦)

2 - التقريع: وقد يأتي في صيغة النعت العام الممقوت مثل: كانوا ظالمين، مفسدين، الكافرون، الخاسرون، قوما مجرمين، قوما فاسقين، المقبوحين، قوما طاغين، القوم الظالمين.(٤٩٧)

كما يأتي التقريع بصيغة محددة مثل قوله تعالى: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ}.(٤٩٨)

3 - الوعد: ويأتي الوعد في القرآن الكريم عادة في صيغتين: عام يشمل الدنيا والآخرة، أو خاص بالحياة في الدار الآخرة. ومثال الصيغة الأولى قوله تعالى: {ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب.}(٤٩٩)

ومثال الصيغة الثانية قوله تعالى : {وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا. مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا. وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ

---

٤٩٤) المودودي ، تذكرة ص 31-33 .

٤٩٥) النمل: 81؛ المرسلات: 41 ؛ فصلت: 3 ؛ الأنبياء: 106؛ العنكبوت: 35 ؛ الزمر: 42؛ النحل:١٣- 79.

٤٩٦) التوبة: 108؛ الحشر: 9.

٤٩٧) النمل: 43؛ يونس: 75 ؛ الزخرف: 54 ؛ القصص: 42؛ الصافات: 30؛ الأعراف: 47.

٤٩٨) التوبة: 107.

٤٩٩) النور: 38.

قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا. وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآَنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ. قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا. وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا. عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا. وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا. وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا. عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا. إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا}.(٥٠٠)

4 - الوعيد: يكاد التهديد في القرآن الكريم يتعادل -من حيث الكم- مع الوعود ويأتي أيضا في صيغتين :الوعيد العام الذي يشمل الحياة الدنيا والآخرة، والوعيد الذي ينحصر في العقاب في الدار الآخرة.

ومثال الوعيد العام نجده في قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ}.(٥٠١)

أما المثال الخاص بالآخرة فنجده في قوله تعالى: { الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ}.(٥٠٢)

والعقاب في الآية التالية أكثر تحديدا وتفصيلا { هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ. يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ. وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ. كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ}.(٥٠٣)

5 - الوعد والوعيد معا: ولعل اللجوء إلى الوعد والوعيد معا من أكثر الأساليب العاطفية فعالية، إذ يكون التخويف مع ترك باب الأمل مفتوحا. وهذا الأسلوب يظهر في القرآن الكريم حتى في العبارة القصيرة مثل قوله تعالى : { إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ}، وقوله تعالى: { وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ.} و{ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ}.(٥٠٤)

6 - الاستعطاف واللين: والأساليب العاطفية لا تقتصر على المدح والتقريع أو الوعد والوعيد. فمثلا الدعوة باللين واحدة من تلك الأساليب التي يأمرنا الله بها: { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}.(٥٠٥)

---

٥٠٠) الانسان: 12-22.

٥٠١) البقرة: 278-279.

٥٠٢) البقرة: 275-276.

٥٠٣) الحج: 19-22.

٥٠٤) الأنعام: 165؛ الرعد:6، الدخان: 42 ؛سورة الحجر: ٤٩-٥٠.

٥٠٥) النحل: 125.

ومن قبيل الدعوة بالأسلوب العاطفي اللين ما نراه من استعطاف نبي الله صالح لقومه ثمود إذ يقول تعالى: {قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآَتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ}.([٥٠٦])

ومن قبيل الاستعطاف المقرون بالمقابلة بين النقيضين قول الله تعالى على لسان مؤمن آل فرعون: { وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ.([٥٠٧])

ومن قبيل اللين أيضا عدم استثارة الخصم بحيث ينتقل من الإنصات إلى التحدي إذ يأمرنا الله عز وجل: { وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}.([٥٠٨])

7 - التذكير بالفضل: قد ينكر الإنسان فضل الآخرين عليه ولكن الإحسان عموما يترك بصمات واضحة في النفس الإنسانية. ويحسن تذكير مستقبل الرسالة بها عند محاولة التأثير عليه بالصيغة المناسبة، والظروف المناسبة. والقرآن الكريم يزخر بالأمثلة على استثمار هذه الحقيقة. ومثال ذلك قوله تعالى: { وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآَوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}.([٥٠٩])

العاطفية العملية:

كثير من الناس يكون غارقا في اتجاه معين، لا يحس بالرسالة التي يبثها اليه المصدر أو القائم بالاتصال إلا إذا تم عرض الرسالة بطريقة عنيفة فلعله ينتبه. وقد ورد هذا الأسلوب في القرآن أو إشارات إليها في صور عديدة. ومن أمثلة ذلك:

1 - تجربة مريرة: يضرب الله لنا مثلا بالرجلين الذين جعل الله لأحدهما جنتين فظن أنها دائمة، ونسي أنها نعمة من الخالق، يستطيع أن يحرمه إياها متى شاء. فيقول في عنفوان كبريائه: وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا. وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا}. ولكن جاءه الدرس الذي نبهه من غفوته: {وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا}.([٥١٠])

2 - تجارب متعددة: ان سورة يوسف حافلة بالأساليب العاطفية العملية. فالقرآن الكريم يروي لنا قصة النبي يوسف عليه السلام واخوته: {إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ. اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ}.([٥١١])

---

[٥٠٦]) هود: 63.
[٥٠٧]) غافر: 41.
[٥٠٨]) الأنعام: 108.
[٥٠٩]) الأنفال: 26.
[٥١٠]) الكهف: 32-44.
[٥١١]) يوسف: 8-9.

ويتآمر الاخوة على التخلص من أخيهم فيلقوه في بئر، وتأبى عناية الله إلا فساد ما خططوا له فتنقذه قافلة من القوافل المسافرة إلى مصر. فيباع فيها وتتم تربيته في بيت مسؤول كبير، ويمر بتجارب عديدة تنتهي به إلى أن يحتل منصبا كبيرا. ثم يحتاج اخوته إليه فيعمل على الحصول على شقيقه؛ ويكون له ذلك. فيذكرهم يوسف بما فعلوه معه وأخيه فيعرفوه ويروي لنا القرآن حين: {قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ. قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ}.(٥١٢)

فهذه تجربة ليوسف عليه السلام انتهت بنواله مكافأة صبره وتقواه. وهي أيضا تجربة لاخوة يوسف انتهت بإدراكهم للخطأ الذي وقعوا فيه واعترفوا بذلك توبة منهم.

الأساليب الفريدة:

يبدو أن معظم الأساليب التي تم استعراضها فيما تقدم تقع في نطاق القدرات البشرية مع أن درجة الإتقان تتفاوت بين البشر- وحتما- لا تصل إلى المستوى القرآني. ولكن نظرا لقدرة الله عز وجل التي تفرد بها فان بعض الأساليب وما يسندها من خوارق تقع خارج نطاق القدرة البشرية أو ليس في إمكان الإنسان الإتيان بمثلها. ومن ذلك العلم اليقيني بالماضي والحاضر والمستقبل، والمعجزات.

ويلاحظ أن الأساليب الفريدة كلها أساليب عملية، وليست قولية. وهي تنقسم إلى نوعين: نوع يندرج تحت الأسلوب العقلي لأنه يخاطب العقل أكثر، ونوع يندرج تحت الأسلوب العاطفي لأنه يخاطب العاطفة أكثر.

أساليب فريدة عقلية:

ومن الأمثلة على هذه الأساليب ما يلي:

1 - العلم اليقيني بالماضي: وهنا يبرز العلم الإلهي المتميز، حيث لا يقيده قيد الزمان أو قيد المكان أو الوسائل المحدودة للمعرفة. فكل شيء في علم الله حاضر.

وهو بخلاف العلم البشري المحدود بقيد الزمان والمكان والوسائل المحدودة للمعرفة. فالإنسان لا يدرك إدراك يقين إلا جزءا يسيرا من حاضره، أما أحداث الماضي فهي صور باهتة، وأما أحداث المستقبل والأحداث المحتملة فلا يزال في عالم المجهول.

ومثال ذلك العلم اليقيني بالماضي ما ورد من تعليق على الجدل بين اليهود والنصارى حول ما إذا كان إبراهيم عليه السلام يهوديا أو نصرانيا. فاليهود يدعون بأن التوراة والزبور هما وحدهما يمثلان دين الله، وينكرون ما جاء به عيسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم فيقول عز وجل: { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ. هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ. مَا كَانَ

---

(٥١٢) يوسف: 90-91.

إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ}.(٥١٣)

ومثال ذلك عندما يشير الله عز وجل إلى حقيقة لايعرفها معرفة يقين الا العلماء من اليهود فيقول: {كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}.(٥١٤)

2 ـ كشف النقاب عن الحقائق الكونية: ان البشرية، منذ أن أوجدها الله على الأرض وهي تعمل لكشف النقاب عن القوانين الطبيعية، وأسرار هذا الكون. ولا تزال هناك أشياء كثيرة مجهولة، وأشياء لم يتم اكتشافها إلا في القرن الماضي. ولكن الله كشف النقاب عن بعضها، منذ أربعة عشر قرنا في القرآن الكريم.

ومثال ذلك ما ورد في قوله تعالى: { وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ. ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آَخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ}.(٥١٥) وذلك لتكون هذه الحقيقة عبرة للبشرية عبر القرون، فلعلهم يؤمنون برسالة خاتم النبيين.

3 ـ العلم اليقيني بالمستقبل: والأسلوب القرآني في اللجوء إلى كشف المجهول كوسيلة إقناعية لم يتوقف عند كشف الأسرار الكونية الموجودة بل يتعداه إلى كشف ما سيحدث مستقبلا ويكون مستبعد الحدوث حسب المنطق البشري. لقد أخبر الله المؤمنين بانتصار الروم على الفرس في وقت كان ذلك يبدوا في حكم المستحيل. فالإمبراطورية الرومانية كانت على حافة السقوط كلية على يد الفرس. لكن الله سبحانه وتعالى بكل شيء عليم وهكذا جاء نبأ الانتصار غير المتوقع في قوله تعالى : {الم. غُلِبَتِ الرُّومُ. فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ. فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ}.(٥١٦)

4 ـ تزويد الأنبياء بإمكانات استثنائية: قد يلجأ بعض البشر إلى بعض الخدع والسحر ليضلوا الناس ولكن فوق كل ذي علم عليم. والله القاهر فوق عباده، وقادر على ابطال السحر بما هو أقوى، بكن فيكون. ومن ذلك قصة موسى مع السحرة. يقول تعالى : { قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى. قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى. فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى. قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى. وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى. فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آَمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى}.(٥١٧).

قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ. قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ. وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ

---

٥١٣) آل عمران: 65-68.
٥١٤) آل عمران: 93.
٥١٥) المؤمنون: 12-14.
٥١٦) الـروم: 1-4.
٥١٧) طـه: 65-70.

عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ. فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ. وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ. قَالُوا آَمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ. رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (٥١٨)

وكذلك الحال بالنسبة لقصة المعجزات المتتالية لموسى عليه السلام إذ يقول تعالى: {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آَيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ}.(٥١٩)

5 - من الأساليب التي أثبتت نجاحها هي كسب الجمهور بتقديم خدمات هم في حاجة شديدة إليها. وقد زود الله نبيه عيسى عليه السلام بمعجزات كثيرة منها القدرة على تقديم هذه الخدمات. يقول تعالى: {إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ. وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ. قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ. وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ. وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآَيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآَيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ}. ثم يأتي الهدف من كل هذه المعجزات صريحا في قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ}.(٥٢٠)

أساليب فريدة عاطفية:

١ - العلم اليقيني للأسرار: كثير من الأحداث نعاصرها ولا نعلم عنها شيئا، خاصة إذا كانت هناك محاولات لإخفائها وكتمانها ولكن لاشيء يخفى على الله. وكان المنافقون على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي كل العصور يظهرون غير الذي يبطنون فيكشف الله أسرارهم كأسلوب إقناعي كان سببا في إيمان البعض وتثبيت إيمان البعض.

ومثال ذلك قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ. يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ. فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ. وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ. أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ. وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آَمِنُوا كَمَا آَمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آَمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ. وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آَمَنُوا قَالُوا آَمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ}.(٥٢١)

---

٥١٨) الأعراف:١١٥- ١٢٢.

٥١٩) الأعـراف: 133.

٥٢٠) آل عمران: 45- 51.

٥٢١) البقـرة: 8-14.

٢ - الحياة في الآخرة: ومن الغيب الذي يكشفه الله ليزداد المؤمن إيمانا وليبدأ الكافر في التفكير الجدي ما سيحصل يوم القيامة وبعد الممات في الحياة الأخرى. يقول الله تعالى: { بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ. وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ. وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ...} إلى آخر السورة.([٥٢٢])

أما المعجزة الكبرى لمحمد صلى الله عليه وسلم فهي القرآن الكريم. حيث كشف القرآن الكريم عن الحقائق التاريخية الماضية على لسان نبي أمي لم يقرأ ولم يكتب. وكشف عن مؤامرات معارضيه من الكفرة والمنافقين في حياته، وكشف عن حقائق كونية لا تزال البشرية تعمل لاكتشاف المزيد منها.([٥٢٣])

تعقيـــبات:

ان الأساليب الإقناعية التي استخدمها القرآن الكريم للإقناع بوجود خالق للكون واحد، وبأركان الإيمان، أو ورد لها ذكر فيه لها خصائص معينة. من بين تلك الخصائص ما يلي:

1 - البراهين والحجج تتوجه - بشكل عام - إلى الفطرة السليمة التي لا تحتاج إلى معلومات معقدة أو قواعد معقدة، خاصة عندما يكون موضوع الرسالة هو وجود الخالق و وحدانية الله، أو الإيمان بيوم القيامة والحياة في الدار الآخرة. وهذا مما يجعل هذه الموضوعات أو القضايا الأساسية في متناول عقلية أبسط الناس تفكيرا حتى لا تكون هناك حجة للناس على الله. لهذا لا يرفض هذه القضايا إلا إنسان مدفوع بالكبرياء مع معرفة الحق، أو ان تكون الفلسفات البشرية الفاسدة قد لوثت فطرته السليمة فهو عاجز عن رؤية الأشياء على حقيقتها. ولا يراها إلا مصبوغة بتحيزاته العمياء.

2 - عندما يكون الحوار مع مجموعة بشرية محددة مثل اليهود أو النصارى فان الأدلة والبراهين ترتكز على علم يقيني ودقيق لماضي تلك المجموعة وحاضرها ومستقبلها ومصيرها أيضا.

3 - القاعدة الأساسية في الحوار هي اللطف والوعظ والتذكير ولكن عندما يكون الخصم عنيدا أو مكابرا فان البراهين المفحمة الصارمة المغلفة بالوعيد والتهديد تصبح هي الوسيلة المناسبة. وقد لا يهدف هذا النوع من البراهين إلى إقناع المخاطب بتلك الأدلة بقدر ما يهدف إلى حماية إيمان المؤمنين وتعزيز موقفهم، أو لكشف ضلالات المخاطَبين للآخرين، حتى لا يضلوهم.

قد يعتقد البعض بأن هذه الوسائل خاصة بالدعوة إلى دين رب العالمين، ولكن الحقيقة أن هذه الأساليب عامة يمكن تسخير كثير منها عند بث الرسائل الإقناعية. فالداعية والإعلامي، مثلا يستطيعان استثمار الأساليب القولية كما هي،

---

[٥٢٢]) الزمـر: 66-75.

[٥٢٣]) أنظر مثلا: السيوطي، ج 1 : 166؛ الجليند، دقائق ج:1 ص 132-162؛ الرافعي، إعجاز؛ نوفل، القرآن؛ شعراوي، معجزة.

ويستطيعان الاستعاضة بالأعمال الدرامية عن الأساليب العملية الواقعية. فقد أصبحت صناعة الأعمال الدرامية ميسرة بصورة مذهلة مهما أبعدت أفكارها في الخيال، وأصبح في إمكان الأطفال في سن السادسة امتلاك المهارة للتعبير بالرسوم الثابتة والمتحركة بصورة ملفتة للانتباه.

تمارين الفصل الثامن:

١ – اختر موضوعا يتعلق بالسلوك البشري الفردي، مثل عادته في الأكل، أو في الشرب، أو ردة فعله في المواقف المختلفة، في الحياة الدنيا. واجمع الآيات ذات العلاقة، وقم بتفسيرها ، معتمدا على معرفتك باللغة العربية، ومستعينا بمصادر التفسير الأخرى، واكتب بحثا متكاملا في الموضوع

٢ – اختر موضوعا يتعلق بالحياة النباتية، واجمع الآيات ذات العلاقة، وقم بتفسيرها، معتمدا على معرفتك باللغة العربية، ومستعينا بمصادر التفسير الأخرى. واكتب بحثا متكاملا في الموضوع، واكتب بحثا متكاملا في الموضوع.

٣ - اختر موضوعا يتعلق بالحياة الحيوانية، واجمع الآيات ذات العلاقة. وقم بتفسيرها، معتمدا على معرفتك باللغة العربية، ومستعينا بمصادر التفسير الأخرى. واكتب بحثا متكاملا في الموضوع.

٤ - اختر موضوعا يتعلق بالحشرات، واجمع الآيات ذات العلاقة. وقم بتفسيرها، معتمدا على معرفتك باللغة العربية، ومستعينا بمصادر التفسير الأخرى. واكتب بحثا متكاملا في الموضوع.

٥ - اختر موضوعا يتعلق بالكواكب والأفلاك، واجمع الآيات ذات العلاقة. وقم بتفسيرها، معتمدا على معرفتك باللغة العربية، ومستعينا بمصادر التفسير الأخرى. واكتب بحثا متكاملا في الموضوع.

٦ - اختر موضوعا يتعلق بالظواهر الطبيعية المتعلقة بتكوين الكرة الأرضية، واجمع الآيات ذات العلاقة. وقم بتفسيرها، معتمدا على معرفتك باللغة العربية، ومستعينا بمصادر التفسير الأخرى. واكتب بحثا متكاملا في الموضوع.

٧ - اختر موضوعا يتعلق بالظواهر الطبيعة التي تتعلق بالمياه وما يجري في سطحها وفي أعماقها، واجمع الآيات ذات العلاقة. وقم بتفسيرها، معتمدا على معرفتك باللغة العربية، ومستعينا بمصادر التفسير الأخرى. واكتب بحثا متكاملا في الموضوع.

قائمة المراجع

رقم	المرجع
١.	أبو العلا، عادل محمد صالح، المنهج القويم في تفسير القرآن الكريم (بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤١٩هـ).
٢.	أبو الفرج، المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ ، اسم المؤلف: عبد الرحمن بن الجوزي أبو الفرج ، دار النشر : مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٥ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د. صالح الضامن
٣.	أبو الفرج، نواسخ القرآن ، اسم المؤلف: عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٥ ، الطبعة : الأولى
٤.	أبو الفضل، العجاب في بيان الأسباب ، اسم المؤلف: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي ، دار النشر : دار ابن الجوزي - السعودية - ١٤١٨هـ ١٩٩٧م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : عبد الحكيم محمد الأنيس
٥.	أبو حنيفة، النعمان بن ثابت، الفقه الأكبر، شرح محمد بن عبد الرحمن الخميس (الرياض: دار المسلم ١٤١٤).
٦.	أبو زهرة، محمد، **العلاقات الدولية في الإسلام** (القاهرة: دار الفكر العربي ــ).
٧.	أحمد، الإمام أحمد بن حنبل، **مسند الإمام أحمد،** تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون (بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤١٦).
٨.	الأرنؤوط، شعيب، محمد نعيم العرقسوسي، عادل مرشد، إبراهيم الزيبق، محمد رضوان العرقسوسي، كامل الخراط، **مسند الإمام أحمد بن حنبل** (بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤١٦).
٩.	إسماعيل، سعيد، كشف الغيوم عن القضاء والقدر (المدينة المنورة: المؤلف ١٤١٧هـ).
١٠.	إسماعيل، سعيد، **كشف الغيوم عن القضاء والقدر** (المدينة المنورة: الندوة العالمية للشباب الإسلامي ١٤١٧).
١١.	إسماعيل، شعبان محمد، القراءات: أحكامها ومصدرها (مكة: دعوة الحق ١٤١٤هـ).
١٢.	الأشقر، عمر سليمان، القضاء والقدر (الكويت: مكتبة الفلاح ١٤١١).
١٣.	الأصبهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصبهاني (ت 503هـ) **المفردات في غريب القرآن** ،تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني . بيروت : دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع .
١٤.	الأصبهاني، أبو القاسم الراغب، مقدمة جامع التفاسير، تحقيق أحمد حسن فرحات (الكويت: دار الدعوة ١٤٠٥).
١٥.	الأصفهاني، أبو الفرج، كتاب الأغاني (القاهرة: مطبعة دار الكتب ١٩٣٨).
١٦.	آل محمود، عبد الله بن زيد، **مجموعة رسائل الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود** (بيروت: المكتب الإسلامي ــ).
١٧.	أنيس، إبراهيم، و عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، ومحمد خلف الله أحمد، **المعجم الوسيط** ط ٢(ـــ دار إحياء التراث العربي ــ).
١٨.	ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، معجم جامع الأصول في أحاديث الرسول (---: مكتبة الحلواني---).
١٩.	ابن الأثير، مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير، **جامع الأصول في أحاديث الرسول،** تحقيق عبد القادر الأرناؤوط (ــ: مكتبة الحلواني، ومطبعة الملاح، ومكتبة دار البيان ١٣٩٢).
٢٠.	ابن الجوزي، ، **نواسخ القرآن للعلامة ابن الجوزي، تحقيق** الملباري، محمد أشرف

	علي (المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية ١٤٠٤).
٢١.	ابن الجوزي، روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه لابن قدامة الرياض مكتبة المعارف ---).
٢٢.	ابن الحنبلي، استخراج الجدال من القرآن الكريم ، اسم المؤلف: ناصح الدين عبد الرحمن بن نجم المعروف بابن الحنبلي (المتوفى : ٦٣٤هـ) ، دار النشر : مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٩٨٠م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : زاهر بن عواض الألمعي
٢٣.	ابن العربي، أحكام القرآن ، اسم المؤلف: أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي ، دار النشر : دار الفكر للطباعة والنشر - لبنان ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا
٢٤.	ابن القيم الجوزية، **زاد المعاد في هدي خير العباد** (بيروت: مؤسسة الرسالة ١٣٩٩).
٢٥.	ابن القيم الجوزية، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، تصحيح السيد محمد بدر الدين أبو فراس النعسالي الحلبي. (القاهرة: دار الفكر ١٣٩٨).
٢٦.	ابن القيم، **أحكام أهل الذمة**، تحقيق وتعليق صبحي الصالح ط٣ (بيروت: دار العلم للملايين ١٩٨٣).
٢٧.	ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر،(توفي ٧٥١) التبيان في أقسام القرآن، تحقيق طه يوسف شاهين (دار الكتاب العربي ---)
٢٨.	ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، (ت ٧٥١) الطب النبوي (بيروت: دار الهلال---)
٢٩.	ابن القيم، **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى**، تحقيق محمد أحمد الحاج (دمشق: دار القلم ١٤١٦هـ).
٣٠.	ابن النديم، الفهرست ، اسم المؤلف: محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم ، دار النشر : دار المعرفة - بيروت - ١٣٩٨ - ١٩٧٨
٣١.	ابن تيمية ، **اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم** (بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٧).
٣٢.	ابن تيمية ، **الاحتجاج بالقدر** (القاهرة: المكتب الإسلامي ١٣٩٣).
٣٣.	ابن تيمية ، القضاء والقدر، تحقيق وشرح أحمد عبد الرحيم السايح السيد الجميلي (بيروت: دار الكتاب العربي ١٤١١).
٣٤.	ابن تيمية ، جامع الرسائل، المجموعة الأولى، تحقيق محمد رشاد سالم (القاهرة: المحقق نفسه ١٣٨٩).
٣٥.	ابن تيمية، أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي ط٢ (---: مكتبة ابن تيمية).
٣٦.	ابن تيمية، **السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية** ط٤ (القاهرة: دار الكتاب العربي بمصر ١٩٦٩).
٣٧.	ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، مقدمة في أصول التفسير، (٧٢٨-٦٦١) تحقيق د عدنان زرزور (الكويت: دار القرآن الكريم ١٣٩١/ ١٩٧١).
٣٨.	ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ط٢(بيروت: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٤ - ١٩٩٣).
٣٩.	ابن خالويه، الحسين بن أحمد بن خالويه أبو عبد الله، الحجة في القراءات السبع ، تحقيق : د. عبد العال سالم مكرم ط٤(بيروت: دار الشروق - بيروت - ١٤٠١).
٤٠.	ابن شهاب، الزهري، تنزيل القرآن ، تحقيق : د. صلاح الدين المنجد ط٢ (بيروت: دار

	الكتاب الجديد - بيروت - ١٩٨٠).
.٤١	ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، غريب القرآن لابن قتيبة، المحقق: سعيد اللحام (
.٤٢	ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم** (بيروت: دار إحياء التراث العربي ١٣٨٨).
.٤٣	ابن ماجة، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، سنن ابن ماجه ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت : دار الفكر - -).
.٤٤	ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم(٧١١ هـ) (الأفريقي المصري)، **لسان العرب** (بيروت: دار صادر ١٤١٢).
.٤٥	باحاذق، عمر محمد عمير، أسلوب القرن الكريم (بيروت: دار المأمون ١٩٩٤/١٤١٤).
.٤٦	الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب ، إعجاز القرآن ، تحقيق : السيد أحمد صقر ط٥(مصر : دار المعارف - مصر - ١٩٩٧م ، الطبعة : الخامسة ،
.٤٧	بالي، وحيد عبد السلام، وقاية الإنسان من الجن والشيطان (جدة: مكتبة الصحابة ١٤١٢).
.٤٨	البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، الجامع الصحيح المختصر ، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا ط٣ (بيروت: دار ابن كثير ، اليمامة ١٤٠٧ ـ ١٩٨٧).
.٤٩	البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي خلق أفعال العباد، تحقيق عبد الرحمن عميرة (الرياض: دار المعارف السعودية ١٣٨١).
.٥٠	البخاري، محمد بن إسماعيل، **خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل**، تحقيق وتعليق أبو محمد سالم بن أحمد عبد الهادي السلفي، و أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني الأبياني (القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي ١٤٠٨).
.٥١	البطل، عبد الرحمن بن عبد الله ومحمد بن عبد الرحمن البطل، ترجمة معاني القرآن الكريم بين نظريتين: الدلالية والتداولية، مقدم إلى ندوة ترجمة معاني القرآن الكريم: تقويم الماضي وتخطيط المستقبل المنعقد في المدينة المنورة بين ١٠-١٢/٢/١٤٢٣هـ
.٥٢	البغدادي، كتاب السبعة في القراءات ، اسم المؤلف: أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي ، دار النشر : دار المعارف - مصر - ١٤٠٠هـ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : شوقي ضيف
.٥٣	بن حيدرة، شيث بن إبراهيم، حز الغلاصم في إفحام المخاصم، تحقيق عبد الله عمر البارودي (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية ١٤٠٥).
.٥٤	بن زكريا، أحمد بن فارس أبي الحسن، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ط٢(بروت: دار الجيل - بيروت - لبنان - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).
.٥٥	بن منصور، سعيد،(ت ٢٢٧) سنن سعيد ابن منصور، تحقيق سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حمي (الرياض: دار الصميعي للنشر والتوزيع ---)
.٥٦	البنا، حسن، مقدمة في التفسير مع تفسير الفاتحة وأوائل سورة البقرة (بيروت: دار القرآن الكريم ١٣٩٩).
.٥٧	البنات، الشيخ أحمد محمد، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر للعلامة البنات ١١١٧ هـ ، تحقيق د. شعبان محمد إسماعيل (بيروت: عالم الكتب بيروت سنة ١٤٠٧ هـ)
.٥٨	البنيان، أحمد بن عبد الله، ترجمات معاني القرآن الكريم إلى اللغة الإنقليزية، ومراعاة خروج الكلام عن مقتضى الظاهر: دراسة تطبيقية على بعض آيات من

الذكر الحكيم، مقدم إلى ندوة ترجمة معاني القرآن الكريم: تقويم الماضي وتخطيط المستقبل المنعقد في المدينة المنورة بين ١٠-- ١٢/٢/١٤٢٣ هـ	
البهوتي، منصور بن يونس بن إدريس ، كشاف القناع عن متن الإقناع ، تحقيق : هلال مصيلحي مصطفى هلال (بيروت: دار الفكر ١٤٠٢).	.٥٩
تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ، اسم المؤلف: محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا ، دار النشر : دار الكتب العلمية	.٦٠
التركي، عبد الله بن عبد المحسن، وشعيب أرنؤوط، تحقيق، **شرح العقيدة الطحاوية، لعلي** بن علي بن محمد أب العز الدمشقي، (بيروت: مؤسسة الرسالة١٤١١).	.٦١
التركي، عبد الله عبد المحسن، تحقيق لشرح مختصر الروضة، تحقيق (بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤١٠هـ) الترمذي، محمد بن عيسى، جامع الإمام الترمذي (كراتشي، سعيد كميني ١٩٨٢.(	.٦٢
الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، الجامع الصحيح سنن الترمذي ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون (بيروت : دار إحياء التراث العربي -)	.٦٣
الترمذي، محمد بن عيسى، **جامع الإمام الترمذي** (كراتشي: سعيد كميني ١٩٨٢).	.٦٤
التستري، أبو محمد سهل بن عبد الله، تفسير التستري ، تحقيق : محمد باسل عيون السود (بيروت: دارالكتب العلمية١٤٢٣ هـ).	.٦٥
التيمي، مجاز القرآن ، اسم المؤلف: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي ، دار النشر : مكتبة الخانجي - القاهرة - ١٩٥٤م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د. محمد فؤاد سزكين	.٦٦
الثوري، سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله، تفسير سفيان الثوري ، (بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٣).	.٦٧
الجامع الصحيح سنن الترمذي ، اسم المؤلف: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت - - ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون	.٦٨
جبر، محمد سلامة، القضاء والقدر (الكويت: دار البحوث العلمية ١٩٨١).	.٦٩
الجديع، عبد الله بن يوسف بن عيسى بن يعقوب اليعقوب الجديع العنزي ، المقدمات الأساسية في علوم القرآن (: مركز البحوث الإسلامية ليدز – بريطانيا الطب١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١)	.٧٠
الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تصحيح محمد عبده، ومحمد محمود التركزي الشنقيطي محمد رشيد رضا (بيروت: دار الكتب العملية--)	.٧١
الجرجاني، علي بن حمد الشريف، التعريفات (بيروت: مكتبة لبنان ١٩٦٩)	.٧٢
الجزار، كامل محمد (٢٠٠٦) **المعجم الفريد لمعاني كلمات القرآن المجيد. (١٧٦٤ مادة معجمية: تحليل وبيان**،جزءان. القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية.	.٧٣
الجصاص، أحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر ، أحكام القرآن ، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي (بيروت: دار إحياء التراث العربي ١٤٠٥).	.٧٤
جعفر، عبد الغفور محمود مصطفى، القرآن والقراءات والأحرف السبعة (الرياض: دار السلام ١٤٢٩هـ).	.٧٥
الجلعود، محماس عبد الله محمد، **الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية** (المنصورة: دار اليقين للنشر والتوزيع ١٤٠٧).	.٧٦
الحاج، التقرير والتحرير في علم الأصول ، اسم المؤلف: ابن أمير الحاج. ، دار النشر : دار الفكر - بيروت - ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.	.٧٧

٧٨.	حبل ، محمد حسن حسن (٢٠١٢) **المعجم الاشتقاقي المؤصّل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)** 4،مجلدات ، ط ٢ . القاهرة: مكتبة الآداب.
٧٩.	الحكمي، حافظ بن أحمد بن علي ، أعلام السنة المنشورة ، (المتوفى : ١٣٧٧هـ) ، تحقيق : أحمد بن علي علوش مدخلي (الرياض: مكتبة الرشد ١٤١٨-١٩٩٨)
٨٠.	الحلبي، علي بن برهان الدين، **السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون** (____: دار المعرفة ____).
٨١.	الحموي، أحمد بن عمر بن محمد بن أبي الرضا أبو العباس، القواعد والإشارات في أصول القراءات ، تحقيق : د. عبد الكريم محمد الحسن بكار (دمشق: دار القلم -١٤٠٦).
٨٢.	الحميدي، محمد بن فتوح، الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم ، (بيروت: دار ابن حزم - لبنان/ بيروت - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : د. علي حسين البواب
٨٣.	الحميدان، إبراهيم بن صالح، مواصفات الترجمة المعدة للاستعمال في مجال الدعوة، مقدم إلى ندوة ترجمة معاني القرآن الكريم: تقويم الماضي وتخطيط المستقبل المنعقد في المدينة المنورة بين ١٠
٨٤.	الحميدان، عبد الله بن حمد و عبد الجواد بن توفيق محمود، بعض المحاذير اللغوية الواجب مراعاتها عند ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الإنجليزية، مقدم إلى ندوة ترجمة معاني القرآن الكريم: تقويم الماضي وتخطيط المستقبل المنعقد في المدينة المنورة بين ١٠
٨٥.	الحميدان، عبد الله بن حمد، الترجمة الآلية، ندوة تعميم التعريب وتطوير الترجمة في المملكة العربية السعودية ٢ الزحيلي، وهبة، آثار الحرب في الفقه الإسلامي: دراسة مقارنة ط٣) القاهرة: دار الفكر ١٤٠١هـ).
٨٦.	الخطيب ، مشيئة الله ومشيئة العباد (الرياض: دار اللواء للنشر والتوزيع ١٤٠٠).
٨٧.	الخطيب، عبد الكريم، القضاء والقدر بين الفلسفة والدين ط ٢(القاهرة: دار الفكر العربي ١٩٧٩).
٨٨.	دالين، ديوبولد ب فان، **مناهج البحث في التربية وعلم النفس**، ترجمة محمد نبيل نوفل، سليمان الخضري، وطلعت منصور غريال، ومراجعة سيد أحمد عثمان (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٦).
٨٩.	الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد الأموي، البيان في عدّ آي القرآن ، تحقيق : غانم قدوري الحمد (الكويت: مركز المخطوطات والتراث ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م).
٩٠.	الداني، الأحرف السبعة للقرآن ، اسم المؤلف: الداني أبو عمرو ، دار النشر : مكتبة المنارة - مكة المكرمة - ١٤٠٨ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د. عبد المهيمن طحان
٩١.	الداني، عثمان بن سعيد الداني أبو عمرو، المحكم في نقط المصاحف، تحقيق : د. عزة حسن ط٢(دمشق: دار الفكر ١٤٠٧ .
٩٢.	درويش، أبو الوفاء محمد، القضاء والقدر (بلبيس، مصر: المكتبة الإسلامية ١٤٠٨).
٩٣.	الدنوي، سليمان، مترجم، الفوز الكبير في أصول التفسير لولي الله الدهلوي (---: دار البشائر الإسلامية ---).
٩٤.	الرازي، أبو الفضائل أحمد بن محمد بن المظفر بن المختار ، كتاب حجج القرآن ، تحقيق : أحمد عمر المحمصاني الأزهري ط٢(لبنان: دار الرائد العربي ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م).

الرازي، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس ، تفسير القرآن ،، تحقيق : أسعد محمد الطيب (صيدا: المكتبة العصرية).	.٩٥
الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، اسم المؤلف: ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، الطبعة : الأولى	.٩٦
الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، القضاء والقدر (بيروت: دار الكتاب العربي ١٤١٠).	.٩٧
الرومي، فهد بن عبد الرحمن ين سليمان، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير ط٤(بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤١٤). التعليق على الآيات في ص ٣٤٠-٣٥٥)	.٩٨
الزبيدي، محمد مرتضى، **تاج العروس من جواهر القاموس** (بيروت: دار مكتبة الحياة ــ).	.٩٩
الزحيلي، **العلاقات الدولية في الإسلام: مقارنة بالقانون الدولي الحديث** (بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٠١).	.١٠٠
الزحيلي، وهبة، **آثار الحرب في الفقه الإسلامي: دراسة مقارنة** ط٣ (القاهرة: دار الفكر ١٤٠١).	.١٠١
الزرعي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، الأمثال في القرآن الكريم ، تحقيق : إبراهيم محمد (طنطا، مصر: مكتبة الصحابة ١٤٠٦).	.١٠٢
الزرعي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، التبيان في أقسام القرآن ، (بيروت: دار الفكر ---).	.١٠٣
الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن (المتوفى: ١٣٦٧هـ) ط٣ (مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه)	.١٠٤
الزركشي، بدر الدين بن عبد الله، (ولد ٧٤٥) البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط٢ (القاهرة: البابي الحلبي ١٩٧٢).	.١٠٥
الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي (الكويت:---).	.١٠٦
الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، البرهان في علوم القرآن ، اسم المؤلف: ، دار النشر : دار المعرفة - بيروت - ١٣٩١ ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم	.١٠٧
الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، اسم المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي	.١٠٨
الزهري، محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري ، الطبقات الكبرى ، (بيروت: دار صادر ---).	.١٠٩
سالم، رشاد محمد، القراءات القرآنية وصلتها باللهجات العربية (القتاهرة: دار المنار للنشر والتوزيع ١٤١٦-١٩٩٥).	.١١٠
السامرائي، فاضل صالح السامرائي. نبوة محمد من الشك إلى اليقين (بغداد: مكتبة القدس ١٣٩٨هـ).	.١١١
السبكي، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي ، طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق : د. محمود محمد الطناحي د.عبد الفتاح محمد الحلو ط٢ (--: هجر للطباعة والنشر والتوزيع - ١٤١٣هـ).	.١١٢
السرياني، علي بن فهيد الدغيمان، **الأصل في العلاقة بين الدولة الإسلامية بغيرها في**	.١١٣

الفقه السياسي (جدة: مجلة جامعة الملك عبد العزيز: الآداب والعلوم الإنسانية ١٤١٠ المجلد الثالث: ١١٥-١٥٢.	
السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، الدرة البهية: شرح القصيدة التائية في حل مشكلة القدرية، في العقيدة الاسلامية (عنيزة: مركز صالح بن صالح الثقافي ١٤١٢) ١٤٣-٢-٤.	١١٤.
السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، القواعد الحسان لتفسير القرآن ، (الاسكندرية، مصر : دار البصيرة ---).	١١٥.
السليمان، فهد ناصر، (جامع)، مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (الرياض: دار الوطن للنشر ١٤١١)	١١٦.
السمرقندي، تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم ، اسم المؤلف: نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي ، دار النشر : دار الفكر - بيروت ، تحقيق : د.محمود مطرجي	١١٧.
السيواسي، كمال الدين محمد بن عبد الواحد ، شرح فتح القدير،ط٢ (بيروت: دار الفكر --).	١١٨.
السيوطي، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي، المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب ، تحقيق : سمير حسين حلبي (بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م ،).	١١٩.
السيوطي، الإتقان في علوم القرآن ، اسم المؤلف: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، دار النشر : دار الفكر - لبنان - ١٤١٦هـ ١٩٩٦م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : سعيد المندوب	١٢٠.
السيوطي، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن، جامع الاحاديث (الجامع الصغير وزوائده والجامع الكبير) (---: دار الفكر).	١٢١.
السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد أبو الفضل ، أسرار ترتيب القرآن ، تحقيق : عبد القادر أحمد عطا (القاهرة: دار الاعتصام ---).	١٢٢.
السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي أبو الفضل ، لباب النقول في أسباب النزول ، (بيروت: دار إحياء العلوم ---).	١٢٣.
الشايع، محمد بن عبد الرحمن بن صالح، الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن (الرياض: مكتبة العبيكان ١٤١٤).	١٢٤.
الشرقاوي، أحمد محمد، أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بكلية أصول الدين والدعوةجامعة الأزهر، بحث محكم وصالح للنشر بالحولية ، العدد السابع عشر ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م	١٢٥.
شلبي، أحمد، **كيف تكتب بحثا أو رسالة دراسة منهجية** ط ١٦ (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية ١٩٨٣).	١٢٦.
الشمشاسي، أبو الحسن علي بن محمد بن المطهر العدوي، الأنوار ومحاسن الأشعار ، تحقيق : صالح مهدي العزاوي (بغداد: منشورات وزارة الأعلام العراقية - بغداد / العراق - ١٩٧٦ م).	١٢٧.
الشنقيطي، سيد محمد ساداتي، أصول الإعلام الإسلامي وأسسه (الرياض: دار عالم الكتب ١٤٠٦هـ).	١٢٨.
الشنقيطي، محمد الأمين محمد المختار الجكني، أضواء البيان في إيضاح القرآن (الرباض: المطابع الأهلية للأفست ١٤٠٣).	١٢٩.
الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام الشوكاني (ت ١٢٥٥) هـ ط البابي	١٣٠.

	الحلبي سنة ١٣٥٠ هـ)
١٣١.	صالح، سعيد إسماعيل صالح صيني، ترجمة النصوص الإسلامية المقدسة (الرياض: المجلة العربية ١٤٣٦هـ).
١٣٢.	الصالح، صبحي ، منهل الواردين: شرح رياض الصالحين (بيروت: دار العلم للملايين 1970).
١٣٣.	الصالح، صبحي، **أحكام أهل الذمة** (تحقيق وتعليق) لشمس الدين أبي عبد الله محمد ابن أبي بكر ابن قيم الجوزية ط٣ (بيروت: دار العلم للملايين ١٩٨٣).
١٣٤.	صالح، محمد ألسيب صالح، الكلمة القرآنية وعربية اللسان (الرياض: دار الألوكة للنشر ١٤٣٥).
١٣٥.	الصرصري، سليمان، الإكسير في علم التفسير (القاهرة: ط مكتبة الآداب--)
١٣٦.	الصعيدي، عبد المتعال، **الحرية الدينية في الإسلام** ط٢ (القاهرة: دار الفكر العربي —).
١٣٧.	صيني، سعيد إسماعيل ، مدخل إلى الإعلام الإسلامي (القاهرة: دار الحقيقة للإعلام الدولي ١٤١١).
١٣٨.	صيني، سعيد إسماعيل، حرية التعبير والإلحاد والانحلال، مقدم لمؤتمر الإعلام المعاصر بين حرية التعبير والإساءة إلى الدين المنعقد في صنعاء بين ١٢ ١٤٣٠/٢/١٤ للهجرة
١٣٩.	صيني، سعيد إسماعيل، حقيقة العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين (بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٢٠).
١٤٠.	صيني، سعيد إسماعيل، صيني، سعيد إسماعي، تساؤلات جدلية حول الإسلام وتعليقات ط ٥ (المدينة المنورة: مكتبة دار الفجر، الرياض: دار الهديان ١٤٢٦هـ).
١٤١.	صيني، سعيد إسماعيل، علاقة المسلمين بغير المسلمين ط٢ (المدينة المنورة: مكتبة الفجر ١٤٢٧هـ)
١٤٢.	صيني، سعيد إسماعيل، علاقة المسلمين بغير المسلمين ط٢(المدينة المنورة: مكتبة دار الفجر ١٤٢٦)
١٤٣.	صيني، سعيد إسماعيل، علاقة المسلمين بغير المسلمين ط٣(المدينة المنورة: دار العلوم والحكم ١٤٣٦)
١٤٤.	صيني، سعيد إسماعيل، **قواعد أساسية في البحث العلمي** (بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤١٥).
١٤٥.	صيني، سعيد إسماعيل، قواعد أساسية في البحث العلمي (بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤١٥، ١٤٣٢هـ). (٦٤٧ صفحة)
١٤٦.	صيني، سعيد إسماعيل، قواعد أساسية في البحث العلمي (عمان: مؤسسة الرسالة ١٤١٥).
١٤٧.	الصيني، سعيد إسماعيل، كيف نشرك غير المسلمين في نعمة الإسلام؟ (الأحساء: الندوة العالمية للشباب الإسلامي ١٤٢٣هـ).
١٤٨.	صيني، سعيد إسماعيل، مدخل إلى الرأي العام والمنظور الإسلامي (بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٢١هـ). (٣١٣ صفحة)
١٤٩.	صيني، سعيد إسماعيل، منهج أبحاث المحدثين (أصول الحديث في خطوات تفصيلية) موقع المؤلف www,saeedsieny.net
١٥٠.	صيني، سعيد إسماعيل، منهج الأبحاث الشرعية. (أصول الفقه في خطوات تطبيقية) موقع المؤلف www,saeedsieny.net http://www.alukah.net/sharia/0/104786//
١٥١.	صيني، سعيد إسماعيل،المبادئ الإسلامية في التعامل عبر الأديان (بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٣٨/٢٠١٧).

١٥٢.	ضميرية، عثمان جمعة، **منهج الإسلام في الحرب والسلام** (الكويت: مكتبة دار الأرقم ١٤٠٢).
١٥٣.	الطبراني، المعجم الكبير ، اسم المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني ، دار النشر : مكتبة الزهراء - الموصل - ١٤٠٤ - ١٩٨٣ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي
١٥٤.	الطبري، أبو جعفر بن جرير، **جامع البيان عن تأويل القرآن**، تحقيق محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر (القاهرة: دار المعارف بمصر ١٩٦٩).
١٥٥.	الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ت٣١٠هـ ط دار الريان للتراث ، ودار الحديث بالقاهرة سنة ١٤٠٧ هـ وطبعة دار شاكر، المعارف بتحقيق محمود محمد شاكر ، و أحمد محمد شاكر ط سنة ١٩٥٧ م ٠
١٥٦.	الطريفي، عبد العزيز بن مرزوق، التقرير في أسانيد التفسير ط٢(الرياش: مكتبة دار المنهاج ١٤٣٤).
١٥٧.	الطريفي، عبد العزيز بن مرزوق، التقرير في أسانيد التفسيرط٢(الرياض: مكتبة المنهاج ١٤٣٤هـ)
١٥٨.	الطريقي، **الولاء والعداء في علاقة المسلم بغير المسلم** (الرياض: مؤسسة الجريسي ١٤١١).
١٥٩.	الطريقي، عبد الله إبراهيم علي، **الإستعانة بغير المسلمين في الفقه الإسلامي** (الرياض: المؤلف ١٤٠٩).
١٦٠.	عبد الحميد، محسن، دراسات في أصول تفسير القرآن (الدار البيضاء: دار الثقافة ١٤٠٤/١٩٨٤).
١٦١.	عبد الرحيم، ف، الخطأ الوارد في بعض ترجمات معاني القآن الكريم في ترجمة (إن) المخففة، مقدم إلى ندوة ترجمة معاني القرآن الكريم: تقويم الماضي وتخطيط المستقبل المنعقد في المدينة المنورة بين ١٠--- هـ١٤٢٣/٢/١٢
١٦٢.	عبد الله، عدنان سليم، مشكلات الدلالة في ترجمة القرآن الكريم، مجلة القافلة ربيع الآخر ١٤١٣هـ ١٩٩٢
١٦٣.	عرجون، محمد الصادق، **الموسوعة في سماحة الإسلام** ط٢ (جدة: الدار السعودية ١٤٠٤).
١٦٤.	عزب، محمود بن عبد السلام، إشكاليات ترجمة معاني القرآن الكريم ماذا براعي في لغة الترجمة؟)، مقدم إلى ندوة ترجمة معاني القرآن الكريم: تقويم الماضي وتخطيط المستقبل المنعقد في المدينة المنورة هـ١٤٢٣/٢/١٢--١٠
١٦٥.	عزت ، **دراسات في فن التحرير الصحفي** (جدة: دار الشروق ١٤٠٤).
١٦٦.	عزت، محمد فريد، **بحوث في الإعلام الإسلامي** (جدة: دار الشروق ١٤٠٣).
١٦٧.	العساف، **دليل الباحث في العلوم السلوكية** (الرياض: المؤلف نفسه ١٤٠٦).
١٦٨.	العساف، صالح بن حمد، **المدخل الى البحث العلمي**، (الرياض: المؤلف نفسه ١٤٠٩).
١٦٩.	العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، ترقيم وتصحيح ومراجعة محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب وقصي محب الدين الخطيب (القاهرة: دار الريان للتراث ١٤٠٧).
١٧٠.	علي، محمود محمد، **الجهاد في التشريع الإسلامي** (القاهرة: دار الإتحاد العربي للطباعة ١٣٩٧).
١٧١.	عمر، أحمد مختاروآخرون (٢٠١٥) **معجم المجالات والمترادفات القرآنية** .القاهرة: عالم الكتب . توزيع السعودية : الرياض: مؤسسة التراث الخيرية.

١٧٢.	عواد، محمود أحمد سليمان، **الجيش والقتال في صدر الإسلام** (الزرقاء، الأردن: مكتبة المنار ١٤٠٧).
١٧٣.	الغرناطي، البحر المحيط للإمام أبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي الغرناطي ت ٧٥٤ هـ ط دار إحياء التراث العربي ط سنة ١٤١١ هـ ثانية ٠
١٧٤.	الغزالي، محمد بن محمد أبو حامد، الوفاة: ٥٠٥، **المستصفى في علم الأصول** تحقيق : محمد عبد السلام عبد الشافي (بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١٣).
١٧٥.	الغضبان، منير محمد، **المنهج التربوي للسيرة النبوية للتربية الجهادية** (الأردن، الزرقاء: مكتبة المنار ١٤١١).
١٧٦.	الفراء، معاني القرآن لأبي زكريا يحيي بن زياد الفراء ت ٢٠٧ هـ ط دار السرور بيروت
١٧٧.	فرحات، أحمد حسن (محقق)، **الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ومعرفة أصوله واختلاف الناس فيه لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي** (جدة: دار المنارة ١٤٠٦).
١٧٨.	الفوزان، صالح بن فوزان، تعقيبات وملاحظات على كتاب صفوة التفاسير (الرياض: دار العاصمة ١٤١٢/ ١٩٩٢).
١٧٩.	الفوزان، صالح فوزان بن عبد الله الفوزان، شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية (الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإتاء والدعوة والإرشاد ١٤١١).
١٨٠.	الفوزان، صالح فوزان، **الولاء والبراء في الإسلام** (الرياض: دار الوطن للنشر ١٤١١).
١٨١.	القاضي، أحمد، تأثير القرآن على وظائف الجسم البشري، في مجلة المجتمع ١٤٠٥/١٢/٢٥ ص ٢٦-٢٧، ٤٨.
١٨٢.	القرطبي، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٧ م ٠
١٨٣.	القرطبي، عبد الله محمد أحمد الأنصاري، **الجامع لأحكام القرآن** (بيروت: دار إحياء التراث العربي ١٣٧٦).
١٨٤.	قطب، **في ظلال القرآن** (جدة: دار العلم للطباعة والنشر ١٤٠٦).
١٨٥.	قطب، محمد، **شبهات حول الإسلام** (___ الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية ___).
١٨٦.	القليبي ، موسى بن محمد موسى (ق ١١هـ) **معجم الألفاظ القرآنية ومعانيها (المسمى : التحفة القلبية في حل الألفاظ القرآنية)** تحقيق محمد محمد داود . القاهرة : مكتبة الآداب ، ٢٠٠٢م.
١٨٧.	القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب، **الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ومعرفة أصوله واختلاف الناس فيه**، تحقيق أحمد حسن فرحات (جدة: دار المنارة ١٤٠٦).
١٨٨.	الكتاني، أبو عبد الله محمد بن جعفر، نظم المتناثر من الحديث المتواتر ط٢(مصر: دار الكتب السلفية للطباعة والنشر ---)
١٨٩.	الكرماني، أسرار التكرار في القرآن ، اسم المؤلف: محمود بن حمزة بن نصر الكرماني ، دار النشر : دار الاعتصام - القاهرة - ١٣٩٦ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : عبد القادر احمد عطا
١٩٠.	الكشميري، محمد أنورشان ابن معظم شان، العرف الشذي شرح سنن الترمذي ، تحقيق : الشيخ محمود شاكر (بيروت، لبنان: دار احياء التراث العربي ١٤٢٥هـ

	٢٠٠٤م).
١٩١.	الكفوي، الكليات لأبي البقاء أيوب بن موسي الحسيني الكفوي ت ١٠٩٤هـ ص ٦١ ط مؤسسة الرسالة
١٩٢.	الكلبي، التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي الكلبي ط دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٣هـ
١٩٣.	المباركفوري، أبي العلا محمد عبد الرحمن ابن عبد الرحيم، **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي** (بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١٠).
١٩٤.	محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم ، النيسابوري، المستدرك على الصحيحين ، (٤٠٥هـ) تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١١هـ - ١٩٩٠م).
١٩٥.	المحمود، عبد الرحمن بن صالح المحمود، القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه (الرياض: دار النشر الدولي ١٤١٤هـ).
١٩٦.	مخلوف، حسين محمد، كلمات القرآن: تفسير وبيان (---: ----).
١٩٧.	مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي (الإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري ت ٢٦١ هـ) ط٣(---: دار إحياء التراث العربي ---؛ طبعة أولى ٠ عالم الكتب ١٤٠٨ هـ). ٠
١٩٨.	مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت: دار إحياء التراث العربي - بيروت ---).
١٩٩.	مصطفى، محمد صالح علي، **النسخ في القرآن الكريم** (دمشق: دار القلم ١٤٠٩).
٢٠٠.	معدي، الحسين الحسيني، الأجوبة الجلية في الرد على الأسئلة المسيحية: شبهات النصارى حول الرسول صلى الله عليه وساك، مسيحي يسأل ومسلم يجب (القاهرة: دار الكتاب العربي ٢٠٠٧).
٢٠١.	مقاتل، بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، تفسير مقاتل، تحقيق : أحمد فريد (بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م).
٢٠٢.	المقرئ، كتاب اللغات في القرآن لابن حسنون ، اسم المؤلف: ابن حسنون المقرئ ، دار النشر : دار الكتاب الجديد - بيروت - ١٣٩٢-١٩٧٢ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : صلاح الدين المنجد
٢٠٣.	الملباري، محمد أشرف علي، **نواسخ القرآن للعلامة ابن الجوزي** (المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية ١٤٠٤).
٢٠٤.	المناوي، عبد الرؤوف، فيض القدير شرح الجامع الصغير ، (مصر: المكتبة التجارية الكبرى - مصر - ١٣٥٦هـ).
٢٠٥.	المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير ، اسم المؤلف: عبد الرؤوف المناوي ، دار النشر : المكتبة التجارية الكبرى - مصر - ١٣٥٦هـ ، الطبعة : الأولى
٢٠٦.	المنير، محمود (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م **(معجم التبيان في أعلام القرآن**. المنصورة ، ج م ع: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع.
٢٠٧.	المهمذاني، متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني ت ٤١٥ هـ تحقيق د٠ عدنان زرزور ط دار التراث بدون تاريخ ٠
٢٠٨.	المودودي، أبو الأعلى المبادئ الأساسية لفهم القرآن، ترجمة خليل أحمد الحامدي (جدة: الدار السعودية للنشر والتوزيع ١٤٠٧).
٢٠٩.	المودودي، أبو الأعلى، تذكرة دعاة الإسلام
٢١٠.	المودودي، أبو الأعلى، مبادئ أساسية لفهم القرآن (جدة: الدار السعودية للنشر والتوزيع

	١٩٨٤/١٤٠٤).
٢١١.	مولوي، فيصل، **الأسس الشرعية للعلاقات بين المسلمين وغير المسلمين** (باريس: مكتب الندوة العالمية للشباب الإسلامي ١٤٠٨).
٢١٢.	نجيب ، د عزالدين محمد (٢٠٠٦) **قاموس المصطلحات الدينية وبه معاني جميع ألفاظ القرآن الكريم (عربي-إنجليزي)** .القاهرة: مكتبة ابن سينا . (شرح باللغتين)
٢١٣.	النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل ، معاني القرآن الكريم، تحقيق : محمد علي الصابوني (مكة المكرمة: جامعة أم القرى - مكة المرمة - ١٤٠٩).
٢١٤.	النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل، إعراب القرآن ، تحقيق : د.زهير غازي زاهد ط٣(بيروت: عالم الكتب ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م).
٢١٥.	النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل، **الناسخ والمنسوخ في كتاب الله عز وجل واختلاف العلماء في ذلك،** تحقيق سليمان بن إبراهيم عبد الله الملحم (بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤١٢).
٢١٦.	الندوي ، عبدالله عباس (١٩٨٣) **قاموس ألفاظ القرآن الكريم)عربي-إنجليزي).** جدة : دار الشروق. (يعتمد على ترجمة عبدالله يوسف على للقرآن الكريم ، شرح إنجليزي)
٢١٧.	الندوي، أبو الحسن على الحسني، **السيرة النبوية** ط٨ (جدة: دار الشروق ١٤٠٩).
٢١٨.	النسائي، أحمد بن شعيب ، تفسير النسائي للإمام النسائي (ت ٣٠٣ه)(---: مكتبة السنة ١٤١٠هـ).
٢١٩.	النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن، السنن الكبرى ، تحقيق : د.عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن (بيروت: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١١ - ١٩٩١).
٢٢٠.	النسائي، أحمد بن شعيب، سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي (النسائي ت ٣٠٣ هـ) (بيروت: دار الكتاب العربي ---).
٢٢١.	النيسابوري، أسباب النزول للواحدي النيسابوري (أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ت ٤٦٨ هـ ط دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٣٩٥هـ).
٢٢٢.	النيسابوري، المستدرك علي الصحيحين للإمام أبي عبد الله الحاكم النيسابوري ت ٤٠٥ هـ وفي ذيله تلخيص المستدرك للإمام شمس الدين الذهبي ت ٨٤٨ هـ).
٢٢٣.	النيسابوري، محمد بن عبد الله الحاكم، المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١١هـ)
٢٢٤.	هارون، نبيل عبدالسلام هارون . **المعجم الوجيز لألفاظ القرآن الكريم** .القاهرة: دار النشر للجامعات، ١٩٩٧م.
٢٢٥.	الهراني، المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم ، اسم المؤلف: أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الهراني الأصبهاني ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي
٢٢٦.	الهروي، الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي ت٢٢٤هـ مكتبة الرشد ١٤١١هـ .
٢٢٧.	ونسك، أ. ي.، و ي. ب. منسنج، **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي** (ليدن: مطبعة بريل ١٩٦٩).

٢٢٨.	وهبة، توفيق علي، **الجهاد في الإسلام** (الرياض: دار اللواء ١٤٠١).

مراجع أجنبية

1.	Agee, Warren R. Phillip H. Ault, and Edwin Emrey, Introduction to Mass Commmunication (New York Harper and Row, Publishers 1985.
2.	Al-Rehaili, Abdullah M., This is the Truth, Makkah al-Mukkarmah: Muslim World League ---.
3.	Al-Shabab, Omar A. S., Terminology Evolution and Translaation: Specifity of Referent & User's Epistemic Co ntinuum Exemplified in Islamic Terms, International Journal of Applied Lingusitics & English Literature, Australian International Academic Center, Australia Vo. 5 No. January 2016
4.	Aronson, Elliot and Burton W. Golden, The effect of relevant and irrilevant aspects of communicator credibility on openion change, **Journal of Personality** 1962 30: 135-46.
5.	Bucaille, Maurice, The Bible The Qura'an and Science, Indianapolis: Americn Trust Publications 1979. Catford, J.C., Translation Shifts, in Venuti pp. 141-147. El-Kirdany, A.A.S., (tr.) Glimpses of Scientific Unattainable
6.	Larson, p. 101/ Scontrino, , M. P., J. A. Larson and F. E. Fiedler, Racial similarity as a moderator variable in the perception of leader behaviors and control, **International Journal of Intercultural Research**, 1977 1: 111-116.
7.	McGuire, p. 213l Scontrino, , M. P., J. A. Larson and F. E. Fiedler, Racial similarity as a moderator variable in the perception of leader behaviors and control, **International Journal of Intercultural Research**, 1977 1: 111-116.
8.	Selltiz, Claire, Lawrence S. Wrightsman and Stuart W. Cook, G. Balch R. Hofstetter and L. Bickman **Research Methods in Social Relations** .(New York: Holt, Rinehart and Winston 1981).
9.	Selltiz, Claire, Lawrence S. Wrightsman and Stuart W. Cook, G. Balch R. Hofstetter and L. Bickman **Research Methods in Social Relations** 3rd ed. (New York: Holt, Rinehart and Winston 1976).
10.	Tan, Alexis S. **Mass Communication Theories ans Research**. Columbus: Grid Publishing, Inc. 1981